مجلة المجمع العلمي



الجزء الاول ـ المجلد الثالث والاربعون

بغـــداد

١٤١٦هـ = ١٩٩٦م

مجلة المجمع العلمي



الجزء الاول ـ المجلد الثالث والاربعون

بغـــداد

١٤١٦هـ = ١٩٩٦م

محمد بهجة الاثري في ذمة الخلود

ببالغ الحزن وعميق الأسى ينعى المجمع العلمي عضوه العامل الاستاذ العلامة محمد بهجة الاثري ، وقد ختم قضاء الله الذي لاراد له حياته الطويلة المفعمة بالحيوية والعمل المثمر في اغناء الفكر وتوجيهه الى ماينفع الناس ويخلد اطيب الاثر .

ولد الفقيد ببغداد في مطلع القرن الحالي ، ونشأ برعاية اسرته التي تميزت بمتانة الخلق واستقامة المعاملة والتمسك بأهداب الدين ، وبتقدير العلم والاعتزاز بالفكر ، وتوجّه الفقيد في سنة المبكرة الى التعليم ودراسة مايتصل بمبادىء الدين ولغة العرب وادابهم ؛ والتحق بالمؤسسات المعنية بتعليمهما ، وتابع تعلمه بحضور دروس عدد من أبرز علماء بغداد ، واخصهم محمود شكري الالوسي الذي كان له الأثر الأكبر في انماء ثقافته وتوجيهها ؛ وفتحت أمامه آفاق الفكر ، وشارك في النشاط الفكري بمقالات دبجها في موضوعات اجتماعية ومساجلات أدبية ، ونظم التقريض مع متابعة القراءة والاستزادة من المعرفة ، وكانت له عناية خاصة باللغة العربية وضبط مفرداتها وتحديد معانيها ، وهو ميدان قلّ المختصون فيه لسعة اللغة وغناها ؛ وصار في ذلك الحجة المتميز لافي العراق فحسب ، وانما على صعيد الوطن العربي الواسع ؛ وكانت أقواله في ذلك الفصل في كل مايتصل باللغة ومفرداتها وتراكيبها ؛ وامتد اهتمامه باللغة والاداب والتاريخ ، يقرأ غرره ، ويحفظ روائعه ، ويحيط بجزئياته وتفاصيله ، ويدرك كلياته وجوهره .

ولم يكن منعزلاً عن الحياة العامة ، وانما تابع حوادثها والتعبير عنها والمشاركة في بعضها وتوجيهها ؛ وكان في كلها حريصاً على تعزيز العروبة المؤثلة والاسلام المصفى من الشوائب ، وامتدت متابعته الأحداث الى تسجيل

بعضها في المقالات والقصائد ، من دون ان ينغمر في متاهات السياسة الضيقة ؛ وناله من ذلك بعض الأذى ، من دون ان يحرفه عن مثله وتوجهاته .

إن علمه الغزير وفهمه العميق ونظرته الشاملة بوأته مكانه مرموقه وأكسبته تقديراً واسعاً ، تجلى في ما منح من الاوسمة والجوائز ، ونالت اسهاماته في أعماله العلمية وآراؤه وأبحاثه تقديراً خاصاً ، أهلته بجدارة الى عضوية المجامع العربية .

وكان للمجمع العلمي في العراق الحظ الاكبر والنصيب الأوفر من الافادة من مواهبه وعلمه ، فكان منذ تأسيسه الأول العضو المرموق والمصباح الساطع ؛ يشارك في أعماله العلمية وتوجيهاته ، من خلال لجانه المعنية باللغة والحضارة ، وفي اجتماعاته العامة وندواته وكانت لارائه الناضجة مكانة متميزة ، حظيت بالتقدير الجدير بها . ويسّر له المجمع طبع غرر ابحاثه في مقالات متتابعة ، وكتب محققة او مؤلفة ، وتقديراً لعلمه ومكانته اقام له المجمع حفل تكريم شارك فيه اعلام من الكتاب والشعراء عرضوا فيه بعض ماله من فضائل وثمنوا بعض ماأصدره من مؤلفات وكتب .

واحتفظ الفقيد بحيويته الفكرية حتى عندما دب الوهن في جسمه ، وظل حريصاً على الاسهام في الفكر الى ان حم القضاء . وارتفعت روحه الى بارئها مساء يوم السبت الموافق ٢٣ / آذار / ١٩٩٦ تغمده الله برحمته ، واسكنه فسيح جناته ، وجعله في عداد من هم احياء عند ربهم يرزقون .

(انا لله وانا اليه راجعون)

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي

مجلــة المجمــع العلمــي

مجلــة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

★

شـروط النشـر

١ ـ ان يكون البحث منسجما واهداف المجمع العلمية ، ومتصفا بالاصالة ، ولم يسبق نشـره .

٢ ـ ان لايزيد عدد صفحات البحث على اربعين صفحة من حجم المجلة .

٣ ـ ان يكون مطبوعا بالالة الكاتبة او مكتوبا بخط واضـح بالحبر الاسود وعلى صفحة واحدة ، وان يكون جاهزاً للطبع .

٤ ـ تخضع بحوث غير اعضاء المجمع للتحكيم ، ويكون القرار النهائي في نشرها لهيئة تحرير المجلة .

٥ ـ لايعاد البحث الى صاحبه نشر او لم ينشر .

٦ ـ يجوز لصاحب البحث بعد نشره في مجلة المجمع ان ينشـره في مكان آخر على ان يشير الى نشره في مجلة المجمع العلمي .

٧ ـ يعبر البحث المنشور في المجلة عن راي صاحبه .

٨ ـ ترتب البحوث في المجلة على وفق اعتبارات فنية .

★

العنوان : الوزيرية / بريد الاعظمية / ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ـ العـراق

القيروان في العهود الاسلامية الاولى

دراسة في تنظيم اهلها ومعالمها العمرانية

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع

(١) القيروان واهلها

تأسست القيروان في منتصف القرن الاول لتكون مستقراً للمقاتلة العرب وعيالاتهم ، وقاعدة يقومون منها بتوسيع الدولة الاسلامية في شمالي افريقية والمغرب ثم الاندلس ، وليوطدوا الأمن والاستقرار في أرجائها • وكانت خلال قرن من تأسيسها مقر الولاة المسؤولين عن الفتوح والادارة في أقاليم شمالي افريقية ، وكلهم تقريباً من العرب المسلمين يعملون بتوجيه من الخلافة الاموية بدمشق التي عملت على توحيد النظم الادارية • وظلت القيروان مركزاً للوالي ومقاماً له قرناً من الزمن ، أي الى مجيء الدولة العباسية التي حرصت على إبقاء شمال افريقيه تابعاً لها ، وأعطت ولاتها استقلالاً واسعاً في الادارة • ولم يتم اختيار الولاة على أسس قبلية ، فلم تكن العشائر التي ينتمي اليها هؤلاء الولاة متميزة في عددها أو مكانتها ، ولم يعرف عن وال جاء مع عشيرته أو مواليه ، فالجند مرتبطون بالدولة ، وعزل الوالي لا يؤثر في التركيب القبلي للمقاتلة •

وكان معظم المقاتلة العرب في أوائل تأسيسها من مقاتلة مصر ، ثم اضيفت اليهم أعداد من أهل الشام في زمن خلافة عبدالملك بن مروان ، وأرسل اليها العباسيون في أوائل تأسيس دولتهم أعداداً كبيرة من مقاتلة العراق بمن فيهم مقاتلة من الكوفة والبصرة وخراسان • ولم تذكر المصادر أسس اختيار من كان يرسل الى القيروان ، والراجح أنهم كانوا من عشائر متعددة ذكرت المصادر عددهم الأجمالي ، ولم تذكر عن انتماءاتهم القبيلة الا معلومات نزرة غير وافية •

والراجح ان معظم مقاتلة الحملات المرسلة الى القيروان كانوا يستقرون فيها ولا يعودون الى قواعدهم القديمة ، وهذا يعني أن القيروان تابعت نموها بالمقاتلة القادمين اليها ، وعوضت بعض النقص الذي يلحق بأهلها .

ولا بد من ان المقاتلة العرب كونوا معظم سكان القيروان عند تأسيسها على يد عقبة بن نافع وعندما ثبت تنظيمها حسان بن النعمان . ولما كان تنظيم هؤلاء المقاتلة قبلياً في أساسه فالراجح أن تخطيطها في هذا الزمن المبكر راعى الأسس القبلية في توزيع الخطط ، غير أن عدد الخطط التي ذكرت منسوبة الى القبائل قليل جداً ، ولابد أن عشائر أخرى كانت لها خطط أيضاً لم تذكرها المصادر ، والراجح أن هذه العشائر المتعددة كانت متباينة في عدد افرادها ومكانتها ، وان بعضها كان قليل العدد فضمت الى عشائر أخرى كالذي حدث في الأمصار الاسلامية الكبيرة الأخرى التي تتوفر عنها معلومات أوفى وخاصة الكوفة والبصرة(١) .

ولابد من أن التنظيمات الأولى القبلية والخططية تعرضت الى تعديلات بما جاءها من موجات تالية من المقاتلة العرب مما اشارت المصادر الى بعضها وخاصة في زمن الأمويين واوائل زمن العباسيين ، وقابل ذلك تناقص محتوم حدث بمن قتل في المعارك المتعددة التي ذكرتها المصادر ولكنها لم تشر الى عدد القتلى او تركيبهم القبلي .

وقضت المتطلبات العسكرية إنشاء قواعد عسكرية جديدة من أولها ما انشىء في المناطق المعرضة للأخطار المباشرة من تهديدات الروم على سواحل شمال افريقية ، وكانت من أوائل هذه القواعد تونس وقرطاجنة ، فقد اقيمت في تونس دار صناعة السفن ، وشحنت بحاميات تقيم فيها دائمياً لصد هجمات الروم وللقيام بحملات ، فكان واجبها دفاعيا وهجوميا في البر والبحر ، وقد عزز انشاء القواعد العسكرية في مدينة تونس وقرطاجنة تأمين سلامة

(١) انظر كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» الفصل الاول .

القيروان التي غدت « عاصمة » تسند القوات الامامية وتدعمها ، فاصبحت مؤمنة من تهديدات الروم ولم تتعرض في القرون الأولى لهجماتهم ، وخفف عنها واجب الاسهام المتتابع في الدفاع عن السواحل . والراجح أن القيروان ظلت القاعدة المركزية للديوان الذي يصله ما يجبى من الأموال ويقوم بتوزيع العطاء على المقاتلة من أهلها ومن في المراكز الأمامية التي لم تكن بعيدة عن القيروان . ولم تقدم المصادر تفاصيل عن عدد المقاتلة الذين نقلوا الى هذه المراكز الأمامية او تنظيم دفع العطاء لهم .

توزع مساكن العرب في المناطق خارج القيروان :

تطلب توسع الدولة وضمها بلاد المغرب إقامة حاميات دائمية في مراكز ذات أهمية إدارية وعسكرية ، وذكر اليعقوبي في كتابه «البلدان» العشائر العربية التي كانت تقيم في أواخر القرن الثالث الهجري في عدد من هذه المراكز المتفرقة في شمالي افريقية ، ولابد ان هؤلاء او اكثرهم نقلوا من القيروان ، وكان لنقلهم أثر واسع في تركيبها السكاني وخططها . ولم يذكر اليعقوبي تاريخ بدء استيطانهم في تلك المراكز ، غير أن سياق الحوادث يقتضي أن بعضهم توطن في زمن مبكر ، وبعضهم توطن في زمن الأغالبة ، ولم تقدم المصادر ما يمكننا من وضع صورة شاملة دقيقة لهذا التوطن أو زمنه ، غير أنه يمكن القول بأنهم أو غالبيتهم كانوا من المقاتلة ، وان توزيعهم تم لدعم الولاة في تثبيت الامن والاستقرار في تلك البلاد الواسعة المعرضة للاضطرابات

ذكر اليعقوبي أن « جزيرة شريك فيها قوم من رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب والعجم » وان سطفورة مدينة كبيرة بها قوم من قريش ومن قضاعة وغيرهم »[٢] وذكر أن « باجة بها قوم من جند بني هاشم القدم وقوم من العجم »[٣].

وذكر ان طبنة مدينة الزاب العظمى « وهي التي ينزلها الولاة وبها اخلاط

(٢) البلدان ٣٤٨ (٣) البلدان ٣٤٩

من قريش والعرب والجند والعجم والافارقة والروم والبربر » ، وان باغاية وهي من الزاب ، « بها قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان ، وعجم من عجم البلد من بقايا الروم»[٤] وذكر أن «سطيف بها قوم من بني أسد بن خزيمة عمال من قبل ابن الأغاب » وأن بارمة « أهلها قوم من بني تميم وموال لبني تميم » ونقاوس « بها قوم من الجند وحواليها البربر » ومقرة « أهلها قوم من ضبة ، وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر » وان في باجة « قوم من بني تميم من بني سعد يقال لهم بنو الصمصامة خالفوا على ابن الأغاب ، وظفر ابن الأغاب ببعضهم فحبسهم »[٥]. وذكر أن حجانة ، وهي على اربع مراحل من القيروان «اهلها وقوم يقال لهم : السناجرة ، يقال : ان اولهم من سنجار من ديار ربيعة ، وهم جند للسلطان ، وبها اصناف من العجم من البربر وغيرهم »[٦].

يتبين من هذه النصوص التي انفرد بها اليعقوبي ، وليس في المصادر ما يناقضها :

١ ــ أن العرب احتفظوا في شمالي افريقية إبان القرون الثلاثة الأولى ، وربما بعدها ، بالسمات الأساسية المميزة لهم وهي التمسك بالانتماء القبلي ، ولابد من أن هذا يتبعه تمسك باللغة العربية والدين الاسلامي .

٢ ــ ان عددهم في كل مكان ذكر نزولهم فيه كان كبيراً لدرجة لافتة لنظر . ولكنه لم يحدد هذا العدد في أي مكان .

٣ ــ كون العرب في كل مكان نزلوه جاليات مستوطنة دائمياً ، اي انه كانت معهم نساؤهم وعيالاتهم .

٤ ــ الراجح ان جميع هؤلاء العرب هم من الجند والمقاتلة ، غير أن استقرارهم اضاف اليهم سمات حضارية من حيث الحرف والاعمال والتنظيمات الاجتماعية .

٥ ــ لم يكن أي من المراكز التي ذكر استيطان العرب فيها ، مركزاً لحركة فكرية لافتة لنظر .

---

(٤) البلدان ٣٥٠ (٥) البلدان ٣٥١ (٦) البلدان ٣٤٩ .

٦ ــ لم يذكر اليعقوبي زمن استيطان العرب في المواقع التي ذكرها ، والراجح انهم قوات عسكرية جاءت اما من المشرق او نقلت من المقيمين في القيروان ، وان ارتباطهم كان وثيقا بالدولة .

٧ ــ من المحتمل انهم حافظوا على اعمالهم في اداء الواجبات العسكرية وانهم كانوا يعتمدون في معاشهم على العطاء والرزق الذي توزعه الدولة عليهم على وفق نظم لا تختلف عن ما كان سائداً في الامصار الاسلامية الاخرى .

٨ ــ إن توزع هذه الحاميات في أرجاء البلاد أسهم في استقرار الحكم العربي في المغرب ونشر الاسلام فيه .

٩ ــ ان نقلهم من القيروان أثر في تركيبها السكاني ، غير أنه يجب أن نذكر الزيادات الجديدة التي قدمتها في أوقات مختلفة ، ولعل هذه الهجرات كان لها أثر في تخفيف ازدحام السكان في القيروان ، وجنبها التعقيدات التي ترافق تزايد هذا الازدحام .

١٠ ــ لاتوجد اشارة الى الأسس التي تم بموجبها اختيار من نقل من القيروان الى هذه المناطق .

١١ ــ ان العشائر التي ذكر اليعقوبي توزعها في المغرب هي :

أ ــ رهط عمر بن الخطاب في جزيرة شريك .

ب ــ قوم من قريش في سطفورة والزاب .

جـ ــ أسد بن خزيمة في سطيف .

د ــ سعد بن تميم في طبية وبارم مع مواليهم .

هـ ــ قضاعة في سطيف .

و ــ سائر بطون العرب في جزيرة شريك والزاب .

ز ــ جند بني هاشم القدم في باجة .

ح ــ السناجرة من ربيعة في مماسة .

خ ــ العجم في جزيرة شريك وباجة ومماسة والزاب (مع الافارقة والروم والبربر) .

ي ــ أخلاط من الناس في الاعجاره ، والاريس •

ك ــ قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان في باغاية •

ل ــ عجم البلد من بقايا الروم في باغاية •

ويلاحظ في القائمة التي ذكرهــا اليعقوبي أن كل عشيرة استوطنت معاً في مكان ، غير انه لا تتوفر معلومات عن الدافع لاختيار كل عشيرة دون غيرها وهل أن كل العشيرة نزل او بعضها وظل الباقون في القيروان •

ولابد أن عدداً من مقاتلة القيروان شاركــوا في فتــح الاندلس وكانت حملـة طارق بن زيـاد أكثرهــا من البربـر ، أمــا جيش موسى بــن نصير الذي تلاه فكان فيه ١٢ الف عربي[٧] واستصحب الحر بن يوسف معه اربعمائة من وجوه افريقية[٨] وكانت طالعة بلج عشرة الاف غالبيتهم من القيسين ، وكان المشاركون الاولون يسمون البلدانيين ودخلوا في صــراع مرير مــع القوات الشامية التــي ارسلت فيمــا بعد وقد استوطنت هــذه القوات بــلاد الاندلس لطيبها فاقاموا في نواحيها[٩] •

درس الدكتور عبد الواحد ذنون عشائر البلدانيين واماكن استيطانهم في الاندلس وذكر من عشائرهم الأنصار ، والازد ، وغافق ، ولخم ، وجذام ، والمعافــر ، وتجيب ، وحضرموت ، وخــولان ، وخثعم ، وبجيلة ، ومذحج ، ومراد ، وعبس ، وأود ، وسعد العشيرة ، وزبيد ، وسبأ ، ويحصب ، وقضاعة ، وبلي ، وعنزة • وذكر ايضا هذيلاً ، وتميماً ، وقريشاً ، ونهد ، وزهرة ، وضبة ، كما أن من المستقرين الأوائل سهم ، وسليم ، وعبس ، وذبيان[١٠] •

---

(٧) عبد الواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربــي الاسلامي في شمال افريقية والاندلس ١٧٥ ، وانظر مصادره ص١٩٥ .

(٨) فتح الاندلس ٢٣ .

(٩) نفــح الطيب للمقــرى ٧٧/١ عن الــرازي ، وانظــر تفاصيل وافيه في « فجر الاندلس » لحسين مؤنس .

(١٠) عبدالواحد ذنون : الفتح والاستقرار ٢١٦ ــ ٢٣٨ .

مقرات جديدة للولاة :

من اقوى المؤشرات على أحوال القيروان السكانية والادارية اتخاذ عدد من الولاة مقامهم في مراكز شيدوها خارج القيروان .

القصر القديم والعباسية :

أول من اتخذ مقره خارج القيروان هو ابراهيم بن الأغلب الذي ولي افريقية في زمن هارون الرشيد ثم استقل بالولاية وانتقل من القيروان الى مدينة شيدها سنة ١٨٤ على بعد ثلاثة اميال جنوب شرقي القيروان سماها العباسية ، ثم اشتهرت باسم القصر القديم، فصارت على درجة من الاحكام وحسن المنظر فصارت دار أمراء بني الاغلب ، وقد بنى فيها جامعاً له صومعة مستديرة مبنية بالاجر والعمد ، سبع طبقات لم يبن أحكم منها ولا احسن منظر ، وحمامات كثيرة وفنادق واسواقاً جمة ومواجل للماء ، وكانت تمون القيروان بالماء اذا شح في مواجلها[1] .

وكان للقصر القديم خمسة أبواب، وفيه رحبة كبيرة تعرف بالميدان ويجاورها بنية تعرف بالرصافة[2] ، وكان قد اشترى موضعه من بني طالوت[3] وكانت بقربه العنابية[4] .

---

١ ــ الكامل لابن الاثير ١٥٦/٦ البيان المغرب لابن عذاري ١٤٨/١١٧/١ معالم الايمان ١٠/٢ العيون والحدائق ٣٠٣ . وانظر ايضا دراسة سوليناك في حوليات معهد الدراسات الشرقية في الجزائر م/٤٠ سنة ١٩٥٢ .

٢ ــ المسالك للبكري ٢٨ ، ياقوت ١١٩/٤ ، المقتبس لابن حيان ٣٠٣ .

٣ ــ البيان المغرب ١١٧/١

٤ ــ معالم الايمان ١٠٩/٢ الخشنى ٢٢٢ .

رقـــادة :

وفي سنة ٢٦٣ بنى ابراهيم بن أحمد بن الأغاب رقادة ، وأكمل بناءها بعد سنة ، وفيها قصر الفتح وانتقل اليها من القصر القديـم ، وهي على بعد أربعة أميال من القيروان ، ودورها أربعة وعشرون ألف ذراع وأربعون ذراعاً ، وكانت تتميز باعتدال المناخ وخصب التربة[٥] .

ويذكر ابن الابار أن ابراهيم أجـرى اليها الميـاه واغترس فيها صنوف الثمار والطيب والرياحين ، وبنى على القصور التي أحدث فيهـا سوراً ، احد هذه القصور يسمى بغداد والثاني يسمى المختار ، فصارت أكبر من القيروان بينهما ستة اميال ، فاما ولي زيادة الله هذا انتقل اليها وحفر بها حفيراً بناه صهريجا طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع ، وأجرى اليه ساقية وسماه البحر وبنى فيها قصرا سماه العروس على أربع طبقات انفق فيه مائة الف دينار ، وكان عبيدالله يقـول رأيت ثلاثـة اشـياء بافريقية لـم أر مثلهـا في الشـرق منها هذا القصر[٦] .

وظلت دار ملك بني الأغاب الى أن هرب عنها زيادة الله من ابي عبيد الله الشيعي ، ثم تدهورت بعد أن انتقل عنها عبيدالله الفاطمي سـنة ٣٠٨ فدخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ، ولم تزل تخرب شيئا بعد شيء الى ان ولي معد ابن اسماعيل فخرب مابقي منها وعفا اثارها وحرث منازلها ولم يبق منهـا غير بساتينها[٧] وقد اباح ابراهيم بن احمد شرب النبيذ بها[٨] .

٥ ــ البيان المغرب ٢٦٣/١ اثار البلاد للقزويني ١٩٩ .

٦ ــ الحلة السيراء ١٧٦/١ .

٧ ــ المسالـك للبكـري ٢٧ ، وانظـر الاصطخرى ٣٩ ابن حوقـل ٧٣ ، معجم البلدان ٧٩٧/٢ .

٨ ــ معجـم البلـدان ٦٩٥/٤ .

المهديــــة :

ولما مدّ الفاطميون سلطانهم الى منطقة القيروان قدم عبيدالله المهدي الى رقادة ودخلها في رجب سنة ٢٩٦ ، وسلم عليه اهل القيروان بالخلافة ، وبايعوه على الطاعة[١٠]، وكانت القيروان حينئذ اوفر ماتكون علماً وتجارة وخاصة[١١]. غير ان الخلافات استعرت ، واتخذ بعض الثائرين علــى الفاطميين مقرهــم في القيروان وساندهم اهلها ؛ فلما قضى عبيد الله المهدي على التمرد قرران يتخذ له مقراً جديداً،واختار له موقعاً على البحر يبعد قرابة مرحلتين عن القيروان،وبدأ بتشييده، سنة ٣٠٤ ثـم انتقـل اليه سنة ٣٠٨ بعـد ان اكتمـل فعظـم بناءه ، وسمــاه المهديــة[١٢] .

وصف المقدسي المهدية بانها « خزانة القيروان ، ومطــرح صقليه ومصر ، عامرة آهلة ، من احب ان ينظر الى القسطنطينيــة فلينظر اليها ولايتغنــى الى بلد الروم فانها على عملها في جزيرة يدخل اليها من طريق واحد مثل الشرك[١٣]»

وذكر ابن حوقل أن المهدية « فرضة لما والاها من البلاد ، كثيرة التجارة ، حسنة السور والعمارة ، منيعة ، ولها سور من حجارة ، وله بابان ليس لهما فيما رأينا من الارض شبيه ولا نظير غــير البابين اللذين في ســـور الرافقــة ، وعلى مثالهما عملا، ومثــل شكلهما اتخذا . كثــيرة القصور ، نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحمامــات والخانــات .. ادركتها سنة ٣٣٦ .. فقــد اختلت احوالها ، والتاثت اعمالها ، وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها ، وبعدهــم منها ، وكان اول نحس أظلها ابو يزيد مخلد بن كيداد وخروجه بالمغرب على اهلها ، واناخت المناحس عليها الى الآن ، وقد بقى فيها بعض رمق ، وانتقل عنها رجالهــا بانتقال المنصور عليه السلام عنها وبعده منها وسكناه المنصورية من ظهر القيروان[١٤] .

---

(١٠) الفاطميون في مصر للدكتور حسن ابراهيم حسن ١٢ ــ ١٣ .
(١١) العيون والحدائق ٢/٢٢٠ (طبعة نبيلة عبد المنعم) .
(١٢) البيان المغرب ١/٢٤٣ ، ٢٥٨ .
(١٣) احسن التقاسيم ٢٣١ . (١٤) ابن حوقل ٧٣ .

وذكر الحميري تفاصيل عن موقعها وسورها . وقال ان « البحر قد احاط بها من جهاتها الثلاث ، وانما يدخل اليها من جانب الغرب ، وربضها يعرف بزويله فيه الاسواق والحمامات » وان « المهدية يسكنها السلطان وجنوده ، وزويلة يسكنها الناس[١٥] .

صبرة (المنصورية):

وفي سنة ٣٣٧ بنى المنصور بن القاسم مدينة صبرة وسماها المنصورية واستوطنها ، فصارت منزل الولاة الى حين خرابها ، ونقل ياقوت عن البكري « صبرة متصلة بالقيروان بناها اسماعيل بن القاسم بن عبيدالله سنة ٣٣٧ » وذكر انه عندما بنيت « خلت اكثر مدينة المهدية وتهدمت »[١٦] .

وصف المقدسي صبرة فقال « وهي مدورة مثل الطاس لاترى مثلها ، ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام ، والماء يجري وسطها ، شديد العمارة حسنة الأسواق بها جامع السلطان . وعرض سورها اثناء عشر ذراعاً ، منفصلة عن العمارة بينها وبين القصر عرض الطريق . وتجارها يغدون ويروحون اليها من المصر على حمير مصرية ، والابواب : باب الفتوح وباب زويلة وباب وادي القصارين وكلها محددة الحيطان آجر مكحل بالحجر[١٧] .

ونقل البكري ان معد بن اسماعيل نقل اليها اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ، وأن لها خمسة ابواب هي الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب الفتوح وباب كتامة ، وظلت المنصورية الى سنة ٤٤٢ حين خربتها غارات الاعراب .[١٨]

---

(١٥) الروض المعطار ٥٦١ ـ ٥٦٢ ، وانظر تفاصيل اوفى ص١٧٦ وانظر ايضاً : المسالك للبكري ٢٩ ـ ٣٠ .

(١٦) معجم البلدان ٣/٢٦٦ .

(١٧) المقدسي ٢٢٦ .

(١٨) البكري ٢٦ ، وانظر : النجوم الزاهرة في حلى مصر والقاهرة لابن سعيد ٣/٢٤٢ .

المهديـــة :

ولما مدّ الفاطميون سلطانهم الى منطقة القيروان قدم عبيدالله المهدي الى رقادة ودخلها في رجب سنة ٢٩٦ ، وسلم عليه اهل القيروان بالخلافة ، وبايعوه على الطاعة[١٠]، وكانت القيروان حينئذ اوفر مايكون علماً وتجارة وخاصة[١١]. غير ان الخلافات استعرت ، واتخذ بعض الثائرين علـى الفاطميين مقرهـم في القيروان وساندهم اهلها ، فلما قضى عبيد الله المهدي على التمرد قرران يتخذ له مقراً جديداً،واختار له موقعاً على البحر يبعد قرابة مرحلتين عن القيروان،وبدأ بتشييده، سنة ٣٠٤ ثـم انتقـل اليه سنة ٣٠٨ بعـد ان اكتمـل فعظـم بناءه ، وسمـاه المهديـة[١٢] .

وصف المقدسي المهدية بانها « خزانة القيروان ، ومطـرح صقليه ومصر ، عامرة آهلة ، من احب ان ينظر الى القسطنطينيـة فلينظر اليها ولايتغنـى الى بلد الروم فانها على عملها في جزيرة يدخل اليها من طريق واحد مثل الشرك[١٣]»

وذكر ابن حوقل أن المهدية « فرضة لما والاها من البلاد ، كثيرة التجارة ، حسنة السور والعمارة ، منيعة ، ولها سور من حجارة ، وله بابان ليس لهما فيما رأينا من الارض شبيه ولا نظير غـير البابين اللذين في سـور الرافقـة ، وعلى مثالهما عملاً ومثـل شكلهما اتخذا . كثـيرة القصور ، نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحمامـات والخانـات .. ادركتها سنة ٣٣٦ .. فقـد اختلت احوالها ، والتاثت اعمالها ، وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها ، وبعدهـم منها ، وكان اول نحس أظلها ابو يزيد مخلد بن كيداد وخروجه بالمغرب على اهلها ، واناخت المناحس عليها الى الآن ، وقد بقى فيها بعض رمق ، وانتقل عنها رجالهـا بانتقال المنصور عليه السلام عنها وبعده منها وسكناه المنصورية من ظهر القيروان[١٤] .

---

(١٠) الفاطميون في مصر للدكتور حسن ابراهيم حسن ١٢ ــ ١٣ .
(١١) العيون والحدائق ٢/ ٢٢٠ (طبعة نبيلة عبد المنعم) .
(١٢) البيان المغرب ١/٢٤٣ ، ٢٥٨ .
(١٣) احسن التقاسيم ٢٣١ . (١٤) ابن حوقل ٧٣ .

أول ما عمله عندما ترك القصر أنه وزع دورها على كتامة حيث انهم شيعة الفاطميين واهل دعوتهم[٢١] . وثارت بين كتامة وأهل القيروان عدة فتن

ففي سنة ٢٩٦ ثارت فتنة بين كتامة وأهل القيروان ، فقتل فيها خلق كثير ، نخرج المهدي وسكن الفتنة، وكف الدعاة عن طلب التشيع من العامة[٢٢].

وفي سنة ٣٢٩ كانت وقعة بين القيروانيين و الكتاميين ، قتلوا منهم في يوم واحد اكثر من الف رجل[٢٣] وفي السنة التالية خالف عروبة بن يوسف الكتامي بالقيروان فاجتمع عليه خلق كثير من كتامة والبربر ، فاخرج اليهم المهدي مولاه غالباً ، فاقتتلوا قتالا شديداً في فحص القيروان ، فقتل عروبه وبنو عمه ، وقتل منهم عالم لايحصون[٢٤] .

ولقيت القيروان عدداً من الاحداث التي اصيب فيها أهل القيروان بالأذى ، وقتل منهم عدد غير قليل ، لكن هذه الأحداث كانت وقتية لم تؤد الى تدميرها .

ففي سنة ٣٢٩ وكان ابو يزيد الخارجي أسر من أهل القيروان خلق كثير ودخل القيروان بعسكره فانتهبوا البلد وقتلوا[٢٥] غير ان الفاطميين دحروهم واسترجعوا القيروان ، وانهزم ابو يزيد هزيمة منكره ، وقتل جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان[٢٦] واسترجع المنصور القيروان[٢٧] .

---

(٢١) المقفى الكبير للمقريزي ٣١ ، ٨١ .
(٢٢) اتعاظ الحنفا ٦١/١ ، المقفى الكبير ٩١ .
(٢٣) البيان المغرب ٢٦٦/١ .
(٢٤) اتعاظ الحنفا ١٠٠/١ ، ابن الاثير ٣٤/٨ .
(٢٥) اتعاظ الحنفا ١١١/١ .
(٢٦) التعاظ الحنفا ١١٥/١ .
(٢٧) اتعاظ الحنفا ١٥١/١ .

وفي سنة ٣٣٣ سار مخلد بن كيداد الاباضي الى رقادة واخرج من بها من كتامة بعد أن قتل منهم خلقاً كبيراً ثم زحف الى القيروان فدخلها .. ونهب القيروان وسباها وكانت أمور عظيمة . وقتل من مشارقة القيروان سبعمائة[٢٨] .

وفي سنة ٣٣٤ خرج ابو طاهر اسماعيل من المهدية فوصل القيروان ، وولى عليها مخلد بن كيداد ، فملكها وأمر بحفر الخندق في الموضع الذي نزل فيه[٢٩] .

وفي سنة ٣٤١ امر المنصور بكتابة اولاد القواد ووجوه الدولة وضعفاء الناس من أهل القيروان وغيرها . فبلغوا اكثر من عشرة الاف[٣٠] .

احتفاظ القيروان بمكانتها :

غير ان هذه الاحداث لم تزعزع مكانة القيروان العلمية وازدهارها مما اشاد به عدد غير قليل من المؤلفين العرب ، فقال محيى الدين عبدالواحد المراكشي ان القيروان كانت « دار ملك المسلمين بافريقية منذ الفتح ، لم يزل الخلفاء من بني امية وبني العباس يولون عليها الامراء من قبلهم الى ان اضطرب أمر بني العباس واستبد الاغالبة بالملك بعض الاستبداد ، وهم بنو اغلب بن محمد بن ابراهيم بن اغلب التميميون ، فاتخذوا القيروان داراً لملكهم . ثم ولوا عليها حين ارتحلوا الى مصر زيري بن مناد الصنهاجي فلم يزل زيري وبنوه ملوكا عليها »[٣١] .

ويقول ايضا « وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ الفتح الى ان

(٢٨) البيان المغرب ٩٨/١ العبر لابن خلدون ١٤٠/٤ – ٢ .
(٢٩) المقفى الكبير ١٢٠ .
(٣٠) المقفى الكبير ١٨٤ .
(٣١) المعجب في اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ٣٥٥ .

خربتها الاعراب دار العلم بالمغرب ، ينسب اليها اكابر علمائه ، واليها كانت رحلة اهله في طلب العلم »[٣٢] ،ويقول الادريسي « ومدينة القيروان ام امصار وقاعدة أنطار ، وكانت أهم مدن الغرب طرا وأكثرها بشراً وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا وأتقنها بناءا وأنفسها همما وأربحها تجارة وأكثرها جباية وأنفقها سلعة وأنماها ربحاً وأجبرهم عصياناً وأطغاهم أغماراً • والغالب على فضلائهم التمسك بالخير والوفاء بالعهد والتخلي عن الشبهات وأجتناب المحارم والتفنن في محاسن العلوم والميل الى القصد »[٣٣] •

ويقول الحسن بن محمد الوزان « وقد ازد هرت العلوم الاسلامية بالقيروان في تاريخها حتى ان معظم فقهاء افريقية من المتخرجين منها »[٣٤] •

وكانت الحركة الفكرية فيها تسير في مواضيعها واتجاهاتها على نفس ما كان يجري في المشرق ولاسيما في بغداد والحجاز من الاهتمام بالفقه والحديث واللغة ، ولم تظهر فيها اثار التيارات المحلية ، كما انها لم تكن مركزاً لنقل علوم الاغريق أو لانماء دراسات علوم الاوائل ، وقد قدمها عدد من علماء المشارقة للتدريس وليس للدراسة ، كما قدمها عدد كبير من أهل الاندلس للدراسة •

ووصف المقدسي القيروان ومما قاله : « انها تكون أقل من ثلاثة أميال في مثلها ، بلاسور وشربهم من مواجيل وصهاريج ، وبنيانهم مدروآجر •• انها مفخرة المغرب ومركز السلطان واحد الاركان ، ارفق من نيسابور ، واكبر من دمشق ، وآهل من اصبهان ، الا ان ماءهم ضعيف وادبهم طفيف ، والضرائب موضوعة على أصحاب الدكاكين ؛ وأسواقهم معطلة ، وهي فرضة المغربيين ومتجر البحرين •

---

(٣٢) المعجب ٣٥٦ •
(٣٣) الادريسي : وصف افريقية ٨٠ طبعة بيريز •
(٣٤) وصف افريقية ٢/٩٠ •

وذكر أن أهلها حنفية ومالكية مع إلفة عجيبة لاشغب بينهم ولا عصبية[٣٥] وهذه ظاهرة تلفت النظر اذا قورنت بكثير من المدن الاسلامية التي كان في الغالب كل منها ينقسم الى كتلتين متخاصمتين .

وذكر ابن حوقل « كانت القيروان اعظم مدينة بالمغرب . واكثرها تجراً واموالاً . واحسنها منازل واسواقاً ، وكان فيها ديوان جميع المغرب ، واليها تجبى اموالها ، وبها دار سلطانها ، وبظاهرها المكان المدعو رقادة وهو مدينة كانت منازل لآل الاغاب »[٣٦] .

غير ان الضربة القاضية على القيروان حلت عندما اخلاها الزيريون فاجتاحها الهلاليون ، وفي هذا يقول ابن عذاري « كانت القيروان اعظم مدن المغرب طراً ، واكثرها بشراً وايسرها أموالاً ، وأوسعها أحوالاً ، وكان الغالب على اهلها التمسك بالخير والتخلي عن الشبهات واجتناب المحارم الى ان توالت الجوائح عليها بدخول العرب فيها على ما يأتي ذكره ، فلم يبق بها الا أطلال دارسة واثار طامسة »[٣٧] .

ووصف اخلاء الزيريين القيروان فقال « نادى مناد في القيروان بانتقال من يسكن فيها من الصنهاجيين الى المنصورة ، ثم نادى مناد آخر بعد ذلك باغلاق الحوانيت بالقيروان وفنادقها ، فاغلقت ولم يبق بها الا بعض حوانيت الأحباس ، وبلغ كراء حانوت بالمنصورية مائتي درهم لبيع الكتان ، وما سمع ذلك في كراء حانوت بالقيروان فكان ذلك سبب خرابها »[٣٨].

---

(٣٥) احسن التقاسيم ١٢٤ .
(٣٦) ابن حوقل ٩٤ .
(٣٧) البيان المغرب ١/٢٩٤ .
(٣٨) البيان المغرب ١/٣٧٦ .

ويذكر أيضاً أن السلطان أمر « ان ينقل عامة أهل صبرة وسوقها الى القيروان ، ونقلوا الحوانيت كلها بصبرة ، وأمر جميع من بالقيروان من الصنهاجيين وغيرهم من البربر ان ينتقلوا الى صبرة ، وينزلوا في حوانيتها وأسواقها ، فارتج البلد لذلك وعظم الخطب واشتد الكرب ومد العبيد ورجال صنهاجة ايديهم الى خشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها ، وخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة ، وبات الناس في خوف عظيم »(٣٩) .

ونقل عن ابي شرف وصف الاضطراب والهلع في القيروان ثم انهيار مقاومتها فقال « وبات الناس ليلتين بالقيروان تحت ما لا يعلمه الا الله تعالى من الخوف لا يدرون ما ينزل،بساحتهم واقام الناس يومين لا يدخل اليهم داخل ولا يخرج منهم خارج ، وخيل العرب تسرح حول القيروان في كل جهة، ومكان الناس يرونهم عياناً بياناً » ولجأ أهل البوادي الى القيروان (٤٠).

ثم نقل ابن شرف عن شاهد عيان قوله « خرجت من القيروان وسرت ليلا فكنت اكمن النهار فلم أر قرية الا وقد سحقت واكات ، واهلها عراة امام حيطانهم من رجل وامرأة وطفل يبكي جميعهم جوعاً وبرداً ، وانقطع الميرعن القيروان ، وتعطلت الأسواق ، وأمسك العرب جميع من رأوه فلم يطلقوا أحداً الا بالفداء مثل اسرى الروم ، واما الضعفاء والمساكين فأمسكوهم لحسد منهم» (٤١) .

تقدمت جموع العرب الى باب تونس لاكتساح القيروان « فخرج اليهم العامة : منهم من يحمل السلاح ومنهم من بيده عصاً لايدفع بها اضعف الكلاب ، فحملت عليهم فرسان العرب وتمكنت منهم سيوفهم ورماحهم ، فتساقطوا على وجوههم وجنوبهم ، وسطحوهم من حد افران الاجر الى هذا الباب ولم يبق الا من حصنه أجله ، ولم يتركوا على حي ولا ميت خرقة تواريه .. وبقي خلق من الغرباء في المقتلة ، وجرح من الناس خلق كثير ، ورأى الناس ما أذهلهم من قبيح الجراحات ، وكان هذا يوم مصائب وانكاد ونوب لم ير الناس مثله في

(٣٩) البيان المغرب ٤٢١/١ .
(٤٠) البيان المغرب ٤٢٣/١ .
(٤١) البيان المغرب ٤٢٢/١ .

سائر الامصار في ما مضى من الاعصار وبات الناس في هم وغم[٤٢] .

واشار محيي الدين عبدالواحد المراكشي الى خرابها فذكر انها ظلت قائمة مزدهرة الى ان اخرج العرب آخر حكامهم تميم بن المعز بن باديس « فانتهبها الأعراب وخربتها فبي كذلك خراب الى اليوم (سنة ٥٦٢) فيها عمارة قليلة ، يسكنها الفلاحون وارباب البادية ، ويذكر أنه لما استولى عليها الخراب « تفرق أهلها في كل وجه ، فمنهم من قصد بلاد مصر ، ومنهم من قصد صقلية والاندلس ، وقصدت منهم طائفة عظيمة اقصى بلاد المغرب فنزلوا فاس فعقبهم بها الى اليوم »[٤٣] .

ويذكر ابن عذاري انه في زمنه، أي اخر المائة السابعة، ابتدأت بالعمارة[٤٣أ] غير انها لم تستعد مكانتها الاولى ، فيذكر الادريسي « فسلط الله سبحانه عليها العرب ، وتوالت الجوائح عليها حتى لم يبق منها الا اطلال دارسة وآثار طامسة ، وهي الآن في وقتنا هذا على جزء منها سور ، وولاة امورها العرب وهم يقبضون ما يتوفر من جباياتها ، وبها أقوام قليلون تجاراتهم يسيرة ومنافعها نزرة ، ومياهها قليلة وشرب اهلها من ماء الماجل الكبير الذي بها »[٤٤]

ويقول الحسن بن مهدي الوزان « وبعد أن خرب الأعراب القيروان أخذت في الوقت الحاضر تمتلىء بالسكان ولكن بكيفية بائسة ، فليس فيها الآن غير صناع فقراء اكثرهم يصبغون جلود الغنم والماعز ويبيعونها ملابس جلدية في مدن نوميديا التي لا توجد بها الاقمشة الاوربية ، فهذه الحرفة لا تضمن لهم الا معاشا موقتاً بالاضافة الى ان ملك تونس يثقل كاهلهم بالضرائب ، وبذلك غدت معيشتهم ضنكا »[٤٥] .

ويلاحظ ان وثائق الجنيزا تذكر ان القيروان مدينة ضعيفة وفقيرة ، وبمجرد ان تصلها بضائع بكميات كبيرة فان هذه البضائع لا تباع[٤٦] .

(٤٢) البيان المغرب ٤٢٣/١ – ٢٤٣ .
(٤٣) المعجب في اخبار المغرب ٣٥٦ (طبعة مصطفى السقا) .
(٤٣أ) البيان المغرب ٢٩٤/١ . (٤٤) افريقية ٨٠ طبعة بيريز .
(٤٥) وصف افريقيه ٩٠/٢ .
(٤٦) جوتيين : دراسات في التاريخ الاسلامي ٢٣٧ .

خطط العرب وتنظيمهم في القيروان

ليس من اليسير تقديم صورة شاملة لتنظيم خطط القيروان في العهود الاولى من تأسيسها ، لان هذا التنظيم تعرض لتطورات بسبب نقل قوات من القيروان الى مناطق اخرى في المغرب والى الاندلس ، وبتابل ذلك مجيء امدادات متتابعة من المشرق • ثم ان المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ هذه البلاد عنوا بذكر الحوادث السياسية والحربية ، ولم يعنوا كثيراً بذكر التركيب البشري للمقاتلة والقوات التي أسهمت في الحوادث ، وقصروا في ذلك على ذكر اسماء بعض البارزين واسهاماتهم في الحوادث ، أما كتب الرجال والتراجم فاكثر عنايتها بذكر العلماء الذين كان عدد البارزين المذكورين فيها محدوداً ، والعناية في اختيارهم ترجع الى اسهاماتهم في الحركة الفكرية ، والعدد الذي ذكرت المصادر انتماءهم القبلي قليل لا يؤمن جمعه تقديم صورة واسعة دقيقة لتنظيم أهل القيروان ، وخاصة العرب •

لم أجد في المصادر ذكراً للتعابير المألوفة في وصف تنظيم كثير من الأمصار العربية في المشرق مثل « الخطط » و « الأرباع » و « العرفاء » و « المناكب » بل حتى « الرؤساء » و « الأشراف » «والسادة »[1] • ان النص الوحيد الشامل الذي وصل الينا هو ما ذكره اليعقوبي حيث قال « في مدينة القيروان أخلاط من قريش ، ومن سائر بطون العرب من مضر ، وربيعة ، وقحطان ، وبها أصناف من عجم البلاد البربر والروم وأشباه ذلك[1أ] ولا ريب في ان هذا النص مهم ، نظرا لما عرف به اليعقوبي من اهتمام بتسجيل الاحوال السكانية ، غير أنه مقتضب جدا ، كما انه لا يحدد حجم كل من هذه المجموعات ومواضع خططها •

أشار بعض المؤلفين عرضيا الى خطط بعض العشائر ومساجدها وألمحوا الى مواضعها مما له فائدة في تحديد بعض المعالم الخططية في

---

(١) انظر كتابنا : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .

(١ أ) البلدان ٣٤٨ .

القيروان فمما ذكر انه كانت للأنصار رحبة ومسجد وضع سنة ٤٧ بمحرس الأنصار قبل ان تخط القيروان[٢] وان المحرس اختطه « رويفع بن ثابت الأنصاري » ولم يزل العلماء والأبدال يتناوبونه ويعرفونه ، وله بركات مشهورة[٣] ، وقد خرب المسجد فعمره يوسف بن حسون بعد خرابه[٤] .

وبمحرس الأنصار أيضا مسجد اسماعيل بن عبيد الأنصاري وهو المسجد المعروف بمسجد الزيتون ، وهو المسجد الكبير قبلي الجامع[٥] . ويروي ابن الدباغ ان مسجد الانصار اختطه رويفع وهوافضل مساجد القيروان واقدمها[٦] .

ووردت اشارات الى خطط في القيروان وأطرافها لعددمن العشائر اليمانية والمضرية .

فكانت للمعافر قرية فيها مسجد بقرب قابس[٧] .

والصدف قرية على خمسة أميال من القيروان[٨] .

وللحضرميين بلد كان فيها رياح ، وكان من شيوخها خنفز[٩] وكان لولد عاشور اليحصبي فيها مطمور شعير[١٠] .

ولليحصبيين حارة نسب اليها ابو علي اليحصبي وابوه من البلديين[١١] . وذكرت البلوية مقبرة دفن فيها الحسن بن محمد ، وابو زمعة البلوي[١٢] ، ولهم قلة بباب تونس[١٣] .

وكانت منازل الفهريين في الاطراف الشمالية من الجامع[١٤] .

---

(٢) معالم الايمان ١/ ١٣٦ .
(٣) معالم الايمان ٢٧/١ .
(٤) معالم الايمان ١٠٢/١ .
(٥) رياض النفوس ١٠٧/١ .
(٦) معالم الايمان ١٢٥/١ .
(٧) معالم الايمان ١٦٩/٣ .
(٨) ياقوت : معجم البلدان ٣٧٥/٣ .
(٩) معالم الايمان ١٠٨/٤ .
(١٠) معالم الايمان ٢٠٩/٤ .
(١١) الحلل السندسية ١٥٠ .
(١٢) معالم الايمان ٩٨/١ .
(١٣) ابو العرب ٧٧ ؛ رياض النفوس ٥٥/٣ .
(١٤) البكري ٤٨ .

وللقرشيين رحبة فيها مسجد[١٥] ولهم مقبرة في باب سلم دفنت فيها بنت لعبدالله بن عمر في اوائل تأسيس القيروان[١٦] ، ولعل هذه المقبرة هي التي سمتها المصادر المقبرة العظمى في باب سلم[١٧] •

المساجد الاولى : ـ

ذكر ابن الدباغ أن التابعين اختطوا ثلاثة مساجد هي مسجد ابن عبدالرحمن الحبلي ، ومسجد حنش الصنعاني ، ومسجد علي بن رباح اللخمي وانشأوا ايضاً مسجد السبت ، ومسجد الخميس ، ومسجد عبدالله[١٨] •

فأما مسجد عبدالرحمن الحبلي فكان بدرب أزهر قرب باب تونس ، ويسمى مسجد الرياض ، وظل عامراً الى زمن ابن الدباغ ، وكان يقع في الدرب المعروف باولاد عنبة[١٩] •

وأما مسجد حنش الصنعاني فكان بباب الريح ، وهو مسجد ابن اسحاق السبأي ، وصار فيما بعد يدعى مسجد علي[٢٠] •

وعند الدمنة مسجد السبت وهو يلاصق السور القديم من الجبلي ، وصار فيما بعد بمسجد الغربي •

ذكر ابن الدباغ اسماء عدد من الصحابة والتابعين ممن نزل القيروان واقام بها دائمياً أو مؤقتاً • وممن ذكرهم : من الأنصار (١) كعب بن عمرو ، (٢) وفضالة ، (٣) ورويفع (٤) وجبيلة الساعدي ، ومن قريش (٥) عبدالله ابن عمر (٦) عبدالله بن العباس ، (٧) وعبدالله بن الزبير ، (٨) وعبدالله بن سعد ابن ابي سرح ، (٩) والمسيب بن حزن المخزومي ، (١٠) ومعاوية بن حديج ، (١١) وحبيب بن ارقم البدوي •

---

(١٥) ابو العرب ٧١ ، رياض النفوس ١/٥٥ .
(١٦) ابو العرب ٧٨ ؛ معالم الايمان ١/١٨٥ .
(١٧) ابو العرب ٥٣ .　　(١٨) معالم الايمان ١/٢٨ ــ ٣٠ .
(١٩) معالم الايمان ١/٣٠ ــ ٣١ .　　(٢٠) معالم الايمان ١/٢٨ .

ومن اهل الحجاز (١٢) عمرو بن عوف المزني (١٣) سلمة بن الاكوع المزني ، (١٤) وبلال المزني (١٥) وابو ذر الغفاري (١٦) وحمزه الأسلمي ، (١٧) وعبدالله بن أنيس الجهني (١٨) وعقبة بن عامر الجهني (١٩) والمقداد ابن عمرو البيراني .

ان هذه القائمة تشمل البارزين من الصحابة والتابعين ، وهي قد تشير الى العشائر التي شاركت في الفتوح وتأسيس القيروان ، الا أنها قائمة قصيرة غير مستوعبة ، علما ان كثيراً منهم لم يختط في القيروان او يستقر مقامه فيها .

وذكر ابن الدباغ كذلك واحداً وعشرين رجلاً ممن دفنوا في باب سلم ، والعشائر التي ينسب اليها كل منهم ؛ وهذه الاسماء تشير الى العشائر الاولى التي استوطنت القيروان ، علما ان القائمة غير مستوعبة .

قريش[١] يحيى بن محمد[٢] ابراهيم بن يوسف .

الأنصار[٣] مروان بن محمد[٤] علي بن محمد مدلج[٥] محمد بن احمد

نصر[٦] محمد بن الطيب .

غنم[٧] سعيد بن محمد[٨] احمد بن خليل .

تميم[٩] غانم بن مسرور[١٠] ابو العرب[١١] محمد بن مسعود[١٢]

عتيق بن اسحاق المعاضمر[١٣] ، محمد بن خيرون[١٤] ابراهيم بن حسن .

غافق[١٥] احمد بن موسى[١٦] ابو القاسم بن عبدالرحمن .

الازد[١٧] محمد بن أبي داوود[١٨] احمد بن موسى .

زويلة[١٩] محمد بن الحسن[٢٠] احمد بن ابي بكر .

لواتة[٢١] محمد بن ابي موسى[٢٢] .

مذكورون في « معالم الايمان » بالتتابع :

(١) ٢٥٢/٣ . (٢) ١٠٤/٤ . (٣) ٦٠/٣ . (٤) ٢١٥/٣ .
(٥) ٤٥/٤ . (٦) ٢٣/٢٤ . (٧) ٢١٥/٢ . (٨) ٢٢٦/٣ .
(٩) ٢٧٨/٢ . (١٠) ١٢٦/٢ . (١١) ٦٧/٣ . (١٢) ٢٤/٣ .
(١٣) ٢١٥/٢ . (١٤) ٢٢٧/٢ . (١٥) ١٩٧/٢ . (١٦) ٣٨٩/٣ .
(١٧) ١٩٧/٢ . (١٨) ١٠٤/٢ . (١٩) ١٣٠/٣ . (٢٠) ١٦٢/٣ .
(٢١) ١٩٨/٣٠ .

البربر : –

كانت غالبية سكان شمالي افريقية من البربر ، وهم قبائل متعددة ، ولم تكن علاقاتهم طيبة مع الروم ، ولعل هذا من أهم عوامل عدم تحمسهم في مقاومة العرب ، ثم في اقبالهم على اعتناق الاسلام والانضمام الى جيوشه منذ زمن مبكر ، وكان أغلب البربر من في منطقة القيروان من لواتة ونفزاوة ونفوسة[1].

واول ذكر لاتصال البربر بالمقاتلة المسلمين يرجع الى زمن ولاية عقبة بن نافع حيث يذكر النويري انه عندما تقدم عقبة انسحب البربر وأخذ عقبة من أسلم منهم وضمهم الى الجيش الوارد عليه[2] وعندما تقدم عقبة موغلاً في بلاد المغرب سنة ٦٩هـ خلف زهير بن قيس البلوي ومعه نفر كبير من البربر عدتهم ألفين ، ومن العرب أربعة آلاف[3] .

ويقول ابن عبدالحكم ان عقبة بن نافع عندما تقدم الى الاوراس ابقى في القيروان عمر بن علي وزهير بن قيس ، خالفه رجل من العجم في ثلاثين الفا[4] وقد يفهم من هذا الكلام ان هؤلاء الثلاثين ألفاً لم يكونوا منذ البدء مع العرب ، أو أنهم كانوا مع العرب ثم انشقوا عليهم .

وعندما أسس عقبة بن نافع القيروان أسلم بعض البربر[5]ولما تقدم حسان بن النعمان الغساني لقتال الكاهنة « كان مع حسان جماعة من البربر من البتر يقال لهم العتم فولى عليهم الأكبر من ولد الكاهنة واكرمه وقربه[6] من البتر .

ولما دحر حسان الروم واستأمن البربر اليه لم يقبل أمانهم حتى يعطوه من جميع قبائلهم إثني عشر ألف فارس يكونون مع العرب برسم الجهاد ، فأجابوه

(١) حسين مؤنس : فتح العرب المغرب ٢٨٤ .
(٢) نهاية الارب ١٦٨ (المخطوط) .
(٣) رياض النفوس ٩/١٩٩ .
(٤) ابن عبدالحكم ١٩٨ .
(٥) اسد الغابة ١٨١/٢ . (٦) ابن عبد الحكم ٢٠١ ، معالم الايمان ٦٥ .

الى ذلك ، وأسلموا على يديه ، فعقد لولدي الكاهنة بعد اسلامهما ، لكل واحد منهما ستة الآف فارس من البربر ، وجعله واليا عليهم ، وأخرجهم مع العرب يفتحون افريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر ، فمن ذلك صارت الخطط بافريقية للبربر ، فكان يقسم الفيء والارض بينهم ، فحققت طاعتهم له واذعنت له افريقية ، ودون الدواوين[٧] ووضع الخراج على عجم افريقية وعلى من اقام معهم على النصرانية، وعامتهم من البرانس الا قليلاً من البتر[٨] . وكان جيش طارق بن زياد الذي عبر الى الاندلس اثني عشر الف فارس[٩] ، وهو العدد الذي جعله عليهم حسان بن النعمان .

وفي زمن خلافة عمر بن عبدالعزيز ولي اسماعيل بن عبدالله الانصاري افريقية ، فعمل على نشر الاسلام فيه[١٠]، ثم اعقبه اسماعيل بن ابي المهاجر لعمر بن عبد العزيز ايضاً وكان « مازال حريصاً على دعاء البربر الى الاسلام حتى اسلم بقية البربر بافريقية على يديه[١١] .

ولما ولي يزيد بن ابي مسلم افريقية سنة ١٠١ ﻫ أخذ موالي موسى بن نصير من البربر فوشم ايديهم ، وخمسهم أخماساً ، وأحصى أموالهم وأولادهم ثم جعلهم حرسه وبطانته « وكان حرس يزيد بن أبي مسلم حين قدم البربر ليس فيهم الا بتري ، وكانوا هم حرس الولاة قبله ، ليس فيهم من البرانس[١١] « وكان البربر يحرسونه ، فقام على المنبر خطيباً : انى رأيت أن أرسم حرسي في ايديهم كما تصنع ملوك الروم في حرسها ، فأرسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره الحرس ، ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس » غير أن هؤلاء الحرس استاؤوا من ذلك وقتلوه[١٢] .

---

(٧) رياض النفوس ١٧٤/١ ؛ معالم الايمان ٦٧/١ .
(٨) ابن عبدالحكم ٢٠١ .
(٩) ابن عبدالحكم ٢٠٤ ، فتوح البلدان ١٣٤ ؛ البيان المغرب ٤٦/١ ؛ ابن الرقيق ٦٤ .
(١٠) البيان المغرب ٤٥/١ .
(١١) ابن عبدالحكم ٢١٤ . (١٢) ابن عبدالحكم ٢٠٤ ؛ البيان المغرب ٤٩/١ .

والبرانس مجموعة من القبائل البربرية ، مواطنها في جبال اوراس ؛ اما البتر فكانت مواطنهم الاولى في ليبيا ، وابرز عشائرهم لواتة ، ونفوسة ، ونفزة(١٣) .

ولابد من ان عدداً من البربر استوطن القيروان منذ أول تأسيسها ، والراجح أن عدداً منهم سكن قرب دار الامارة حيث كانوا حرس الوالي(١٣) ؛ كما أن اعدادا منهم من غير الحرس سكنت القيروان وكان بعضهم في العطاء ، واخرون يعملون في السوق ، ولكن لاتوجد اشارة الى قطاع خاص سكنوه في القيروان .



---

(١٣) ابن عبدالحكم ٢١٤ .

(١٣) انظر : دائرة المعارف الاسلامية . مادة (بربر) (البتر) (البرانس) وانظر تفاصيل أوفى في تاريخ ابن خلدون .

(٢) المعالـم الخططية والعمرانية

الســـور : ـ

يقول البكري « كان للقيروان في القديم سور طوب سعته عشرة أذرع ، بناه إبن الاشعث بن عقبه الخزاعي سنة أربـع وأربعين ومائة ، وهو أول قائد دخل افريقية للمسودة (العباسيين) .

وكان في قبليه باب سوى (!) الأربعة وهو بين القبلة والمغرب ، وبين القبلة والمشرق باب أبي الربيع ، وفي شرقيه باب عبدالله وباب نافع ، وفي جنوبيه باب أصرم وباب سلم . فهدم هذا السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بأبي الكبير سنة تسع ومائتين لما قام عليه أهل القيروان مع المنصور المعـروف بالكيلاني ، فلما تقدم الى القيروان يوم الاربعاء للنصف من جمادى الاولى من تلك السنة وخرج أهل القيروان الى زيادة الله فرغبوا في العفـو والصفح عنهم هدم سور القيروان عقوبة لهم[١] .

وذكر ابن عذاري أن ابن الأشعث أمر ببناء سور لقيروان في ذي القعدة من سنة ١٤٤هـ ، وتم البناء في رجب سنة ١٤٦هـ[٢] .

ويقول اليعقوبـي ان القـيروان كان عليها سور من لبـن وطوب فهدمه زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب[٣] ، ويقـول ابن عذاري ان ابا حاتم الاباضي احرق أبواب القيروان وثلم سورها ودخلها وأخرج أكثر أهلها الى الزاب[٤].

ويتابع البكـري كلامه عن الســور فيقـول (ثم بنـاه المعز بن باديس الصنهاجي سنة ٤٤٤هـ ، وبلغ تكسيره اثنين وعشرين ألف ذراع . وجعل السور

(١) المسالك ٢٤ ـ ٢٥ ، وانظر رياض النفوس ٢٧٠/١ ، ٢٨٩ ، الحلة السيراء ٦٩/١ وتجدر الملاحظة انه في قريب من هذا الزمن بنيت بغداد وعليها سور ، كما بني سور حول كل من الكوفة والبصرة .

(٢) البيان المغـرب ٨٤/١ ، ٨٥ ؛ الكامـل لابـن الاثير ٢٢/٦ ؛ تاريـخ المغرب لسعد زغلول ٦١/٢ .

(٣) البلدان ٣٤٧ . (٤) البيان المغرب ٩٠/١ .

مما يلي صبرة ، وللفصيل حائطان يتصلان الى مدينة صبرة ، وبينهما نحو نصف ميل ، سبيل التاجر ان اراد ان يدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكس الا بعد جوازه على مدينة صبرة .

وللمدينة اليوم اربعة عشر بابا منها المذكورة ، وباب النخيل والباب الحديث ، والفصيل بابان ، وباب الطراز والباب الحديث وباب الثلاثين وباب ابي الربيع وباب سحنون الفقيه[٥] .

لم اجد في المصادر ذكراً لغير باب ابي الربيع مما يدل على اندثارها ، ويبدو أن سور ابن باديس هو غير السور القديم الذي احتفظ بأسماء أبوابه ، غير أنه لانوجد معلومات توضح العلاقة المكانية بين السورين . وقد أشارت المصادر الى عدد من المعالم بقربه ، فذكر ابن الدباغ أن الفرافطة قرب سور البلد ، وفيها مسجد ابي عمران الفصلي ، وهو مسجد كبير[٦] . وان جبانة المرابط ابو يوسف الدهمان مجاورة لسور البلد من جهة الجرف[٧] .

كما يذكر أن في البلد برجاً يعرف ببرج بوسطلية[٨] ، وأن فيه مسجد أحمد بن عبدالرحمن الخولاني وهو مسجد كبير[٩] ويذكر عن مسجد أبي ميسرة لما بني السور المحدث أخذ منه شيء" هو الآن في الشارع . وتعرف العامة بمسجد ابن غلاب ، وهو عن يسار الداخل من باب تونس[١٠] .

ويذكر ابن الدباغ : « سمعت من القرويين كلاماً متواتراً ان سور مدينة القيروان كان غير طويل ، فوقف الشيخ فيه وزاد حتى تحصن البلد كما اليوم ، والزيادة التي زادها من داخل البلد تظهر في وجه الحائط بقي بعضها دائما وأن السور بلغ ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة[١٢] .

---

(٥) المسالك ٢٥ ،وانظر : بساط العقيق لحسن حسني عبدالوهاب ١٤ .
(٦) معالم الايمان ٣/٣ .
(٧) معالم الايمان ٤/٤٣ .
(٨) معالم الايمان ٤/١٣٧ .
(٩) معالم الايمان ٢/٢١٢ . (١٠) معالم الايمان ١/٣٠ .
(١١) معالم الايمان ٤/٤٨ . (١٢) معالم الايمان ٤/١٠٧ .

الابـواب : ـ

ذكر المقدسي أن دروب القيروان خمسة عشر ، سمى منها ثمانية هي درب عبدالله ، درب تونس ، درب أصـرم ، درب سلم ، درب نافـع ، درب سوق الأحد ، درب الحذائين[1] ، والـدروب الستة الأولى تطابق الأبواب التي ورد ذكرها في المصـادر • أما الدربـان الأخيران (درب سـوق الاحد ، ودرب الحذائين) فلم تذكـر المصـادر لها ابـواباً : ولعل هـذه الدروب كانت تمتد مـن الابـواب •

ونذكر أدناه المعلومات التي توفرت لنا عن أبواب المدينة •

بـاب عبدالله : ـ

نسبهذا الباب الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح لأنه نزل عنده،وكان عند نزوله فيه سبخة في شرقي القيروان ، فبنى عندهامسجداً أصبح يعرف بمسجد ابن أبي سـرح[2] ، أو مسجد عبدالله • وهـو أحد المساجد السبعة القديمة ، ثم اندرس الباب والمسجد وظل أثـره في البنوة التي بين كديـة القلائين وبين باب نافع[3] ولذلك لم يتردد ذكره في الأخبار •

وبـاب عبدالله مجاور لمقبـرة سحنون[4] وفي جهتـه يقع ماجـل أبي الزورد[5] والباب قرب باب نافع ، وقد وضـع عمر بن حفص عسكره بين باب نافع وباب عبدالله[6] •

بـاب نافـع : ـ

كان باب نافع وباب عبدالله يقعان في الجهة الشرقية من القيروان[7] ومن المعالم العمرانية عند هذا الباب دار علي بن ربـاح اللخمي ومسجده الذي يقع على يمين الخارج قبل أن يخـرج[8] وهو مـن المساجد القديمـة ، وكان فيه

(١) احسن التقاسيم ٢٢٥ • (٢) رياض النفوس ٦٧/١ معالم الايمان ١٣٧
(٣) رياض النفوس ٧٣/١ ، معالم الايمان ٣٣/١ •
(٤) معالم الايمان ١٣٧/١ • (٥) رياض النفوس ٢٦٧/٢ •
(٦) الرقيق ١٣٤ • (٧) المسالك للبكري ٢٥ •
(٨) رياض النفوس ٣١/١ ، ٧٧ ، معالم الايمان ٣١/١ •

مصلى[٩] وفي ناحيــة هذا الباب دار زيــاد بن أنعم الشعباني ومسجده[١٠]، وكذلك دار عبدالرحمن بن زياد الشعباني ومسجده[١١] وبين باب نافع وكدية التلاثين مسجد عبدالله[١٢] .

بنى عبدالله المغربي على باب نافع فصيلاً حفظاً للبلد وماجاً لمن يأتي ليلا الى المدينة من القوافل وغيرها، وجعل فيه مسجداً مسقفاً مصاناً بالغلق، وفي قبليه ميضأة كبيرة لغسل الموتــى، وحبس عليها ايضــا حانوتــا برسم ما تحتاج اليه الميضأة المذكورة[١٣] .

وعند باب نافع مقبرة[١٤] أبرز من دفن فيها البهلول[١٥]، وكان في قبلة قبره حوض فيــه ربــاح[١٦]، وعنده قبر يحيى بن زكريــا النجيبي[١٧] وذكر ابن الدباغ ممن دفن في مقبرة باب نافع كل من (١) سعيد بن محمد بن سحنون (٢) عبدالله بن حســان اليحصبي (٣) داوود بن يحيــى العراقي (٤) محمــد بن ابراهيم بن عبدالله بن عبدوس (٥) اسحاق بن ابراهيم بــن عبدوس (٦) احمد ابن أبي سليمان الرحبــي (٧) يحيى بن عون الخزاعــي (٨) خماس بن مروان العبــدي (٩) إسحاق بن إبراهيــم الأزدي (١٠) ابراهيــم بن محمد السبأي (١١) خلف بن منصور القلال (١٢) أحمد بن محمد النجار (١٣) محمــد بن عبدالله القصراني (١٤) يحيى الدباغ (١٥) عبدالله بــن غانــم (١٦) محمود بن سعيد وابنه محمد[١٨] .

---

(٩) رياض النفوس ٢٢٠/١ . (١٠) رياض النفوس ١٢٩/١ .

(١١) معالم الايمان ١/ . (١٢) معالم الايمان ٣٣/١ .

(١٣) معالم الايمان ٤٩/٤، ٢٩، وانظر : تاريخ افريقيــة فــي عهد الحفصيين لبرنشفيك ٣٩٥ وفيه تفاصيل عن الاحوال في العهود المتاخره .

(١٤) معالم الايمان ٢١٦/٣ (١٥) معالم الايمان ٢٢/١، ٦٨، ١٣٢/١ .

(١٦) معالم الايمان ٢٦٢/١ . (١٧) معالم الايمان ٣٢١/١ .

(١٨) مذكورون بالتتابع في معالم الايمان (١) ٣/٢ (٢) ٤٠ (٣) ٨٨/٢ (٤) ٩٤/٢ (٥) ٩٩/٢ (٦) ١/٢ ٤ (٧) ١٦٦/٢ (٨) ٢٦٦/٢ (٩) ٢٢٩، (١٠) ٩٢/٢، (١١) ١٢٢/٣ (١٢)، ١٦٣/٣ (١٣)، ١٦٤/٣ (١٤) ٢١٣/٣/٣ (١٥) ٧٦/٢ (١٦) ١٧٤/٣ .

بـاب تونـس : ـ

تردد ذكر باب تونس في المصادر التاريخية والجغرافية اكثر من أي باب آخر »[1] ويدل اسمه على انـه كان باتجاه تونس أي فـي الاطراف الشرقية وكان عنده فصيل [2] .

كان عند باب تونس مسجـد أبي ميسرة ، وهـو احد المساجـد السبعة القديمة الفاضلة؛وهو عن يسار الداخل من باب تونس،وكان في زمن ابن الدباغ يعرف بمسجد أبي غـلاب « وداره هي التي تعـرف بدار الشيخ العـدل ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن غلاب المسراقي[3] ولما بني السـور المحدث اخذ منه شيء صار في الشارع »[4] .

وعند باب تونس درب أزهر وفيه مسجد عبدالرحمن الحبلي الذي صار يسمى الرباطي الكائن بالدرب المعروف بأولاد غيث[5] ، وبقرب درب أزهر دار ابي عبد الرحمن المعافـري ومسجده المسمى مسجد الرياض ، وكـان الناس يسمونه مسجد أولاد رحمة[6] .

وفي جهة باب تونس تقع رحبة بني دراج[7] وبقربه يقع الفحص[8] .

ومن المعالم البارزة في باب تونس آبار حديـج ، وهي منسوبة الى معاوية ابن حديج ، وكان معاوية بن حديج قد اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان ، وأقام بها لماغزا بأفريقية ، وحفر آباراً عند باب تونس في ناحية الجبل عند منحرف للشرق يقرب مصلى الجنائز ظلت تسمى آبار حديج، غلب عليها اسم أبيه حديج وذلك قبل تأسيس القيروان[9] .

---

(1) معالم الايمان ٢/٤٨ ، ٧٧ ، ٤/٢٢١

(2) معالم الايمان ٢/٢٢٧ (3) معالم الايمان ٣/٥٤

(4) معالم الايمان ١/٣٠

(5) معالم الايمان ١/٣١

(6) معالم الايمان ١/١٤٢ ، ١٨٠

(7) رياض النفوس ١/٣٥ (8) معالم الايمان ٢/١٨

(9) رياض النفوس ١/٩٣ ، ولنظر ايضا ١/٣٠ ، معالم الايمان ١/٤٥ ، ١٤١

وفي باب تونس الماجل الذي بناه أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب وأنفق على بنائه ثلاثمائة ألف دينار ، وكان هذا الماجل يسمى في زمن ابن الدباغ « الفسقية » والماء الذي يجاب اليه من الوديان بالسد الذي يعمل حتى يصل الماء اليه ، فينتفع به أهل القيروان[١٠] . وقد بدىء ببنائه سنة ٢٤٥هـ وكمل سنة ٢٤٨[١١] .

وصف البكري هذا الماجل فقال « هو مستدير متناهي الكبر ، في وسطه صومعة مثمنة في أعلاها قصبة لرقبة مفتحة على أربعة أبواب على أحد عشر رجلا لا خلل بينهم كيلا يصل محط ، فاذا امتلاء الماجل كان ذلك (؟) وسطح هذه القصبة نحو ذراعين كان ابن الاغلب يدخل الى هذه القبة في مركب يسمى بالزلاج ، ويتصل بهذا الماجل في قبلية اقباء طويلة معقودة آزاجاً على ازاج ، وكان زيادة الله قد بنى على غربي هذا الماجل قصرا ، وبجوفي هذا الماجل مدخل لطيف متصل به يسمى الفسقية يدفع فيه ماء الوادي اذا جرى حتى ينكسر فيه شدة جريان الماء ثم يدخل فيه الى الماجل الكبير اذا ارتفع الماء في الفسقية قدر قامتين على باب بين الماجلين يسمى السرح . وهذا الماجل عجيب الشأن ، غريب البنيان »[١٢] .

وذكر الادريسي ان المياه بالقيروان قليلة « وشرب أهلها من ماء الماجل الكبير الذي بها ، وهذا الماجل من عجيب البناء لأنه مبني على تربيع وفي وسطه بناء قائم كالصومعة ، وذرع كل وجه منه مائتا ذراع وهو كله مملوء بالماء[١٣] .

وذكر ابن الدباغ أنه في سنه جف الماء بالماجل وصار الناس في عطش

---

(١٠) معالم الايمان ٢/٢٩٧ ، وانظر ٢/٧٥ ، الحلة السيراء ١/١٦٤ .
(١١) البيان المغرب ١/١٤٨ .
(١٢) البكري ٢٦ ، وانظر مقال سودباك « المنشآت المائية في القيروان في زمن الاغالبة المنشور في حوليات معهد الدراسات الشرقية م ١٠ سنة ١٩٥٢ .
(١٣) الادريسي ٨ .

شديد « فشق عليه ماء الناس فيه ، فلما كان بعد ذلك اتى الوادي وامتلاء الماجل فخرج اليه الناس [١٤] وقد أنشأ منصور بن اسماعيل بن يونس على الماجل مركباً سمي الزلاج في سنة ٢٢٩ [١٥] وبالقرب من الماجل كانت جبانة باب تونس [١٦] ويبدو أن المقبرة كانت في شرقي الماجل ، فيذكر ابن الدباغ أن قبره بباب تونس على شفير الماجل الذي لا ماء فيه من جهة الشرق بقرب حوطة الشيخ الحاج أبي العباس أحمد بن تهيب [١٧] •

وكانت بين الماجل ومقبرة باب تونس فسحة ذكر ابن الدباغ أنه فيها صلّى على ابي عمر الفاسي • وذكر عدداً كبيراً ممن دفن في باب تونس ، منهم (١) صدقة المؤذن (٢) ومحمد بن أبي بكر الانصاري (ت٣٩٢) (٣) وعبدالرحمن بن عبدالله الخولاني (ت ٣٩٥ هـ) (٤) وعبدالواحد بن أبي الحسن الفاسي (٥) وعلي بن محمد المعافري (٦) وحرفون بن خلفون القريشي (٧) وعبد الباري بن حسن التميمي (٨) وعبد الرحمن بن كامل الزعبي (٩) وأبو بكر بن عبدالرحمن الخولاني (١٠) وأبو طاهر بن احمد خولون (١١) وابنه ابو بكر (١٢) ومجيد الأنصاري (١٣) وعبدالسلام بن نصر الكندي (١٤) ومحمد بن يوسف الحسني (١٥) وعبدالله بن محمد الانصاري (١٦) وعبدالرحمن بن علي الانصاري (١٧) وابراهيم بن عبدالسلام المسلاص (١٨) وعبدالله بن عبدالعزيز الهساوي (١٩) وعلي بن عبد [١٨] •

---

(١٤) معالم الايمان ٢٦١/٢ •
(١٥) البيان المغرب ١٨٦/١ •
(١٦) معالم الايمان ١٩/٤ ، ٢١١ •
(١٧) معالم الايمان ٨/٤ ١ •
(١٨) معالم الايمان ١٧٨/٣ (١٣) ورد ذكرهم في « معالم الايمان » بالتتابع (١) ٢٥٩/٢ (٢) ١٥٩/٢ (٣) ١٦/٣ (٤) ٣/ ١٦١ (٥) ٣/ ١٧ (٦) ١٩٦/٣ (٧) ١٨٢/٣ (٨) ٢١/٤ (٩) ٢١١/٣ (١٠) ٢١٣/٣ (١١) ١٥/٣ (١٢) ١٥٩/٣ (١٣) ١٧/٤ (١٤) ١١٩/٤ (١٥) ٢٠/٤ (١٦) ٩٢/٤ (١٧) ٩٧/٤ (١٨) ٤ / ١٠١ (١٩) ١٣٦/٤ •

بـاب ابـي الربيـع : ـ

ذكر ابن الدباغ أن باب ابي الربيع بالقرب من باب تونس[١]،وانه في قبلة القيروان[٢] ، وذكر البكري أن باب أبي الربيع بين القبلة والمغرب[٣] وهو على الطريق بين القصر القديم والمسجد الجامع[٤] ، ومنه طريق يمر الى دار الامارة والسماط[٥] وبينه وبين المسجد الجامع مسجد المقرعة[٦] . ولم اجد في المصادر إشارة الى ابي الربيع الذي سمي الباب به . وكان عند هذا الباب ماجـل أبي الربيع وهو « الفسقية الكائنة بقبلي القيروان ، فيهـا يصدع وتهدم يسير[٧] .

وفي جهة باب الربيع بنى زيادة الله بن الأغاب قنطـرة[٨] وفي جهته يقع وادي القصارين [٩] والمروحار[١٠] .

وعنـد بـاب الربيـع مقبـرة ذكـر ابـن الدبـاغ ممـن دفـن فيها (١) زيد بن سفيـان الاسـدي (٢) عبـدالله بن سهـل القيروانـي (٣) محمد بن شوال الطائي (٤) سهل بن عبدالله القيرواني (٥) محمد بن سعيد بن حلسون (٦) احمد بن أبي خالد الدباغ (٧) علي بنمحمد الغساني (٨) أحمد بناسماعيل (٩) محمد بن مسرور العسال (١١) زياد بن يونس اليحصبي[١١] .

---

(١) معالم الايمان ٢/٧٤ ، ١٧٧ .
(٢) معالم الايمان ٢/٩٧ ، ١٨٢ .
(٣) المسالك ٢٥ .
(٤) البيان المغربي ١/١٤٧ .
(٥) معالم الايمان ١/٢٢٤ .
(٦) رياض النفوس ١/٣٩٨ .
(٧) معالم الايمان ٢/٩٧ ــ ٩ .
(٨) رياض النفوس ١/٣٠٨ .
(٩) رياض النفوس ١/٣٣٥ .
(١٠) رياض النفوس ١/٤٦١ .
(١١) مذكورون في معالـم الايمـان على الترتيب (١) ٢/٧١ ، (٣/٢/٩) ٢٢٤ / ١٣١ (٥) ٢ /٢٤٩ ، (٢١/٣٢٦ (٧) ٣/٦٥ (٨) ٣ /٦٨ (٩) ٣ /٧٤ (١) ، ٩٧٩٣ (١١) ٣/٩٨ .

وخلف باب الربيع كان يصلي روح بن حاتم ، وعسكر فيه تمام بن تميم عندما ثار[١٢] .

وفي ناحية باب ابي الربيع لليهودية[١٣] وبقربها سوق اليهود[١٤] وعندها صلب محمد بن اسحق الجبابي سنة ٣٤٣هـ[١٥] .

باب الريح : -

ذكرت بعض المصادر باب الريح ، وكان في ناحيته دار ومسجد حنش بن عبدالله الصنعاني[١٦] ، وهو قريب من الفحص[١٧] . ولم اجد معلومات اخرى عنه .

باب اصرم : -

ذكر البكري ان باب سلم وباب أصرم في غربي السور[١٨] ، وذكر الرقيق أن عمر بن حفص عندما قدم لدخول القيروان وضع عكره بين باب سلم وباب أصرم[١٩] ، ولما دخل حسن الكندي القيروان ثائراً على الاغلب خرج هذا من باب اصرم[٢٠] وذكر ابن الدباغ ان الريحانية عند باب اصرم[٢١] ، ولم يتردد ذكر باب أصرم في الأخبار .

---

(١٢) تاريخ الرقيق ٢٠٥ .
(١٣) رياض النفوس ١٥٠/٢ .
(١٤) رياض النفوس ١٣٩/١٠ وانظر ايضا ٩٤/١ ، معالم الايمان ٢٦/٢ .
(١٥) معالم الايمان ٤٩/٣ .
(١٦) رياض النفوس ٢١٢١/١ معالم الايمان ١٤/١ .
(١٧) معالم الايمان ٨٨/٢ .
(١٨) وصف افريقية ٢٥ .
(١٩) الرقيق ١٤٤
(٢٠) الحلة السيراء ٧٠/١ .
(٢١) معالم الايمان ٣/ ١١ ، وانظر ١٦٩/٣

بـاب سلـيم : ــ

تردد ذكر باب سلم لوجـود مقبرة قربه وصفها أبـو العرب بأنها « المقبرة العظمى »[٢٢] ، وسميت جبانة أسلم ، وهي الجبانة الغربيـة[٢٣] ، « وهي المقبرة العظمى نحو باب سالـم دفن فيهـا من العلمـاء والصالحين عـدد لا يحصيهم الاالله »[٢٤] . ولابد من انها هي التي ذكرفي تعليق على معالم الايمان،باب اسلم مقبرة قريش[٢٥] وهـي المعروفـة الان بالجناح الاخضر ومـن ابرز مـن دفن فيها إبنـه عبدالله بـن عمرج[٢٦] ويزيد بـن حاتم واخوه روح « وكانت على قبريهما ساريـة مكتوب فيهـا اسماهما[٢٧] ، كما دفن فيها الفقيهان المشهوران البهاول وشقران »[٢٨] .

وممن دفن فيها (١) ابو محرز (٢) ويحيى بن سلمان الفارسي (٣) وسعيد ابن عباد السري (٤) وسليمان بن عمران (٥) واحمد بن موسى بن جرير الازدي (٦) وعبدالله بـن خايـل (٧) ومحمد بن زرقون (٨) واحمد بن يزيـد المعلم (٩) وأحمد بن السلطان (١٠) وعبدالله بن محمد الاشبح (١١) واحمد بن موسى الغافقي (١٢) ومحمد بن مسرور الضرير (١٣) وابو بكر بن هذيل (١٤) وجبلة ابن حمودة (١٥) ومحمد بن ابي داوود الازدي (١٦) ومحمد بن خيرون المعافري

---

(٢٢) ابو العرب ١٨ ، معالم الايمان ١/٦ .

(٢٣) معالم الايمان ٣/١١٩ ، ٤/١٦٧ ، ١٧٣ ، ٢٥٩ .

(٢٤) رياض النفوس ٦/٨٨ ، معالم الايمان ١/٦ .

(٢٥) معالم الايمان ١/٨٣ ، ٢/٣٩ .

(٢٦) معالم الايمان ١/١٤٢ .

(٢٧) الرفيق ١٣٦ ، الحلة السيراء لابن الابار ٢/٣٥٨ .

(٢٨) رياض النفوس ١/١٣٢ ؛ ١٩؛ معالم الايمان ١/٢٦١ ، ٢/٤١ ، ٩١ ، ٨٧ .

(١٧) وسعيد بن محمد الغساني (١٨) ومحمد بن الطيب النصري (١٩) وهاشم ابن مسرور التميمي (٢٠) ومحمد بن سليمان (٢١) واحمد بن خليل الغساني (٢٢) ومحمد بن نصر الغنيمي (٢٣) وابو بكر بن بشير المعلم (٢٤) وميمون ابن عمرو (٢٥) وابو جعفر القصري (٢٦) وعبد الوهاب بن عبد (٢٧) وابو العرب التميمي (٢٨) ومحمد بن الفتح المؤذن (٢٩) وحمدان بن نزار (٣٠) ومروان بن نصر الانصاري (٣١) وعلي المؤدب (٣٢) ومحمد بن مسعود التميمي (٣٣) ومحمد بن الفتح (٣٤) والفضل بن نصر (٣٥) واحمد بن محمد (٣٦) ومحمد البرانسي (٣٧) وجعفر بن نصيف (٣٨) وابو الحسن بن نصر الزعفراني (٣٩) وعبدالله بن هشام (٤٠) وواصل بن عبدالله (٤١) ومحمد بن الحسن الزويلي (٤٢) ومحمد بن الشيخ ابو سعيد (٤٣) وعبدالله الاجدابي (٤٤) وجابر بن عبدالله (٤٥) واحمد بن ابي بكر الزويلي (٤٦) ومحمد بن عبدالله بن حاتم (٤٧) وابو الحسن بن الساحلي (٤٨) وعبدالله بن هاشم (٤٩) وابو الفضل العراقي (٥٠) ومحمد بن اللحام (٥١) وابو القاسم بن عبد الرحمن الغافقي (٥٢) وحسن بن خلدون البلوي (٥٣) ومحمد بن ابي موسى الواتي (٥٤) والحسين بن عبدالله الاجدابي (٥٥) وعلي بن محمد .

المسجد الجامع

لا ريب في أن أقدم وأبرز المنشآت في القيروان هو الجامع الذي كان عقبة بن نافع أول شيء أقامه عند تأسيسه القيروان واقتدى جميع المغرب بقبلته[1].

ويقول ابن عذاري أن عقبة اختط دار الإمارة والمسجد الجامع ولم يحدث فيه بناء ، وكان يصلى فيه وهو كذلك[2] وينقل المالكي عن محمد بن

(١) معلم الايمان ١/١٠ ، ١١ ، ٤٧ . وانظر الدراسة القيمة للدكتور احمد فكري عن جامع القيروان .
(٢) البيان المغرب ١/١٥ .

يوسف الوراق أن عقبة إختط مدينة القيروان فتحول بها أياماً ، ثم قدم أبو المهاجر فعزل عقبة وقيده وحبسه ، وخرب ما كان خطه وبناه بالقيروان ، فاختط مدينة تاكروان ، وهي بجوفي افريقية على نحو ميلين ، وجد في بنائها وتشيدها ، ويذكر المالكي أيضاً أن عقبة عندما اعيدت ولايته جدد بناء القيروان وشيدها وتقل الناس اليها ، فعمرت وصلح شأنها وعلا قدرها[٣] .

ذكر البكري التطورات التي حدثت على جامع عقبة فقال ان حسان بن النعمان هدمه ، حاشا المحراب ، وبناه وحمل اليه الساريتين الحمراوين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الراؤون مثلها ، من كنيسة كانت للأول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب ، ويقولون ان صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما الى الجامع ، فابتنوا الجامع بهما ، ويذكر كل من رأهما انه لم ير في البلاد ما يقترن بهما .

فلما كانت خلافة هشام بن عبدالملك كتب اليه عامله على القيروان يعلمه أن الجامع يضيق بأهله ، وان بجوفيه جنة كبيرة لقوم من فهر ، فكتب اليه هشام يأمر بشرائها وأن يدخلها في المسجد الجامع ففعل ، وبنى في صحته ماجلاً وهو المعروف بالماجل القديم بالقرب من البلاطات . وبنى الصومعة في بير الجنان ونصب أساسها على الماء ، واتفق أن وقعت في نفس الحائط الجوفي : واهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون انه أكره أهل الجنة على بيعها . والصومعة اليوم على بنائها ، طولها ستون ذراعاً وعرضها خمسة وعشرون ، ولها بابان شرقي وغربي ، وعضايد بابها رخام منقش ، وكذلك عتبتها ، فلما ولي افريقية يزيد بن حاتم سنة خمس وخمسين ومائة ، هدم الجامع كله حاشا المحراب وبناه واشترى العود الأخضر بمال عريض جزل ووضعه فيه ، وهو الذي كان يصلي عليه القاضي أبو العباس بن عبدون . فلما ولي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب هدم الجامع كله وأراد هدم المحراب ، فقيل له

(٣) معالم الايمان ٤٧/١ ، وانظر رياض النفوس ٢٢/١ وانظر تفاصيل وافية عن تطور بنائه في « الحلة السيراء » ١٦٣/١ .

ان من تقدمك من الولاة توقيوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع ومن كان معه ، فاج في هدمه لئلا يكون في الجامع أثر لغيره حتى قال بعض البناة انا ادخله بين حائطين ولا يظهر في الجامع أثر لغيرك ، فاستصوب ذلك وفعله ، فهو على بنائه الى اليوم . والمحراب كله وما يليه مبني بالرخام الأبيض من أعلاه الى أسفله مخرم منقوش كله ، منه كتابة تقرأ ومنه تدبيج مختلف الصناعة يستدير به أعمدة رخام في غاية الحسن .

والعمودان الأحمران المذكوران يتابلان المحراب ، عليهما القبة المتصلة بالمحراب ، وعدد ما في الجامع من الأعمدة أربعمائة وأربعة عشر عموداً .

وبلاطاته سبعة عشر بلاطا ، وطوله مائتان وعشرون ذراعاً ، وعرضه مائة وخمسون ذراعاً ، وكانت فيه مقصورة ، فلم يزل بناء زيادة الله فيه .

والمقصورة اليوم انما هي دار بقبلي الجامع ، بابها في رحبة التمر ، لها باب عند المنبر يدخل منه الامام بعد أن ينزل في هذه الدار حين تقرب الصلاة .

وبلغت النفقه في بنيانه ستة وثمانين الف مثقال . ولما ولي ابراهيم بن أحمد بن الأغاب زاد في طول بلاطات الجامع ، وبنى القبة المعروفة بباب البهو على اخر بلاط المحراب ، وفي دورها اثنان وثلاثون سدبة من بديع الرخام وفيها نقوش غريبة وصناعات مختلفة . وقد فرش للصحن بين ايدى البلاطات نحو خمسة عشر ذراعاً ، وللجامع عشرة أبواب ومقصورة للنساء في شرقيها ، وبينها وبين الجامع حائط اخر مخرم محكم العمل[٤] .

ذكرت المصادر ما يؤيد ما ذكره البكري ، فنقل ابن الدباغ أن حسانا « قدم القيروان فامر بتجديد بناء المسجد الجامع فبناه بناءاً حسناً »[٥] وذكر ابن الابار ان حساناً هدم الجامع حاشا المحراب وبناه بالطوب[٥أ]، وذكر المالكي أن في الجامع صومعة كانت في الركن الغربي ، ثم ازيلت بعد ذلك ، وجعلت في

(٤) المسالك ٢٢ ــ ٢٤ .
(٥) معالم الايمان ٦٧/١ (٥أ) الحلة السيراء ١٦٣/١ .

المكان الذي هي فيه إليوم[٦] وذكر أيضا أن الصومعة في مؤخرة الجامع كان يجلس فيها عكرمة[٧] ، وانه « كانت صومعة زياد في الناحية الشرقية »[٨] .

وروي الواقدي ان محمد بن الأشعث ولي افريقية للخليفة العباسي وسار الى مدينة القيروان وأسس مسجدها[٩] وهذا القول غير دقيق .

وذكر الرقيق أن يزيد بن حاتم جدد المسجد الجامع حتى قيل انه الذي مصرها وحسنها وزاد في قدرها[١٠] .

وذكر ابن العذاري أنه في سنة ١٥٧هـ جدد يزيد بناء المسجد الجامع بالقيروان[١١] وانه في سنة ٢٤٨هـ تمت الزيادة في جامع القيروان[١٢] .

وذكر ابن الدباغ ان زيادة الله بنى في جامع القيروان القبة الخارجة على البهو ،مع الصفتين اللتين يليانها من جانبيها جميعاً ، وبلاطها الذي بين يديها مفروش ، وعمل المحراب ، وجلبت له تلك القراميد اليمنية لمجلس اراد ان يعمل .. وجاب له من بغداد خشب الساج ليعمل له منها عيدان . عملها منبراً للجامع وجاء بالمحراب مفصلا رخاماً من العراق عمله في جامع القيروان ، وجعل تلك في وجهه المحراب . وعمل له رجل من بغداد قراميد زادها اليها ، وبعد تلك الزينة العجيبة بالرخام والذهب والآلة الحسنة[١٣] ، وكان زيادة الله يفخر بهذه الزيادة ويعدها احدى مآثره[١٤] .

(٦) رياض النفوس ١/ ١٥ ، معالم الايمان ١/٣٠٠ .
(٧) رياض النفوس ٩٣/١ .
(٨) رياض النفوس ٩٣/١ .
(٩) معالم الايمان ١١١/١ .
(١٠) الرقيق ١٠٩ ؛ وانظر الحلة السيراء ١٦٣/١ .
(١١) البيان المغرب ٩٥/١ .
(١٢) للبيان المغرب ٢٤٨/١ .
(١٣) معالم الايمان ٩٧/١ .
(١٤) معالم الايمان ٢٦/٢ ، رياض النفوس ٣٩٨/١ ؛ وانظر : الحلة السيراء ١٦٣/١ .

ويقول ابن الابار ان زيادة الله « هو الذي بنى جامع القيروان بالصخر والاجر والرخام بعد ان هدمه ، وبنى المحراب كله بالرخام من اسفله الى اعلاه ، وهو منقوش بكتاب وبغير كتاب ، ويستدير به سورا حسان بعضها مجزعة باسود ناصعة البياض ، شديدة السواد ، ويقابل المحراب عمودان احمران وضعهما موشية بحمرة صافية من دون حمرة سائرها يقول كل من رآهما من اهل المشرق والمغرب انه لم ير مثلها ، وقد بذل فيها صاحب القسطنطينية وزنهما ذهباً فلم يجبه الناظر للاسلام الى ذلك[١٥] .

كانت للجامع صومعة[١٦] مكانها في الركن الغربي ، ثم ازيلت بعد ذلك وجعلت في المكان الذي هي به اليوم[١٧].

ابواب الجامع والمعالم فيه : -

ذكر المقدسي ان جامع القيروان « في سرة البلد ، اكبر من جامع ابن طولون ، وله باب السماط ، باب الصرافين ، باب الرهادرة ، باب الفضوليين ، باب المأذنة ، باب الصباغين ، باب الحوارين ، باب سوق الخميس ، باب الميضأة ، باب الخاصة في الثمانين »[١٨] غير انه لم يحدد مواقع هذه الابواب ، وتدل تسميات الابواب على ان الجامع كان قرب السوق .

وذكر المالكي من أبواب المسجد باب الحدادين عند المصلى[١٩] ، كما ذكر انه كانت عند سواري المسجد قنطرة قرب النحامين[٢٠] وذكر أيضا الباب الأخير من أبواب الجامع ، وهو يلي درب النهرين[٢١] .

---

(١٥) الحلة السيراء ١/١٦٣ .
(١٦) البيان المغرب ١/٤٠٧ .
(١٧) رياض النفوس ١/ ١٥ ، معالم الايمان ١/٢٩٩ — ٣٠٠ .
(١٨) احسن التقاسيم .
(١٩) رياض النفوس ٢/٣٤١ .
(٢٠) رياض النفوس ١/٢٨٨ .
(٢١) رياض النفوس ٢/٤٠٥ ، معالم الايمان ٣/٦١٥٤٩ .

وذكر ابن عذاري ان أبا الفتوح المنصور أمر في سنة ٣٧٥هـ بجعل ابواب جامع القيروان من حديد[٢٢] .

وذكر ابن الدباغ ان عبدالله بن عبد العزيز الهاكوي اتفق مالا كثيراً في جامع القيروان ، وبنى القبة العظمى التي على الباب الشرقي من ابواب البيت اقامها على عمد الرخام ، وشقق الرخام ، اشتمل اعلاها واسفلها على النحو اربعين عمودا ونيفاً ، اتفق عليها ما يزيد على الف دينار .

واجرى الحيار على اكثر مجنبات الجامع ، وكان قد تقلع حيارها .

وبنى الميضأة التي في قبلي الجامع الأعظم ، في غربي الموضع المعروف في القديم بدار الامارة ودعمها تدعيما جيداً ، يقفها بالمربع المنجور ، وجعل لها أحواضاً من الحجر المنجور برسم الوضوء ، وبيوتا للطهارة فيها أحواض من خارجها ، وسعى في تحبيس حانوت عليها برسم تنويرها وما تحتاج الميضأة اليه من خصال واد التيم[٢٣] .

وفي مسجد القيروان كان مجلس القضاء[٢٤] .

وفي مؤخرة المنارة ، وفي غربها موضع الركينة ، وهم جماعة من الناس لا شغل لهم ، وكان الناس يدارونهم ويتقون ألسنتهم[٢٥] . وفي شماليه منازل الفهريين[٢٦] .

وعند المسجد دار ابن دينار[٢٧] ، ومسجد المقرعة وهو يقرب سماط القيروان[٢٨] .

---

(٢٢) البيان المقرب ٣٤٤/١ .
(٢٣) معالم الايمان ٩٩/٤ .
(٢٤) القضاة للخشني ٢١٩ ، معالم الايمان ١٢٥/٤ .
(٢٥) طبقات العلماء للخشني ٢٤٣ .
(٢٦) البكري ٢٣ .
(٢٧) معالم الايمان ٦١/٣ .
(٢٨) معالم الايمان ١٨٢/٤ .

مساجد في القيروان : ـ

ذكـرت المصـادر عـدداً كبيراً من المساجد في القيروان مسماة بأسماء أشخاص منهم عدد قليل ذكرت العشيرة التـي ينتمي اليهـا صاحب المسجد ، وأكثرهم لم تذكر تفاصيل عن هوية من سمى المسجد باسمه أو معلومـات عن مواقعها أو أحوالها غير المساجد الاولى •

والمساجد التي ذكرت باسماء اشخاص ذكر انتسابهم القبلي هي :

١ ـ مسجد عبدالرحمن الحبلي بدرب أزهر قرب باب تونس ، ويسمى مسجد الرياض ، ويقـع في الدرب المعروف باولاد عنبة ، وكـان قائماً في زمن ابـن الدبـاغ •

٢ ـ مسجد حنش الصنعاني وموقعه بباب الريح وهو مسجد ابن اسحاق السباه ثم صار يدعى في ما بعد مسجد عاي ، وهـو على يمين المار بجبانة الشيخ ابي عاي التابسي (معالم الايمان ٤/٢٣٧) •

٣ ـ مسجد علي بن رباح اللخمي •

٤ ـ مسجد عبدالله •
ان هذه المساجد الاربعة ، مع مسجـد السبت ومسجد الخميس اختطها التابعون (معالم الايمان ١/٢٨ ـ ٣٠) •

٥ ـ مسجد ابن عبد الجليل الازدي (معالم الايمان ٤/٨١) •

٦ ـ مسجد ابن حضلة الغساني (رياض النفوس ١/١٣١) •

٧ ـ مسجد زياد الشعباني (رياض النفوس ١/٠٩٢) •

٨ ـ مسجد يعقوب بن خليفة الرهماني (معالم الايمان ٤/١٩٩) •

٩ ـ مسجد احمد بن عبد الرحمن الخولاني وهو مسجد كبير قرب سور البلد بحارق الفراقطة (معالم الايمان ٣/١٦٩) •

مسجد ابي علي حسن بن خلدون (معالم الايمان ٤/١٤٠) •
مسجد احمد بن سليمان (رياض النفوس ١/٥٠٦) •
مسجد البدوية (رياض النفوس ٢/٣٩٠) •
مسجد بلج وكان فيه الميعاد (معالم الايمان ٤/١٤٢ ، ١٩٨) وصار يسمى بعدئذ مسجد الدباغ (معالم الايمان ٢/١٣١) •
مسجد ابي بكر بن ابي عقبة (معالم الايمان ٣/٨٦) •
مسجد البهلول بن راشد (رياض النفوس ٢/٢٠٧ ، ابن ابي العرب ١٣٧) •
مسجد ابن بشار الزينبي (رياض النفوس ١/٣٦٣) •
مسجد التوفيق بالقرب من جبانة سلم (معالم الايمان ٤/١٠٢) •
مسجد ابن ابي حسان (رياض النفوس ١/٢٨٩) •
مسجد ابي الحكم (رياض النفوس ٢/٤٧٥) •
مسجد الحصرين (معالم الايمان ٤/٢٠٤) •
مسجد الخضر (رياض النفوس ٢/١٣٤٩) •
مسجد ابن حيرون (رياض النفوس ١/٤٣٠) المسجد الشريف والفنادق المجاورة للسجن (ابن عذاري ١/٢٣٥) •
مسجد الدباغ (معالم الايمان ٤/١٤٦ ، ١٨٩) •
مسجد ابي رحمة بن غيث خارج القيروان بجواره داره قبالة حمام ابي محمد (معالم الايمان ٣/١١٤) •
مسجد الداروني (معالم الايمان ٤/١٦٤) •
مسجد الزاوية (معالم الايمان ٤/٨٨) •
مسجد ابن زرجونة عنده دار ابي الحسن العقلي (رياض النفوس ٢/٢٠٤) •
مسجد السدرة (معالم الايمان ٣/٨٥ ، ١٦٤) •
مسجد ابن سجنون (رياض النفوس ١/٤٣٦) •
مسجد الشعاب (رياض النفوس ٢/١٣٣ ، معالم الايمان ١/٢٥١) •

مسجد عباس كان يؤذن فيه عزون المؤذن صاحب بسحنون (معالم الايمان ٣/١٣) .

مسجد عبدالجبار (رياض النفوس ١/٤٦٤ ، ٤٧٥ ، معالم الايمان ٢/١٢٤) .

مسجد ابن عياش (رياض النفوس ٢/١٥٢) .

مسجد علي بن رباح (رياض النفوس ١/١١٩) .

مسجد عون بن يوسف (رياض النفوس ١/٢٧٥) .

مسجد ابي غانم (معالم الايمان ٣/٢١٩) .

مسجد فاطمة (رياض النفوس ١/١٥٦) .

مسجد ابن فهد (الرقيق ١٨٤) .

مسجد ابن قادم (القضاة للخشني ٥٥) .

مسجد القديد (معالم الايمان ٤/٢٣) .

مسجد ابن قطانية (رياض النفوس ٢/١٧٦ — ٧) .

مسجد الكناني (معالم الايمان ٤/١٨٠) .

مسجد المعلق (معالم الايمان ٤/١٥٠ ، ٢٠١) .

مسجد المفرعة (رياض النفوس ١/٦/٣٩) .

مسجد ماسة (رياض النفوس ١/٤٠٠) .

مسجد نعمان من بني جرير (معالم الايمان ٤/١٨٠) .

مسجد ابي نصر (رياض النفوس ١/٣٣٦ ، ابو العرب ١٤٦) .

مسجد سمي بن عمر بحذاء حمام النعمان (رياض النفوس ١/٣٩٩ ، معالم الايمان ٢/١٢٤ ، ١٥٩) .

مسجد وكيع (رياض النفوس ١/٣٧٧ ، ٣٧٨) .

مسجد ابن اللحام (معالم الايمان ٣/٩١) .

السماط الاعظم : -

يتصل بالجامع السماط[1] ، ويسمى السماط الأعظم ، ويقول المقدسي « الجامع بموضع يسمى السماط الكبير وسط الأسواق في سرة البلد[2] ، طوله من باب أبي الربيع ميلين غير ثلث ، ومن الجامع الى باب تونس ثلثا ميل[3] ، وكان هشام بن عبدالملك قد أمر بترتيبه متصلا من القبلة الى باب الجوق[4] ثم شق ابراهيم بن الاغاب سماط القيعان من باب ابي الربيع الى دار الامارة .. قبلة المسجد[5] .

كان السماط سمطا متصلا فيه جميع المتاجر والبياعة[6] ووصف المالكي بعض ما فيه من الصناعات ومواقعها فذكر ان السماط يمتد الى دار الامارة « ويأخذ من موضع السماط الى السقطيين والى الابزارين الذي يقود الى دار ابي غانم التي تقع في زقاق ابن غانم[7] ، وعندها يقع دار ابن اسود[8] وزقاق السقطيين[9] ، ولعل بقرب السماط تقع حوانيت الخطاطين الواقعة بقرب القصر[10] ، والعطارين التي فيها دار كل من ابي بكر الوكيل[11] وابي سعيد الوكيل[12] .

وفي السماط تقع سقيفة المساكين[13] ، وبقربه تقع رحبة ابي داوود ودار ابن أسود ،وسوق هشام ، وبئرام عياض[14] .

---

(1) رياض النفوس ٣٠٦/١ ، معالم الايمان ٢٩/٢ .
(2) احسن التقاسيم ٢٢٥ . (3) رياض النفوس ١٥٠/١ .
(4) المسالك ٢٢٥ .
(5)
(6) رياض النفوس ١٠٠/١ .
(7) رياض النفوس ١٢٠/١ ، وانظر : معالم الايمان ٢٤٥/١ .
(8) معالم الايمان ٢١٧/٣ . (9) معالم الايمان ٣٠٠/١ .
(10) رياض النفوس ٢٣٣/١ . (11) الخشني علماء افريقية ٣٧٥/٢ .
(12) الخشني ٢٢٩ .
(13) معالم الايمان ٤٤/٢ . (14) معالم الايمان ٧٠/٣ .

الاســـواق : ـ

لم تذكر المصادر اسواقا في القيروان في المعلومات التـي اوردتهـا عن تأسيسها وما مرت بها من احداث في عهودها الاولى ، غـير أن الاحوال كانت تتطلب وجود أماكن لمعاملات البيع والشراء كيما تسـد حاجات المقاتلة ، حيث ان الدولة كانت تدفع عطاءاً من النقود للمقاتلة وهم معظم سكانهـا الاولين ، فكان عليهم شراء ما يحتاجونه من الغـذاء واللباس والسلاح ، ومـا تتطلبه بيوتهم التي يقيمون فيها ، وهذه الاحتياجات « شعبية » ومنوعة ، الا أنهـا لم تكن كبيرة ، وربما كان أكثرها يعتمد على ما ينتج في المناطـق المحيطة بها ، ولم تسمح الأحوال في هذا الزمن المبكر بقيام أسواق واسعة تعتمد على التجارات العالمية ، لأن موقع القيروان في داخل البلاد بعيداً عن ساحـل البحـر لم ييسر لها الاسهام في التجارة العالميـة ، كما ان التهديدات المتتابعـة التي تعرضت لها كونت اسباباً اضافية لجمود التجارة الخارجية .

ولابد ان القـيروان كانت فيهـا أماكن يتزود منهـا الأهلون بحاجاتهم ، والراجح أن هذه الأماكن كونت أسواقا محلية غير مستقره شـأن ماحدث في الامصار العربية التي انشئت في العـراق حيث كانت اعمال البيـع تجرى في ساحات يعرض فيها الباعة سلعهم دون ان يدفعوا عليها اجورا ، وكانت تتبدل يوميا ، فاذا عرض شخص سلعته في مكان يوماً ما ، فانه قد يعرض آخر في ذلك المكان سلعته لان « السوق لمن غلب » .

ان الاستقرار العام في القيروان منذ ولاية حسان بن النعمان كان عاملا في استقرار الاسواق ونموها في القيروان .

ومن ابرز الاسواق الاولى سوق اسماعيـل ، نسبة الى منشئه اسماعيل بن عبيد الانصاري[1] ، وهو يقع بجوار المسـجد الكبير الذي يعرف بمسجد

(1) رياض النفوس ١/٧٠ ، ١٠٧ .

الزيتون ، وكان اسماعيل يصلي في هذا الجامع ويعمره ، وقد ظل هذا السوق من أبرز اسواق القيروان[٢] .

وبالقرب من هذا المسجد كان السراجون ، ودرب السنجاري الذي كان يسكنه غوث بن سليمان الأنصاري[٣] ولما اعاد يزيد بن حاتم اعمار القيروان « رتب القيروان في أسواقها وجعل كل صناعة في مكانها[٤] ولعل هذا هو سوق الامارة[٥] .

وذكر ابن عذاري ان النار وقعت في سنة ٣٠٦ بالقيروان في سوقها[٦] .

ومن ابرز اسواق القيروان سوق الرهادرة و « اصله للخزن كان خرابا ، وكان سوق الرهادرة الرعية الذي هو الان الشواشين ومن معهم ، امر من مضى من السلاطين ممن ادركناه ان يبني ذلك الخراب حوانيت وينقل له اصحاب سوق الرهادرة جبرا ، وتقذ ذلك من أراد أن يسكن خارجه ولو بقربه لا يترك ، وربما يترك اشهرا ثم يرد الى سكناها كلاهما ، وهذا لا يجوز ، وما ياخذه القضاة من كراء تلك الحوانيت في مرتباتهم لايجوز ، وهو عكس تجرجه في امانتهم وشهاداتهم[٧] .

وفي الصف القبلي من الرهادرة الرفاؤون وبعض حوانيت الكتانيين ، وما وراء ذلك كانت دورا لقوم فبنيت حوانيت وسميت الحوانيت الجدد ، وثقل الناس من اسواقهم اليها ، واخذوا سكناها وعمارتها للامير[٨] .

---

(٢) ابو العرب ٨٠ ، معالم الايمان ٢/١٩٤ .

(٣) رياض النفوس ١/١٠٩ .

(٤) الرقيق ١١٩ ، ابن عذاري ١/٩٣ .

(٥) ابو العرب ١٣٥ ، رياض النفوس ٢/٥٩ .

(٦) البيان المغرب ١/٢٥٣ .

(٧) معالم الايمان ٢/٣٧ ، والرهادرة هم باعة الجوخ ونسيج القطن والكتان (احسن التقاسيم ٣) ولم يذكروا بهذا الاسم الا في بغداد والقيروان ، ولا اعلم مصدر اشتقاق هذا الاسم . انظر : تكملة المعاجم العربية مادة « رهادنة » .

(٨) رياض النفوس ١/٢٨٠ ، معالم الايمان ٢/٣٧ (؟)

ومن اسواق القيروان المشهورة سوق الاحد ، وكان مما يباع فيه الفخار[٩] ، والقطن[١٠] ، ولعله كان عنده سوق القطانين حيث كان يعمل فيه محمد القطان مع عبدالجبار بن خالد[١١] .

وفي سوق الاحد درب ام ايوب ، وحفرة نسب اليها يحي بن سليمان الحفري[١٢] ولعل لهذا الحفر علاقة بالبئر الواسعة التي حفرها يزيد بن حاتم وجعل فوهتها من رخام وكانت غزيرة الماء وبنى عندها اصطبلات للخيل فكانت تسمى قبة الخيل[١٣] ، وبقرب هذا السوق ماجل مهروية ، وكانت حارة[١٤] .

ومن اسواقها سوق اليهود[١٥] وكان عنده درب ابي الطفيل التجيبي لانه كان يسكنه[١٦] .

وورد في المصادر السوق القديمة[١٧] ، والسوق الكبير[١٨] .

وذكرت المصادر اسواقا لاتحدد مواقعها من المدينة : ومما ذكرته :

١ ــ سوق الغزل (رياض النفوس ١/٣٤٦ ، معالم الايمان ٢/٣٤٣) .

٢ ــ القطانيين (معالم الايمان ٣/٣٤ ، ٢/٢٠٢) .

٣ ــ سوق البزازين ، وهي تسلك الى درب رباح (ابو العرب ١٢٤ وانظر الرقيق ٦٨) .

ويذكر ابو العرب ان ابراهيم بن الاغلب شق يوما « سماط القيروان ومعه ابن غانم من باب الربيع ، فلما صار الى موضع البزازين زادت دابته في المشي (٢٢٩ ، رياض النفوس ١/٢١٨ ، ٤٢١ ، معالم الايمان ١/٢٢٤ ــ ٥ .

(٩) علماء افريقيه والمغرب للخشني ٢٣٢ .
(١٠) معالم الايمان ٢/١٣٤ .
(١١) معالم الايمان ٢/٢٠٥ .
(١٢) ابو العرب ١٧٤ ، معالم الايمان ٢/٣ .
(١٣) الرقيق ١٥٨ .
(١٤) رياض النفوس ١/٣١٢ .
(١٥) الرقيق ٢٠٧ ، ابو العرب ١٣٠ .
(١٦) الرقيق ١٦٧ .
(١٧) معجم البلدان ٢/٣٩٠ .
(١٨) رياض النفوس ١/٤٢١ .

٤ ــ سوق الجزارين (رياض النفوس ١/٤٠٥)

٥ ــ سوق الرفائين والكتانيين عند سوق الزهادرة (رياض النفوس ١/٢٨٠ ، معالم الايمان ٢/٣٧) .

٦ ــ سوق السراجين (رياض النفوس ١/١٧١) .

٧ ــ السيوريين (ابو العرب ١٣٥) .

٨ ــ سوق الزياتين ، ويقابل سوقهم رحبة (معالم الايمان ٤/٢١٥) .

٩ ــ الابزاريين (رياض النفوس ١/٢٣٥) .

١٠ ــ سوق الدجاج (رياض النفوس ١/١٤٦ ، معالم الايمان ٢/٣٤٣) .

١١ ــ اصحاب الشوك وعندهم مسجد ابي الفتح (رياض النفوس ١/١٤٦ ، معالم الايمان ٢/٣٤٣) .

١٢ ــ سوق العربي (رياض النفوس ١/٣٤٦) .

١٣ ــ النباذين باعة الخمر (معالم الايمان ٤/٩٢) .

١٤ ــ سوق الزجاجين وفيه مسكن زرارة بن عبدالله (الرقيق ١٥٨) .

١٥ ــ سوق الكتب وعنده المسجد الذي بجوار حمام الفتح (رياض النفوس ١/٨٨) ولعلها حمام ابي اسحاق (رياض النفوس ٢/٥١ ! .

١٦ ــ سويقة ابي المغيره بن عمران (ابو العرب ١٦٢) .

١٧ ــ السقطيين (رياض النفوس ١/٢٢٥) .

١٨ ــ الفحامين (رياض النفوس ١/٤٨٨) .

١٩ ــ سوق هشام (رياض النفوس ٢/١٨٨ ؛ معالم الايمان ٣/٨٧) .

٢٠ ــ سوق بني هاشم منسوبة الى صالح صاحب بني هاشم (معالم الايمان ١/٢٤٧ .

الدمنــة ومساجدهــا : ـ

الدمنة من معالم القيروان العمرانية البارزة، وكان فيها دار للمجذمين[1] وحارة للمرضى[2] وعدد من اهل البلاء[3] ، وفيها مقام خمسة عشر من الاولياء ، منهم دحيم ، كلهم مستجاب الدعاء[4] وكـان الناس يخرجون مــن الجامع الى دور العبادة والعلماء والمحارس والدمنة بالصدقة ، يلبثون بالقيروان يفرقون الاموال للمساكين والمستورين[5] وكان امراء بني الاغلب يخرجون من المسجد الجامع الى الدمنة يزورون ابا محمد الانصاري[6] وكان كثير من الناس يذهبون اليها في الاعياد[7] .

وعند الدمنه مسجد عبدالله ، سمى بعبدالله بن سعد وبه سمى المكان باب عبدالله ، وهو عند السبخة التي في شرقي القيروان ، وهو قـريب الى المسجد المجاور لمقبرة سحنون الخراب، وقد اندرس الباب بانقراض رسوم القيروان[8].

وفي الدمنة مسجد ابى ميسـرة ، وهو احد المساجـد السبعة الاولى في القيروان ، ولما بنى السور المحدث اخـذ شيء منه فصـار في الشارع ، وقد جدده حسن بن محمد بن واصل التميمي ، وكان الفقهاء يسمونـه مسجد ابي ميسرة ، اما العامة فيسمونه مسجد ابن غلاب ، باسم الشيخ العدل ابي اسحاق محمد بن ابراهيم بن محمد الغلابي المسراتي ، وموقع المسجد من يسار الداخل من باب تونس[9] .

ومن المساجد المشهورة في الدمنة مسجد الخميس ، بناه ابراهيم بن مضاء الضرير وكان يقرأ فيه الرقائق كل خميس[10] .

(١) معالم الايمان ٢/١٣٥ .
(٢) رياض النفوس ٢/١٦٦ .
(٣) معالم الايمان ٢/١ ١ .
(٤) معالم الايمان ٢/٧٢ ، ١١٦ .
(٥) معالم الايمان ٢/٧٥ .
(٦) رياض النفوس ١/١٧٠ .
(٧) رياض النفوس ٢/١٤٦ .
(٨) معالم الايمان ١/٢٨ ـ ٣٠ .
(٩) معالم الايمان ٣/٤ .
(١٠) معالم الايمان ٢/١١٦ .

واشهر مساجد الدمنة مسجد السبت ، وهو قرب مسجد الخميس[١١] والمسجد ينسب الى ابي محمد الانصاري الضرير[١٢]. وكان « يحضره الزهاد والعباد ، يقرأ فيه القارىء آية من كتاب الله عز وجل وبعض حكايات الصالحين .. كانوا يخرجون منه يوم السبت فيبقى اثره الى السبت الثاني .. فما سمي بمسجد السبت الا لعمل الرقائق فيه كل سبت خاصة[١٣]. يعرف مسجد السبت بمسجد الدمنة وهو يلاصق السور القديم من الجبلي[١٤] ، ويقع خارج السور[١٥] .

وقد لقي اجتماع الناس في مسجد السبت معارضة من بعض الاتقياء ، فكان يحيى بن يعمر « شديد الانكار على من يحضر مسجد السبت ، وكان يرى ان هذا بدعة لم يكن في الزمان الاول ، فالف تاليفا في وجوب عدم حضوره ، فكان لا يحضره وينهى عن حضوره ، وكانت المشيخة في زمانه على خلافه ، وتابعه على قوله الشيخ ابو الحسن ابن القاس رحمه الله تعالى ، وكان يقول ياقوم هذا القرآن يتلى والاحاديث النبوية ويسمع الانسان بيتا من شعر فيبكي ، هذا عجيب ، وتبعه تلميذ الشيخ ابو عمران الفاسي درج على ذلك[١٦]. ثم خرب مسجد السبت الى ان جاء علي بن عبدالعزيز الهلواري ، فلازم مسجد السبت وعمره بعد خرابه وانقطع فيه للعبادة ، وكان كثيرا ما يقضي ليله فيه ، وياتيه العلماء فيه للعبادة والانقطاع الى الله عز وجل »[١٧] وصار مسجد السبت يسمى في زمن ابن الدباغ « مسجد العربي » لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد شعر بني معدن في الزهد ويقرأ ايات من كتاب الله وحكايات[١٨].

---

(١١) معالم الايمان ٣١١/١ .
(١٢) معالم الايمان ٧٣/٢ .
(١٣) معالم الايمان ١٥٩/٢ .
(١٤) معالم الايمان ٣١/١ .
(١٥) معالم الايمان ٧٣/٢ .
(١٦) معالم الايمان ٥٩/٢ ، ٢٧/٣ .
(١٧) معالم الايمان ١٩/٤ - ٢٠ - (٢٨) ٣ ، ٢٤ ، وانظر ٧٣/٢ ، ١٥٩ .

عبد القاهر ونقد النص الشعري

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع

(١)

النصّ : الرفْع ، ونص الحديث ينصه نصا رفعه ، وكل ما أظهر فقد نص . ونصّ المتاع نصا جعل بعضه على بعض . والنص : منتهى الاشياء ومبلغ أقصاها . والنص : التعيين على شيء ما . وكل ذلك مجاز من النص بمعنى الرفع والظهور . ومنه أخذ نص القرآن والحديث ، وهو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره . وقيل : نص القرآن والسنة ما دل ظاهر لفظهما عليه من الاحكام . وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من المجاز وفي حديث هرقل : « ينصّهم » أي يستخرج رأيهم ويظهره . وقيل : ومنه نص القرآن والسنة . وتناصّ القوم ازدحموا .[1]

والنص : « مالا يحتمل إلا معنى واحدا ، قيل : مالا يحتمل التأويل »[2] وهذا المعنى مأخوذ من « الرفع البالغ ومنه منصة العروس ثم نقل في الاصطلاح الى الكتاب والسنة والى مالا يحتمل إلا معنى واحدا . والنص قد يطلق على كل كلام مفهوم المعنى سواء كان ظاهرا أم نصا أو مفسرا اعتبارا منه للغالب لأن عامة ماورد من صاحب الشريعة نصوص »[3] .

وهناك « إشارة النص » وهي : ماعرف بنفس الكلام لكن بنوع تأمل وضرب تفكر »[4] .

---

١ — ينظر العين ج٧ ص٨٦ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (نص) .
٢ — التعريفات ص٢٦٠ .
٣ — الكليات ج٤ ص٣٦٦ وتنظر ص٢٥٨ .
٤ — الكليات ج١ ص١٨٥ .

والنصّ : صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف ، والكلمة بهذا المعنى مولدة أي أنها ليست قديمة[٥] ؛ لان المعنى القديم ينصرف الى نص القرآن الكريم والسنة الشريفة •

والنصّ : هو الكلمات المطبوعة والمخطوطة التي يتألف منها الأثر الادبي، أو اقتباس أجزاء من الكتب المقدسة والتعليق عليها في الوعظ ، أو الاقتباس الذي يعد نقطة انطلاق لبحث أو خطة •[٦]

(٢)

وقد كان النص الشعري مدار دراسات اللغويين والنحاة والبلاغيين والنقاد ، اذ اتخذوا من البيت الواحد — في الاعم الغالب — شاهدا وقفوا عنده فأوضحوا ألفاظه ، وبينوا تراكيبه ، وحللوا أسلوبه ، وحكم عليه اللغويون والنحاة بالصحة والصواب أو الخطأ والفساد ، وأعطى البلاغيون والنقاد حكما يتصل بحسنه وجودته أو رداءته وتهافته • وكانوا — جميعا — ينطلقون من النص إلاّ ماكان من اللغويين الذين اهتموا بفصاحته وأصالته فقد كانوا يدققون في نسبته ويقطعون البراري والقفار للاتصال بالأعراب وتوثيق ما يسمعون من كلام ، وإلاّ ما كان من المؤلفين الذين كانوا يدققون في النص خشية الانتحال كما فعل محمد بن سلام الجمحي (–٢٣١هـ) في كتابه «طبقات فحول الشعراء» •

ولم يعرف البلاغيون والنقاد ماسمي في هذا القرن «ماحول النص» مما شاع في البيئات الادبيةوالنقدية تأثرا باراءالنقاد الذين اهتموا بالبيئة والجنس والزمان ، وبحياة الشاعر وثقافته ونفسيته ، وكان الاوائل لا يعنون إلا بالنص مهما كان قائله ، لان الهدف الذي سعوا اليه هو الصحة أو الخطأ ، والجودة

٥ — ينظر المعجم الوسيط والمعجم العربي الاساس (نص) .
٦ — ينظر معجم مصطلحات الادب ص٥٦٦ ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص٢٦٦ ، المعجم الادبي ص٢٨٢ .

أو الرداءة أما ماوراء ذلك فلم يكن عندهم ذا بال ، وان كانت لهم اشارات الى البيئة والثقافة والزمن وأثرها في الشعر [٧] .

وكان للبلاغيين والنقاد القدامى حس لغوي رفيع ، وثقافة واسعة،ومعرفة بالكلام ، فاحسنوا في نقدهم وان كانوا قد وقفوا عند البيت الواحد ولم يتجاوزوه الى القطعة أو القصيدة الا قليلا ، ولعل أبا بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) من أشهر الذين نظروا في النص الكامل حينما حلل معلقة امرىء القيس ، وقصيدة البحتري اللامية [٨] .

فالقدماء لم يكونوا بمنأى عن النص الكامل اذ مارس بعضهم نقده،ولكن عنايتهم بالقواعد والأصول والتنظير ، جعلتهم يتخذون من البيت او البيتين ميدانا لدراستهم، وان نبهوا على ان البيت الواحد اذا ما ارتبط بالأبيات الأخرى كان أكثر دلالة ، وأشد وضوحا ، لان اكتمال التصوير يحقق المعنى ويؤثر في المتلقي فيهتز طرباً إن كان النص رائعا ، ولايجد في نفسه هزة إن كان رديئا .

ولم يكن عبدالقاهر الجرجاني (ــ ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) بعيدا عن هذا الاتجاه فقد كان امتدادا للنقاد الاوائل ، وإن أتى بكثير مما حاموا حوله ولم يحققوه . وكان كالسابقين يهتم بالنص لابما حوله ، ويقف عنده طويلا مفسرا وموضحا ومعللا ، ويومىء الى مافيه من روعة وجمال ، إن وجد في نفسه هزة ، ويدعو المتلقي الى أن يشاركه الاعجاب فيطرب كما طرب ويهتز كما اهتز . وأول حقيقة يديها هي أن النص ليس واحدا وأن لكل نص مزية لاتوجد في غيره ، يقول : « إنَّ سبيل هذه المعاني فــي الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الاشياء التي هي حقيقة فيها ، وانه كما يفضل هناك النظمُ النظمَ والتأليفُ ، التأليفَ ، والنسجُ النسجَ ، والصياغةُ الصياغةَ ثم يعظم الفضل

٧ ــ ينظر على سبيل المثال الوساطة ص١٥ وما بعدها .

٨ ــ ينظر اعجاز القرآن ص٢٧٣ وما بعدها .

وتكثر المزية حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد ، كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ويتقدم منه الشيء ثم يزداد فضل ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ، ويعلو مرقبا بعد مرقب ، ويستأنف له غاية بعد غاية حتى ينتهي الى حيث تنقطع الاطماع ، وتحسر الظنون ، وتسقط القوى ، وتستوي الأقدام في العجز »[٩] .

والنصّ عنده هو البيت — في الاعم الغالب — ومعظم شواهده أبيات متفرقة ومن ذلك قول المتنبي :

وقيّدت نفس في ذراك محبةً ومن وَجَدَ الاحسان قيداً تقيدا

يقول : « الاستعارة في أصلها مبتذلة معروفة ، فانك ترى العاميّ يقول للرجل يكثر احسانه اليه وبره له حتى يألفه ويختار المقام عنده : « قد قيدني بكثرة إحسانه اليّ وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لاتطاوعني على الخروج من عنده» . وانما كان ماترى من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتأليف »[١٠] . هذه النزعة هي الغالبة في نقده ، ولكنه كان يرى أن من الحسن مالايتم إلاّ بالنص كله ، وأن منه ما يهجم من البيت الاول ، يقول : « إن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها الى بعض حتى تكثر في العين ، فأنت لذلك لاتكبر شأن صاحبه ولا تقضي له بالحذق والاستاذية وسعة الذرع وشدة المنة حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدة أبيات ، ومنه ما أنت ترى الحسن يهجم عليك دفعة ويأتيك منه مايملأ العين ضربة حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرجل من الفضل وموضعه من الحذق، وتشهد له بفضل المنة وطول الباع وحتى تعلم ـ إن لم تعلم القائل ـ أنه من قبل شاعر فحل ، وأنه خرج من تحت يد صناع وذلك ما إذا أنشدته وضعت فيه اليد على الشيء فقلت : هذا هذا ، وما كان

٩ — دلائل الاعجاز ص٣٤ — ٣٥

١٠ — دلائل ص١٠٥ .

كذلك فهو الشعر الشاعر ، والكلام الفاخر ، والنمط العالي الشريف ، والذي لاتجده إلا في شعر الفحول البزل ثم المطبوعين الذين يلهمون القول الهاما »[11] .

ويؤكد هذه الحقيقة ، ويردد أن البيت ربما لايكون دالا على المعنى والغرض ، ومن ذلك قول المزرد :

فما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق وحافر

فالنظر في البيت المفرد يدل على ان الشاعر استعمل « حافر » مكان « قدم » حين لم تطاوعه النافية ، وهذا من الاستعارة غير المفيدة ، ولكن النظر فيما بعده يدل على أن الشاعر وفق في هذه الاستعارة لانه « قد قال بعد هذا البيت مايدل على قصده أن يحسن القول في الضيف وتباعده من أن يكون قصد الزراية به أو يحول حول الهزء به والاحتقار له ، وذلك قوله :

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذا المحيا من محي وزائر

فليس بالبعيد أن يكون فيه شوب مما مضى وان يكون الذي أفضى به الى ذكر الحافر قصده ان يصفه بسوء الحال في مسيره ، وتقاذف نواحي الارض به وأن يبالغ ذكره بشدة الحرص على تحريك بكره واستفراغ مجهوده في سيره ، ويؤنس بذلك أن تنظر الى قوله قبل :

وأشعث مسترخي العلابي طوحت به الأرض من باد عريض وحاضر

فأبصر ناري وهي شقراء أوقدت بعلياء نشز للعيون النواظر

وبعده : « فما رقد الولدان .. » فأنه جعله أشعت مسترخي العلابي ، فقد قربت المسافة بينه وبين أن يجعل قدمه حافرا ليعطيه من الصلابة وشدة الوقع على جنب البكر حظا وافرا »[12] .

لقد اختلف معنى البيت بالنظر فيما قبله وبعده ، وأصبح تصويرا بديعا لحالة ذلك الضيف الذي جاء يسري بكره بساق وحافر ، وكان أشعث طوحت

---

١١ ــ دلائل ص٨٨ .

١٢ ــ اسرار البلاغة ص٣٥ ــ ٣٦ .

به الارض فسعى الى مضيفه الذي رحب به وسر أيما سرور .

وربما لايتم معنى البيت إلا بما بعده يقول : « فانظر الى نحو قول البحتري :

دانٍ على أيدي العفاة وشاسع	عن كل ند في الندى وضريب
كالبدر أفرط في العلو وضوؤه	للعصبة السارين جد قريب

وفكر في حالك وحال المعنى معك وأنت في البيت الاول لم تنته ِ الى الثاني ، ولم تتدبر نصرته اياه وتمثيله له فيما يملي على الانسان عيناه ، ويؤدي اليه ناظراه ، ثم قسهما على الحال وقد وقفت عليه وتأملت طرفيه فانك تعلم بعد مابين حالتيك وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك وتحببه اليك ونبله في نفسك وتوفيره لانسك وتحكم لي بالصدق فيما قلت والحق فيما ادعيت»[١٣].

ويقول عنها ايضا : « فان المعاني اللطيفة لابد فيها من بناء ٍ ثان ٍ على أول ، وردّ تال ٍ الى سابق . أفلست تحتاج في الوقوف على الغرض من قوله : « كالبدر أفرط في العلو » الى أن تعرف البيت الاول فتتصور حقيقة المراد منه ووجه المجاز في كونه دانيا شاسعا وترقم ذلك في قلبك ثم تعود الى ما يعرض البيت عليك من حال البدر . ثم تقابل احدى الصورتين بالأخرى وترد البصر من هذه الى تلك ، وتنظر اليه كيف شرط في العلو الافراط ليشاكل قوله « شاسع » لان الشسوع هو الشديد من البعد ثم قابله بما لايشاكله من مراعاة التناهي في القرب فقال : « جد قريب » . فهذا هو الذي أردت بالحاجة الى الفكر وبأنّ المعنى لايحصل لك إلاّ بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد فيه »[١٤] . فالربط بين البيتين والاشارة الى التصوير أوضحا المعنى ، ولو نُظر الى البيت الاول وحده لبقيت الصورة غامضة والمعنى بعيدا .

١٣ ــ اسرار ص١٠٢ ــ ١٠٣ .
١٤ ــ اسرار ص١٣٣ .

وقد يؤدي اقتطاع البيت من القصيدة الى الاغتراب وفقدان قيمته، ومن ذلك قول علي بن محمد بن جعفر :

دِمَنٌ كأنَّ رياضها — يكسين أعلام المطارف
وكأنما غدرانها — فيها عشور من مصاحف
وكأنما أنوارها — تهتز في نكباء عاصف
طرر الوصائف يلتقن بها الى طرر الوصائف
وكأن لمع بروقها — في الجو أسياف المثاقف

يقول : « المقصود البيت الاخير ، ولكن البيت اذا قطع عن القطعة كان كالكعاب تفرد عن الأتراب فيظهر فيها ذل الاغتراب ، والجوهرة الثمينة مع أخواتها في العقد أبهى في العين وأملأ بالزين منها اذا أفردت عن النظائر وبدت فذة للناظر » [١٥] .

والقراءات المتعددة للنص أو إعادة النظر فيه تفتح مغاليقه وتوضح أهدافه ، ولذلك ينبغي قراءة النص أكثر من مرة واجالة الفكر والتأمل فيه ، يقول : « وانك لتنظر في البيت دهرا طويلا وتفسره ولا ترى أنَّ فيه شيئا لم تعلمه ، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته . مثال ذلك بيت المتنبي :

عجباً له حفظ العنان بأنمل — ما حِفْظُها الاشياء من عاداتها

مضى الدهر الطويل ونحن نقرؤه فلا ننكر منه شيئا ، ولا يقع لنا ان فيه خطأ ، ثم بان بأخرة أنه قد أخطأ » .[١٦]

ولا يعطي النص المغلق دلالته ما لم يبذل الناقد جهدا كبيرا ، ويتأمل فيه تأملا عظيما ، ويغوص الى أعماقه ليكشف أصيله من زائفه ، أي ان النقد معاناة وليس عملية سهلة يسيرة يتعاطاها كل من خط الالف . وعبدالقاهر يؤكد هذه الحقيقة ويكررها في كثير من المواطن ، يقول : « ومن المركوز في الطبع

---

١٥ ــ أسرار ص١٨٥ ــ ١٩٠ .
١٦ ــ دلائل ص٥٥١ .

أن الشيء اذا نيل بعد الطلب لـه أو الاشتياق اليه ومغاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى وبالمزية أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف ، ولذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ كما قال :

وهنّ ينبذن من قول يصبن به   مواقع الماء من ذى الغلة الصادي

وأشباه ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة اليه وتقدم المطالبة من النفس به » .(١٧) ويقول : « لو كان الجنس الذي يوصف من المعاني باللطافة ، ويعد في وسائط العقود لايحوجك الى الفكر ولا يحرك من حرصك على طلبه بمنع جانبه وببعض الادلال عليه واعطائك الوصل بعد الصد والقرب بعد البعد لكان « باقلى حار » وبيت معنى هو عين القلادة وواسطة العقد واحدا ، ولسقط تفاضل السامعين في الفهم والتصور والتبيين ، وكان كل من روى الشعر عالما به وكل من حفظه – اذا كان يعرف اللغة على الجملة – ناقدا في تمييز جيده من رديئه »(١٨) . ويقول : « فهو هذا الذي أردت بالحاجة الى الفكر وبأن المعنى لايحصل لك الا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في نيله »(١٩) .

هذه الاقوال وغيرها تؤكد أن النقد عملية صعبة ، وانه يحتاج الى ثقافة واسعة ، والى كد للفكر ، وتأمل عميق ، ومن هنا كان أحسن النقاد من بذل جهدا في نقده ووقف طويلا يتأمل النص ويعيد قراءته ليصل الى رأي أوحكم . وقد كان عبدالقاهر ممن كدوا الفكر ، وأطالوا الوقوف عند النص ، والتأمل فيه وهو يتعرض لاعجاز القرآن الكريم في كتابه « دلائل الاعجاز » ولبلاغة الكلام في كتابه « أسرار البلاغة » .

وقرر أن نقد الشعر ليس صنعة إعرابه وغريبه وانما هو «صناعة اخرى»

---

١٧ – اسرار ص١٢٦ – ١٢٧ .
١٨ – اسرار ص١٣١ – ١٣٢ .
١٩ – اسرار ص١٣٣ .

يعرف فيها الشعر « الـذي فيه عروق الذهب »[٢٠] ، وهو ليس معرفة الصواب والخطأ ، وانما هو فوق ذلك ، يقول : « أما والصـواب ـ كما ترى ـ فلا ، لانا لسنا في ذكر تقويم اللسان والتحرز من اللحن وزيـغ الاعراب فنعتد بهذا الصواب ، وانما نحن في أمور تدرك بالفكـر اللطيفـة ، ودقائق يوصل اليها بثاقب الفهـم ، فليس درك صواب دركا فيمـا نحن فيه حتـى يشرف موضعه ويصعب الوصول اليه وكذلك لايكون ترك خطأ تركا حتى يحتاج في التحفظ منه الى لطف نظر ، وفضل روية ، وقوة ذهن ، وشدة تيقظ »[٢١] .

والنقد عملية صعبة لان « من شأن الوجوه والفـروق أن لايزال تحدث بسببها وعلى حسـب الاغراض والمعانـي التي تقع فيها دقائـق وخفايا لا الى حد ونهاية ، وانها خفايا تكتم أنفسها جهدها حتى لايتنبه لاكثرهـا ، ولا يعلم انها هي ، وحتى لا تزال ترى العالم يعرض له السهو فيه ، وحتى انه ليقصد الى الصواب فيقـع في أثنـاء كلامه بما يوهـم الخطأ ، كـل ذلك لشـدة الخفاء وفرط الغموض »[٢٢] .

والناقد ـ عنده ـ من عرف الخطأ والصواب ، والاسـاءة والاحسان ، والمفاضلة بين الكلام . يقـول : « وجملة الامـر انك لن تعلم فـي شيء من الصناعات علما تمر فيه وتحلي حتـى تكون ممـن يعرف الخطـأ فيها من الصواب ، ويفصل بين الاسـاءة والاحسان ، بل حتـى تفاضل بين الاحسان والاحسان ، وتعرف طبقات المحسنين »[٢٣] . ولابد للناقد من علم يعينـه على النظر في النص والوقوف على تراكيبه والحكم عليه ومعرفة النظم الذي يتباين فيه الكلام ، ويختلف نص عن آخر[٢٤] ، ولابد له من معرفـة لطعم الشعر ، والتفريق بين التفه الذي لاطعم له ، والحلو اللذيذ[٢٥] .

٢٠ ـ دلائل ص٢٥٣ . ٢١ ـ دلائل ص٩٨ .
٢٢ ـ دلائل ص٢٨٥ . ٢٣ ـ دلائل ص٣٧ .
٢٤ ـ دلائل ص٥٤٦ . ٢٥ ـ أسرار ص٣٣٣

ولم يكن عبدالقاهر ناقداً مقلدا ، فهو يكره التقليد والحكم من غير رويّة وعلم ، يقول فيمن لايستمعون اليه : « كأنهم قد قضي عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصدده على التقليد البحت ، وعلى التوهم والتخيل ، واطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى ، قد صار الدأب والديدن ، واستحكم الداء منه الاستحكام الشديد »[٢٦] . ويحذر من الوقوع في شرك التقليد والاتباع يقول : « ومن ذلك انك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء تأويلا وقضى فيه بأمر فتعتقده اتباعا ولا ترتاب انه على ماقضى وتأول ، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل يلوح لك ماتعلم به ان الامر على خلاف ماقدر »[٢٧]. ويعد خطأ النقاد داءً دويا ،[٢٨] وفي كتابيه كثير من النقد لاقوال السابقين وتصحيح لارائهم وأحكامهم ، مما يدل على أنه لم يكن مقلدا في نقده ، وانما كان مجددا صاحب نظرية في نقد النص، وصاحب منهج واضح.

وقبل أن يخوض في النقد ويحكم على النصوص أرسى بعض الاسس التي كانت منطلقا له وهي :

١ ــ دفاعه عن البيان .

٢ ــ دفاعه عن النحو .

٣ ــ دفاعه عن الشعر .

أما البيان فيقول عنه : « ثم انك لاترى علما هو أرسخ أصلا ، وأبسق فرعا ، وأحلى جنى ، وأعذب وردا ، واكرم نتاجا ، وأنور سراجا ، من علم البيان الذي لولاه لم ترَ لساناً يحوك الوشي ، ويصوغ الحلي ، ويلفظ الدر ، وينفث السحر ، ويقري الشهد ، ويريك بدائع من الزهر ، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويره إياها ، لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها يد الدهر صورة ، ولاستمر السرار بأهلتها ،

٢٦ ــ دلائل ص٣٦٥ . ٢٧ ــ دلائل ص٥٥٣ .

٢٨ ــ دلائل ص٢٥١ .

واستولى الخفاء على جماعتها الى فوائد لا يدركها الاحصاء ومحاسن لايحصرها الاستقصاء »[٢٩] . ويبدو أن البيان وصل في عهده الى حالة لاتحمد ، وخاض المؤلفون فيه ولم يقفوا على حقيقته ، وأوضح عبد القاهر هذه الحالة ، بقوله : « إلا انك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ، ومني من الحيف بما مني به ، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه . فقد سبقت الى نفوسهم اعتقادات فاسدة وظنون رديئة ، وركبهم فيه جهل عظيم وخطأ فاحش »[٣٠] .

وأما النحو فقد وصل في زمانه الى مرحلة النضج وإن كانت بعض مسائله قد لفها التعقيد ، والاهتمام بالعامل ، واصطناع التمرينات غير العملية . مما زهد الناس فيه . وصوّر عبدالقاهر هذه الحالة أحسن تصوير ، وأوضح موقف الزاهدين من النحو ، ودافع عنه ، ودعا الى الاهتمام به ، يقول : « وأما النحو فظنته ضربا من التكلف وبابا من التعسف ، وشيئا لايستند الى أصل ، ولا يعتمد فيه على عقل ، وان مازاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادىء فهو فضل لايجدي نفعا ، وتحصل منه على فائدة . وضربوا له المثل بالملح ــ كما عرفت ــ الى أشباه لهذه الظنون في القبيلين وآراء لو علموا مغبتها وما تقود اليه لتعوذوا بالله منها ، ولأنفوا لانفسهم من الرضا بها ، ذلك لانهم بايثارهم الجهل بذلك على العلم في معنى الصادّ عن سبيل الله والمبتغي اطفاء نور الله تعالى »[٣١] . وأوضح أهمية النحو وضرورته، « اذ كان قد علم أن الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي يفتحها ، وأن الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وانه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لايعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه . لاينكر ذلك إلاّ من ينكر حسه ، وإلاّ من غالط في الحقائق نفسه . واذا كان الامر كذلك فليت شعري ماعذر من تهاون

---

٢٩ ــ دلائل ص ٥ ــ ٦ . ٣٠ ــ دلائل ص٦ . ٣١ ــ دلائل ص٨ .

به وزهد فيه ولم يرَ أن يستقيه من مصبه ويأخذه من معدنــه ، ورضي لنفسه بالنقص ، والكمال لها معرض ، وآثر الغبينة وهو يجد الى الربح سبيلا»[٣٢] ، وذلك « ان الكلام لايستقيم ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلاّ بمراعاة أحكام النحو فيه من الاعــراب والترتيب الخاص »[٣٣] . وفساد التركيب النحوي يؤدي الى فساد الكلام كما في قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلاّ مملكاً　　　أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

« فانظر أيتصــور أن يكون ذمــه للفظ من حيث أنــك انكرت شيئا من حروفــه أو صادفت وحشيا غريبــا أو سوقيا ضعيفا ، أم ليس إلاّ لانه لم يرتب الالفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر ، فكَدّ وكدّر ، ومنع السامع من أن يفهم الغرض إلاّ بأن يقدم ويؤخر ، ثم أسرف في إبطــال النظام وابعاد المرام ، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يُراجعَ فيها بــاب من الهندســة لفــرط ما عادى بــين أشكالهــا وشــدة ما خالف بين أوضاعها »[٣٤]. فالفساد والخلل في هذا البيت « كانــا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصــواب ، وصنع في تقديــم أو تأخير ، أو حذف وإضمار مما ليس له أن يصنعه وما لا يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم . واذا ثبت أن سبب فساد النظم واختلاله أن لايعمل بقوانين هذا الشأن ثبت أن سبب صحته أن يعمل عليها ، ثم اذا ثبت ان مستنبط صحته وفساده من هذا العلم ثبت أن الحكــم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعــرض فيه . واذا ثبت جميع ذلك،ثبت أن ليس هو شيئا غير توخي معاني هذا العلم وأحكامه فيما بين الكلــم »[٣٥].

وأما الشعر فقد زهد الناس فيــه لانه كمــا خيل اليهم « ليس فيه كثير طائل ، وأن ليس الا ملحة ، أو فكاهة ، أو بكاء منزل ، أو وصف طلل ، أو نعت

٣٢ ــ دلائل ص٢٨ .
٣٣ ــ اسرار ص٦٥ .
٣٤ ــ أسرار ص٢١ .
٣٥ ــ دلائل ص٨٤ .

ناقة أو جمل ، أو اسراف قول في مدح أو هجاء ، وانه ليس بشيء تحسن الحاجة اليه في صلاح دين أو دنيا »[٣٦] . وبين أهميته وأشار الى الطائفة التي ساء اعتقادها فيه ، وهو معدن الفصاحة وعليه المعوَّل ، وهو « ديوان العرب وعنوان الادب » و « ميدان القوم اذا تجاروا في الفصاحة والبلاغة وتنازعوا فيهما قصب الرهان[٣٧] » . وتكلم على من زهد في روايته وحفظه ، وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه ، ورد أقوالهم وفندها ، وذكر اهتمام النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والخلفاء الراشدين والصحابة ــ رضي الله عنهم ــ به ، وأشار الى علمهم به وانشاده والاستشهاد به .

والشعر استعداد وقوة طبع ومن عدم ذلك ابتعد عن الشعرية ، وقد ذكر قصة حسان بن ثابت مع ابنه عبدالرحمن الذي قال : « لسعني طائر » فقال حسان : « صفه يا بنيّ » فقال : « كأنه ملتف في بردي حبرة » وكان لسعه زنبور ، فقال حسان : « قال ابني الشعر وربِّ الكعبة » . وعلق عبدالقاهر على ذلك بقوله : « أفلا تراه جعل هذا التشبيه مما يستدل به على مقدار قوة الطبع ويجعل عيارا في الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له ، وسره ذلك من ابنه كما سره نفس الشعر حين قال في وقت آخر :

الله يعلم أني كنت مغتبطا   في دار حسان اصطاد اليعاسيبا[٣٨]

ولا يرى جودة الشعر بمعانيه فحسب ، وانما بما فيه من شعرية[٣٩] ، ولابد للشاعر من أن يكد ذهنه للوصول الى المعاني الرفيعة والصور البديعة ، ويرتبها ترتيبا دقيقا ، ويبني ثانيا على أول ، وثالثا على ثانٍ حتى يستقيم الكلام ويخرج كله كأنه صيغ صياغة واحدة .[٤٠]

والشعر قوة ساحرة بما يصنعه من الصور ، ويشكل من البدع ، ويوقعه في النفوس من المعاني التي يتوهم بها الجامد الصامت في صورة الحي الناطق،

٣٦ ــ دلائل ص٨ .
٣٧ ــ دلائل ص ٨ ــ ٩ .
٣٨ ــ اسرار ص١٧٥ .
٣٩ ــ اسرار ص٢٤٩ .
٤٠ ــ اسرار ص٢٦٢ ــ ٢٦٣ .

والموات الاخرس في قضية التصحيح المعرب ، والمبين المميز والمعدوم المفقود في حكم الموجود المشاهد [41]، وذلك لما فيه من صنعة مؤثرة ، واسلوب رفيع ، وصور بديعة •

لقد نظر عبدالقاهر الى الشعر نظرة اجلال لانه ديوان العرب ، وان الناقد ينبغي أن يكون عارفا بأساليبه مطلعا على فنونه ، ولانه الشاهد الرفيع الذي يدل على البراعة والبلاغة ، ويعين المفسر والواقف على إعجاز كتاب الله • يقول: « وأردته لأعرف به مكان بلاغة ، وأجعله مثالا في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة ، وأنظر الى نظمه ونظم القرآن ، فأرى موضع الاعجاز ، وأقف على الجهة التي منها كان ، وأتبين الفصل والفرقان »[42]•

لقد حدد عبدالقاهر موقفه من البيان ، والنحو ، والشعر ، واتخذها منطلقا للوقوف على إعجاز القرآن الكريم ونقد الشعر ، وتعد هذه الوقفة مدخلا أو تمهيدا للانطلاق الى دراسة بلاغة القرآن ونقد النص الشعري •

(٣)

ومنهجه النقدي يتسم بصفتين واضحتين هما :

الاولى : التحليل اللغوي القائم على نظرية النظم التي آمن بها ، وألح عليها في كتابه « دلائل الاعجاز » إلحاحاً عظيما ، وجادل من أجلها جدالاً كبيرا • والنظم هو « تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض »[43] وهو حكم « من أحكام النحو ومعنى من معانيه »[44]•

فما لنظم كلام أنت ناظمه   معنى سوى حكم إعراب تزجّيه

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى   حكم من النحو نمضي في توخّيه[45]

ويعيد القول في معنى النظم ، ويفرق بين نظم الحروف ونظم الكلام

---

٤١ ـ أسرار ص٣١٧ ومابعدها .
٤٢ ـ دلائل ص٢٦ .
٤٣ ـ دلائل ـ المدخل ص٤ .
٤٤ ـ دلائل ـ المدخل ص٨ .
٤٥ ـ دلائل ـ المدخل ص١٠ .

فيقول : « وذلك أن نظم الحروف هو توإليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ماتحراه • فلو أن واضع اللغة كان قد قال : (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك مايؤدي الى فساد • وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لانك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس ، فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق ، ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج ، والتأليف ، والصياغة ، والبناء ، والوشي والتحبير ، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هنالك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح » • ثم يوضح هذا الفرق فيقول : « والفائدة في معرفة هذا الفرق : انك اذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل • وكيف يتصور أن يقصد به الى توالي الالفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وأنه نظير الصياغة ، والتحبير ، والتفويف ، والنقش وكل ما يقصد به التصوير »[٤٦]•

ويقف عند النظم طويلا ويقول : «اعلم ان ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[٤٧] • فالنظم هو توخي معاني النحو واحكامه وفروقه ووجوهه[٤٨] وهو أساس الكلام وبه يتمايز ويتفاوت ، وتغير النظم يؤدي الى تغير المعنى او الصورة ، يقول « واعلم ان هذا كذلك مادام النظم واحدا ، فأما اذا تغير النظم فلا بد حينئذ من ان يتغير المعنى »[٤٩] • ويضرب لذلك مثلا بالعبارتين

٤٦ ــ دلائل ص٤٩ ــ ٥٠ •   ٤٧ ــ دلائل ص٨١ •
٤٨ ــ ينظر دلائل ص٣٦١ ــ ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٩١ ــ ٣٩٢ ، ٤٥٢ ، ٥٢٥ •
٤٩ ــ دلائل ص٢٦٥ •

« زيد كالاسد » و « كأن زيدا الاسد » ويقول : « فتفيد تشبيهه ايضا بالاسد، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه بــه زيادة لم تكن في الاولى ، وهــي ان تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه لايروعه شيء بحيث لا يتميــز عن الاسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم انه أسد في صــورة آدمي . واذا كـــان هذا كذلك فانظر هل كانت هذه الزيادة وهذا الفرق إلا بما توخي في نظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف الى صدر الكلام وركبت مــع « أن »[٥٠]. ثم يقــول : « ذاك لانه لم يتغير من اللفظ شيء وانما تغير النظم فقط . وأما فتحك « أن » عنــد تقديم الكاف وكانت مكسورة فلا اعتداد بها لان معنى الكسر باق بحاله»[٥١] .

ويجيء التفاوت بين شاعر وشاعر عن طريق النظم . يقول : « وانما سبيل هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما انك ترى الرجل قد تهدّى في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب من التخيير والتدبر في أنفس الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه اياهــا الى مالم يتهدّ اليــه صاحبه ، فجاء نقشــه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم »[٥٢]. ويحدث هــذا التفاوت بسبب ترتيب المعاني في النفس ، يقول : « إنه لو كان القصد بالنظم الى اللفظ نفسه دون أن يكــون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطــق بالالفاظ على حذوها ، لكان ينبغي أن لايختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه، لانهما يحسان بتوالي الالفاظ في النطق احساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الاخر»[٥٣]. فالمعاني تترتب في النفس وتترتب معها الالفاظ: « فاذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج الى أن تستأنف فكــرا في ترتيب الالفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الالفاظ الدالة عليها في النطق»[٥٤].

٥٠ ـ دلائل ص٢٥٨ . ٥١ ـ دلائل ص٢٦٥ . ٥٢ ـ دلائل ص ٨٧ ـ ٨٨ .
٥٣ ـ دلائل ص٥١ . ٥٤ ـ دلائل ص ٥٤ ، وتنظر ص ٥٦ ، اسرار ص ٤ .

لقد آمن عبدالقاهر بالنظم ، ورد اليه كل فضيلة للكلام ، وأدى هذا الايمان الى أن يتخذ من اللفظ والمعنى والصورة موقفا يختلف عن مواقف كثير من النقاد الذين فضل بعضهم اللفظ ، وآثر بعضهم المعنى . واللغة عنده « تجري مجرى العلامات والسمات »[٥٥] فهي رموز أو اشارات « لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكن لان يضم بعضها الى بعض ، فيعرف فيما بينهما فوائد »[٥٦] . وهناك اللغة الانفعالية التي هي من أبرز سمات النص ؛ لان الالفاظ الموضوعة في اللغة لاتكون ذات تأثير الا اذا ضم بعضها الى بعض بطريقة مخصوصة تتوخى فيها أحكام النحو ووجوهه وهو ما سماه (النظم) ومن ذلك بيت بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

يقول : « انظر هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله أفرادا عارية من معاني النحو التي تراها فيها ، وأن يكون قد وقع « كأن » في نفسه من غير أن يكون قصد ايقاع التشبيه منه على شيء ، وأن يكون قد فكر في مثار النقع » من غير أن يكون أراد اضافة الأول الى الثاني ، وفكر في « فوق رؤوسنا » من غير أن يكون قد أراد أن يضيف « فوق » الى « الرؤوس » ، وفي « الاسياف » من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على « مثار » ، وفي « الواو » من دون أن يكون أراد العطف بها ، وأن يكون كذلك فكر في « الليل » من دون أن يكون أراد أن يجعله خبرا لـ « كأن » وفي « تهاوى كواكبه » من دون ان يكون أراد أن يجعل « تهاوى » فعلا للكواكب ثم يجعل الجملة صفة لليل ليتم الذي أراد التشبيه ، أم لم يخطر هذه الاشياء بباله الا مرادا فيها هذه الاحكام والمعاني التي تراها فيها »[٥٧] .

لقد وجد عبد القاهر أن بعضهم يميل الى اللفظ كل الميل ويجعل المزية له ، فثار على هذا الاتجاه وناقش اصحابه وفند أراءهم ، وكان يعيد ويبدي في

---

٥٥ ـ اسرار ص٣٢٧ ، وينظر دلائل ص٤١٧ ، ٥٤٠ .
٥٦ ـ دلائل ص٥٣٩ .
٥٧ ـ دلائل ص٤١١ ـ ٤١٢ .

هذه المسألــة ليثبت أن التفاضـــل ليس باللفظ وانمــا بموقعه في الكلام أي « السياق » ، يقــول : « ومـــن البيّن الجلي أن التبايـــن في هذه الفضيلة ، والتباعد عنها الى ما ينافيها من الرذيلة ليس بمجرد اللفظ ، كيف والالفاظ لاتفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب • فلو أنك عمدت الى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق ، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيــه أفرغ المعنـــى وأجري ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد وبنسقه المخصوص أبان المراد نحـــو أن تقــول في :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

« منزل قفا ذكرى من نبك حبيب » أخرجته من كمال البيان الـــى محال الهذيان • نعم ، وأسقطت نسبته من صاحبه ، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه ، بل أحلت أن يكون له اضافة الى قائل ونسب يختص له بمتكلـــم • وفي ثبوت هذا الاصل ما تعلم به أن المعنى الذي له كانت هذه الكلم بيت شـــعر أو فصل خطاب هو ترتيبهـــا على طريقة معلومـــة ، وحصولها على صـــورة من التأليف مخصوصة • وهذا الحكم ــ أعني الاختصاص في الترتيب ــ يقع في الالفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس المنتظمة فيها على قضية العقل[٥٨] » •
ولا يكون استحسان الكلام بجرس الالفاظ وانما بما يقع من المرء في فؤاده ، يقول : « فاذا رأيت البصير بجواهر الكـــلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثرا ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق، وحسن أنيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن أحـــوال ترجع الـــى أجراس الحروف والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل أمر يقع من المرء فـــي فؤاده وفضل يقتدحه العقل من زناده[٥٩] » •أي : انه لاجمال للفظ « من حيث هو صوت

٥٨ ــ أسرار ص٣ ــ ٤ •   ٥٩ ــ أسرار ص٤ •

مسموع وحروف تتوالى في النطق وانما « لما بين معاني الالفاظ من الاتساق العجيب[٦٠] » .

ولاتتفاضل الألفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة وانما من حيث هي كلم،أي أن السياق هو الذي يحدد قيمة اللفظة . يقول : « وهل يقع فـي وهم وان جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر الى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم باكثر من أن تكون هذه مألوفـة مستعملة وتلك غريبـة وحشية أو أن تكون حروف هذه أخف ، وامتزاجها أحسن ، ومما يكد اللسان أبعـد ؟ وهل تجد أحدا يقول : « هذه اللفظة فصيحة » إلا وهو يعتبر مكانها مـن النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها ؟ وهل قالوا :

« لفظة متمكنة ومقبولة » وفي خلافه « قلقـة ونابية ومستكرهة » الا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم ، وأن الاولى لم تلق بالثانية في معناها وأن السـابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مؤداهما »[٦١] . ويقـول : « إن الالفاظ لاتتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولامن حيث هي كلـم مفردة ؛ وان الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ » . ويضرب لذلك مثلا فيقول : « وممـا يشهد لك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقـل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ « الاخدع » في بيت الحماسة :

تلفت نحو الحي قـد وجدتني   وجعت مـن الاصغاء ليتا وأخدعا

وبيت البحتري :

وإني وإن بلّغتنـي شرف الغنى   وأعتقت من رق المطامـع أخدعي

فان لها في هذين المكانين مالايخفى من الحسن ، ثم انك تتأملها فـي بيت أبي تمام :

يادهر قَوّم من أخدعيك فقـد   أضججت هذا الانام مـن خرقك

---

٦٠ ـ دلائل ص٤٦ .

٦١ ـ دلائل ص٤٤ ـ ٤٥ .

فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ،ومن الايناس والبهجة . ومن أعجب ذلك لفظة « الشيء » فانك تراها مقبولة حسنة في موضع وضعيفة مستكرهة في موضع ، وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

ومن مالىء عينيه من شيء غيره   اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وقول أبي حية :

إذا ما تقاضى المرءَ يوم" وليلة   تقاضاه شيء" لايمل التقاضيا

فانك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر اليها في بيت المتنبي :

لو الفَلَكُ الدوار أعقبت سعيه   لعوقه شيءٌ عن الدوران

فانك تراها تقل وتضوءل بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم » . ثم ينتهي الى القول : « فلو كانت الكلمة اذا استحقت المزيّة والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلف بها الحال ، ولكانت اما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا »[٦٢] . فاللفظة لا تحسن ولا تضوءل من حيث هي لفظة ، وانما يظهر جمالها ويبين قبحها من انضمامها الى أخواتها الالفاظ ، وهي مرتبطة أشد الارتباط بالمعاني لانها أوعية لها ، يقول : « اعلم أن ماترى انه لابد منه من ترتب الالفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر ، ولكنه شيء يقع بسبب الاول ضرورة من حيث أن الالفاظ اذ كانت أوعية للمعاني فانها لامحالة تتبع المعاني في مواقعها ، فاذا وجب لمعنى أن يكون اولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق . فأما أن تتصور في الالفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وان يكون الفكر في

٦٢ ــ دلائل ص٤٦ ــ ٤٨ .

النظم الذي يتواصفه البلغاء فكراً في نظم الالفاظ أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه لان تجيء بالالفاظ على نسقها ، فباطل من الظن ، ووهم يتخيل الى من لا يوفي النظر حقه . وكيف تكون مفكراً في نظم الالفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا اذا عرفتها عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا[٦٣] » . فالألفاظ والمعاني تبرز في وقت واحد لانها متصلة بالفكر ، يقول : « ان هذا النظم الذي يتواصفه البلغاء ، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لامحالة ، واذا كانت مما يستعان عليها بالفكرة ، ويستخرج بالروية ، فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس ؟ أبالمعاني أم بالالفاظ ؟ فأي شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والالفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك ، فمحال أن تتفكر في شيء وأنت لاتصنع فيه شيئا وانما تصنع في غيره ، لوجاز ذلك لجاز أن يفكر البناء في الغزل ليجعل فكره فيه وصلة الى أن يصنع من الآجر وهو من الاحالة المفرطة »[٦٤] . وانتهى الى ان الالفاظ لاتسبق المعاني ، يقول : « هل كانت الالفاظ الا من أجل المعاني ؟ وهل هي الا خدم لها ومصرفة على حكمها ؟ أو ليست هي سمات لها وأوضاعا قد وضعت لتدل عليها ؟ فكيف يتصور أن تسبق المعاني وأن تتقدمها في تصور النفس ؟ ان جاز ذلك جاز أن تكون أسامي الاشياء قد وضعت قبل أن عرفت الاشياء وقبل أن كانت »[٦٥] . ويكرر أن مزية الكلام ليس باللفظ وأن فصاحة اللفظ بحسب موقع الكلمة[٦٦] ، وان معاني الالفاظ ليست في أنفسها ، يقول : « إن الالفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكن لان يضم بعضها الى بعض ، فيعرف فيما بينهما من فوائد ، وهذا علم شريف وأصل عظيم . والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الالفاظ التي هي أوضاع اللغة انما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها لأدى ذلك الى مالايشك عاقل في

---

٦٣ ــ دلائل ص٥٢ ــ ٥٣ . ٦٤ ــ دلائل ص٥١ .
٦٥ ــ دلائل ص٤١٧ . ٦٦ ــ ينظر دلائل ص٤٦٥ ، ٤٠١ ، ٥٣٩ .

استحالته ، وهو أن يكونوا قد وضعوا للاجناس الاسماء التي وضعوها لها لتعرفها بها حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا : « رجل » و « فرس » و « دار » لما كان يكون لنا علم بهذه الاجناس ، ولو لم يكونوا وضعوا أمثلة الافعال لما كان لنا علم بمعانيها ... والمواضعة لاتكون ولا تتصور إلاّ على معلوم فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم لان المواضعة كالاشارة ، فكما أنك اذا قلت : « خذ ذاك » لم تكن هذه الاشارة لتعرف السامع المشار اليه في نفسه ، ولكن ليعلم انه المقصود من بين سائر الاشياء التي تراها وتبصرها . كذلك حكم اللفظ مع ماوضع له[٦٧] » .

هذا موقفه من اللفظ ولكن أينكر مذاقة الحروف ؟ يقول : « واعلم أنا لانأبى مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة وأن تكون مما يؤكد أمر الاعجاز ، وانما الذي ننكره ونفيل رأي من يذهب اليه أن يجعله معجزا به وحده ، ويجعله الأصل والعمدة »[٦٨] . وانتهى الى أن الالفاظ لاتتمايز من حيث هي الفاظ مفردة ، وانما تكون لها المزية وخلافها حينما تنضم الى بعضها مكونة جملا وعبارات ، وان الفصاحة والبلاغة وسائر مايجري في طريقهما أوصاف راجعة الى المعاني والى مايدل عليه بالألفاظ دون أنفسها .

وهو لايريد في النص المعنى الاول الذي يفهم من اللفظ وانما المعنى الثاني او « معنى المعنى » إذ الكلام على ضربين : ضرب يوصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وضرب لايوصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن اللفظ يدل على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تكون لذلك المعنى دلالة ثانية توصل الى الغرض . ومدار هذا الامر على الكناية والاستعارة والتمثيل . يقول : « وإذ قد عرفت هذه الجملة ، فهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول « المعنى » و « معنى المعنى » تعني بالمعنى المفهوم من

٦٧ — دلائل ص٥٣٩ — ٥٤٠ .   ٦٨ — دلائل ص٥٢٢ .

ظاهر اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر[٦٩] » .

لقد عالج عبدالقاهر مسألة اللفظ والمعنى ، أو الشكل والمضمون[٧٠]، ويبدو للوهلة الاولى أنه متناقض فهو يذكر أحيانا أن المزية لمعنى اللفظ لا اللفظ نفسه ، ويذكر أحيانا أخرى أنه باللفظ والنظم لا بالمعنى ، يقول : « اعلم ان الداء الدوي والذي أعيى أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه ، وأقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى يقول : « ما في اللفظ لو لا المعنى ؟ وهل الكلام إلا بمعناه ؟ » . فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا،واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر ، فان مال الى اللفظ شيئا ورأى أن ينحله بعض الفضيلة لم يعرف غير الاستعارة ، ثم لا ينظر في حال تلك الاستعارة أحسنت بمجرد كونها استعارة أم من أجل فرق ووجه ؟ أم للامرين ؟ يحفل بهذا وشبهه ، قد قنع بظواهر الامور ، وبالجمل ، وبأن يكون كمن يجاب المتاع للبيع همه أن يروج عنه[٧١] ».

ويوضح هذه الفكرة كلامه على الابيات :

ولما قضينا من منى كل حاجة	ومسح بالاركان مَنْ هو ماسح
وشدت على دهم المهاري رحالنا	ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا باطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطي الأباطح

يقول : « راجع فكرتك ، واشحذ بصيرتك ، وأحسن التأمل ، ودع عنك التجوز في الرأي ، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا إلا الى استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها ، او حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمع واستقر في

٦٩ ــ دلائل ص٢٦٣ .

٧٠ ــ دلائل ص٢٤٩ وما بعدها .

٧١ ــ دلائل ص٢٥٢ .

الفهم مع قوة العبارة في الاذن ، والا الى سلامة الكلم من الحشو غير المفيد والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد ، وشيء داخل المعاني المقصودة مداخلة الطفيلي الذي يستثقل مكانه ، والأجنبي الذي يكره حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يفتقر معه السامع الى تطلب زيادة بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها واعتمد دليل حال غير مفصح أو نيابة مذكور ليس لتلك النيابة بمستصلح . وذلك ان أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر انه قال : « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنه أن يقصر معه اللفظ وهو طريقة العموم ، ثم نبه بقوله : « ومسح بالأركان من هو ماسح » على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر ، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر . ثم قال : « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » فوصل بذكر مسح الاركان ماوليه من زم الركاب وركوب الركبان ، ثم دل بلفظة « الاطراف » على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول ، وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتطوفين من الاشارة والتلويح والرمز والايماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط كما توجبه ألفة الاصحاب وأنسة الاحباب ، وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ، ورجا حسن الاياب ، وتنسم روائح الاحبة والاوطان ، واستماع التهاني والتحايا من الخلان والاخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيرا من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه ، فصرح أولا بما أومأ اليه في الأخذ بأطراف الاحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل وفي حال التوجه الى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووطاءة الظهر . إذجعل سلامة سيرهابهم كالماء تسيل به الأباطح . وكان في ذلك مايؤكد ماقبله ، لان الظهور اذا كانت وطيئة وكان سيرها السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا .

ثـم قال : « بأعناق المطيّ » ، لان السرعـة والبطء يظهران غالبـاً في أعناقها ، ويبين أمرهما من هواديهـا وصدورهـا ، وسائر أجزائها تستند اليها في الحركة ، وتتبعها في الثقل والخفة ، ويعبر عن المرح والنشاط اذا كانـا في أنفسها بأفاعيل لها خاصة في العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل مخصوصة في المقاديم . فقل الآن هل بقيت عليك حسنة تحيل فيها على لفظة من ألفاظها حتى أن فضل تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة ولو ذكرت على الانفـراد وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه »[٧٢] .

وتبدو في هذا التحليل نزعة عبد القاهر الادبية ، وردّ المزيـة الى مابين الالفاظ من اتفاق وارتباط ، وتتضح فكرته في المعنى الذي هو ليس محصولا فكرياً أو عقليا أو حكمة ومثلا وفكرة اخلاقيـة ، وانما هو ما تولد من ارتباط الكلام بعضـه ببعض وما تنتـج عنه من صور . وهـذا التحليـل يختلف كل الاختلاف عن تحليل ابن قتيبة (ــ ٢٧٦هـ) للابيات ، فقد قال انهـا « أحسن شيء مخارج ومطالع ، وان نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : « ولما قطعنا أيام منـى واستلمنا الاركان وعالينا ابلنا الانضـاء ، ومضـى الناس لاينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسار المطي في الابطح »[٧٣]. أين هذا من كلام عبد القاهر ؟ لقد نظر الى المعنى وحده فساب الابيات صياغتها وما فيها من معان جميلة واستعارات رشيقة حينما قال متحدثا عن أقسام الشعر : « وضرب منه حسن لفظة وحلا فاذا أنت فتشته لم تجـد هناك فائدة فـي المعنى » وكيف لاتكون فائدة في المعنى وأي فائدة وروعة اكثر مما أفصح عنه عبدالقاهـر في تحليله للابيات ؟ وأين كلام ابن جني من كلام عبدالقاهر ؟ لقد تعرض للأبيات وهو يتحدث عن تنميق الالفاظ فقال: «فقد ترى الى علو هذا اللفظ ومائه وصقاله

---

٧٢ ــ أسرار ص٢١ ــ ٢٤ وينظر دلائل ص٧٤ .

٧٣ ــ الشعر والشعراء ج١ ص٦٧ وينظر تعرض عبدالقاهر لابن قتيبة في تقسيم الشعر وان لم يذكر اسمه في دلائل الاعجاز ص٣٦٥ .

وتلامح أنحائه ، ومعناه مع هذا ما تحسه وتراه إنما هو : لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل »[٧٤] .

ان عبدالقاهر في كل ما عرض ليس من أنصار الالفاظ من حيث هي كلم مفردة ، وليس من أنصار المعاني بغض النظر عن تجانس الالفاظ وتلاحمها ، وانما هو من أنصار الصياغة من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة الادبية . يقول : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أوسوار ، فكما ان محالا اذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة ، كذلك محال اذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه وكما أنا لو فضلنا خاتما على خاتم بان تكون فضة هذا أجود أو فصّه أنفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه أن لايكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام »[٧٥] . وجره الحديث الى تميز التفاوت بين صورتين يظنهما الناس ممثاتين لمعنى واحد، وذكر أمثلة للصور المختلفة وللمعاني المتحدة ، ثم ختم كلامه بقوله : « واعلم ان قولنا « الصورة » انما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد الاجناس تكون من جهة الصورة فكان تبين انسان من انسان ، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لاتكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الامر في المصنوعات فكان تبين خاتم من خاتم ، وسوار من سوار بذلك ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الاخر بينونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بان قلنا : « المعنى في هذا صورة غير صورته في ذاك » . وليس العبارة عن ذلك

٧٤ ـ الخصائص ج١ ص٢١٨، وتنظر ص٢٨، ٢٢٠ ، والمثل السائر ج١ ص٣٥٣، اذ نقل ابن الاثير كلام ابن جني . ٧٥ ـ دلائل ص٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

بالصورة شيئا نحن ابتدأنـاه فينكره منكر بـل هو مستعمل مشهور في كلام العلمـاء ويكفيك قـول الجاحظ : « وإنمـا الشعـر صياغـة وضـرب من التصوير »[٧٦] . والتصوير يزيد في قيمـة الكلام ، وقـد تكون المعاني غفلا لكنها تكتسب الروعة والجدة بالصياغة يقول : « ان سبيل المعاني سبيل أشكال الحلي كالخاتم والشنف والسـوار ، فكما ان من شأن هذه الاشكال أن يكون الواحد منها غفلا ساذجا لم يعمل صانعه فيه شيئا اكثر من أن أتى بما يقع عليه اسم الخاتم إن كان خاتما ، والشنف إن كان شنفا، وأن يكـون مصنوعا بديعا قد أغرب صانعه فيه ، كذلك سبيـل المعاني أن ترى الواحد منهـا غفلا ساذجا عاميا موجودا في كلام الناس كلهم ثم تراه نفسه وقد عمد اليه البصـير بشأن البلاغة واحداث الصور في المعاني ، فصنع فيه ما يصنع الصنع الحـاذق حتى يغرب في الصنعة ، ويدق في العمل ، ويبدع في الصياغـة . وشواهـد ذلك حاضرة لك كيف شئت وأمثلته نصب عينيك من أين نظرت تنظر الى قول الناس « الطبع لايتغير » و « لست تستطيع أن تخرج الانسان عما جبل عليه » فترى معنى غفلا عاميا معروفا في كل جيل وأمة ، ثم تنظر اليه في قول المتنبي :

يُراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فتجده قد خرج في أحسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعـد أن كان خرزة ، وصار أعجب شيء بعد ان لم يكن شيئا »[٧٧].

وعناصر الصورة عنده هي التمثيل والاستعارة والكناية ، وهي لاتبرز الا من خلال النظم يقول : « لان هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنه يحدث وبـه يكون ، لانه لايتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها من أحكام النحو»[٧٨]. ومثل ذلك الوان البديع كالتجنيس ، والسجع ، والحشو ،

٧٦ ـ دلائل ص٥٠٨ .

٧٧ ـ دلائل ص٤٢٢ ـ ٤٢٣ . ٧٨ ـ دلائل ص٣٩٣ .

والتطبيق لايرجع جمالها وأثرها الى جرس حروفها ، وانما الى مافيها من معنى يقتضيه النظم ، ويتود اليه المعنى ، يقول : « وههنا أقسام قد يتوهم في بدء الفكرة وقبل اتمام العبرة أن الحسن والقبح فيها لايتعدى اللفظ والجرس الى مايناجي فيه العقل والنفس • ولها اذا حقق النظر مرجع الى ذلك ومنصرف فيما هنالك ، منها التجنيس والحشو • أما التجنيس فانك لاتستحسن تجانس اللفظتين الا اذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا »[٧٩].

فالالفاظ والمعاني والصور بالنظم ولذلك كان عبدالقاهر يستند في تحليل النصوص اليه ، ومن أمثلة ذلك تحليله لأبيات البحتري :

بلونا ضرائب من قد نرى ... فما إن رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثا ... ت عزما وشيكا ورأيا صليبا
تنقل في خُلقي سؤدد ... سماحا مرجّى وبأسا مهيبا
فكالسيف إن جئته صارخا ... وكالبحر إن جئته مستثيبا

يقول : « فاذا رأيتها قد راقتك ، وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازا في نفسك ، فعد فانظر الى السبب واستقص في النظر ، فانك تعلم ضرورة أن ليس الا أنه قدّم وأخّر ، وعرّف ونكّر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ، ثم لطف موضع صوابه وأتى مأتى يوجب الفضيلة • أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله : « هو المرء أبدت له الحادثات » ثم قوله : « تنقّل في خُلقي سؤدد » بتنكير « السؤدد » وإضافة « الخلقين » اليه ، ثم قوله « فكالسيف » وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ ، لان المعنى لامحالة « فهو كالسيف » ثم تكرير الكاف في قوله : « وكالبحر » ثم أن قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على

٧٩ ـ اسرار ص٥ وما بعدها ، وينظر دلائل ص٥٢٢ وما بعدها .

مثال ما أخرج وذلك قوله : « صارخا » هنـاك و « مستثيبا » ههنا ؟ لاتـرى حسناً تنسبه الى النظـم ليس سببه ما عـددت ، أو ماهو في حكـم ماعددت فاعرف ذلك »(٨٠) .

فهذا التحليل لغوي أظهر مزية الابيات وبين مافيها من نظم بديع واتساق عجيب ،ومثل ذلك يتضح في تحليله للبيت :.

سالت عليه شعاب الحي حين دعا　　　أنصاره بوجوه كالدنانير

يقول : « فانك تـرى هذه الاستعارة على لطفهـا وغرابتها ، انمـا تم لها الحسن ، وانتهى الى حيث انتهـى بما توخـي في وضع الكـلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قـد ملحت ولطفت بمعاونـة ذلك ومؤازرته لهـا . وإن شككت فأعمد الى الجاريـن والظرف فأزل كلا منها عن مكانـه الذي وضعه الشاعر فيه فتل : « سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » ثم انظر كيف يكـون الحال وكيف يذهب الحسـن والحـلاوة ؟ وكيف تعدم اريحيتك التي كانت ؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها »(٨١) .

الثانية : الذوق والاحساس الروحاني ، وقد أولى عبدالقاهر هذا الجانب عناية كبيرة وأكد انه لابد للناقد من ذوق رفيع يؤهله لفهم النص وادراك مافيه من معان وصور وجمال ، وليس كل من عرف شيئا في اللغة والنحـو والادب بقادر على تحليل النص وسبر أغواره ، وكم من عالم لايـدرك مافي الكلام من هزة ونشوة ، ولا ينفع معه التنبيه أن نبه ولا التفسير ان شرح النص وأشير الى محاسنه ، يقول : « فليس الداء فيه بالهين ولا هـو بحيث اذا رمت العلاج منه وجدت الامكان فيه مع كل أحد مسعفا والسعي منجحا ، لان المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها، وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعان روحانية أنت لاتستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علما بها حتى يكون مهيئا لادراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا بان من

٨٠ ــ دلائل ص٨٥ ــ ٨٦ .　　　٨١ ــ دلائل ص٩٦ .

شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة، ومن اذا تصفح الكلام وتدبر لشعر فَرَّق بين موقع شيء منها وشيء »[٨٢]. وهذا الاحساس قليل في الناس يقول : « فلست تملك من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع اذا قدحته ورى ، وقلب اذا أريته رأى ، فأما وصاحبك من لايرى ماتريه ولا يهتدي للذي تهديه ، فأنت رامٍ معه في غير مرمى »[٨٣]. ويؤكد أثر صفاء القريحة ، وصحة الذوق ، وتمام الالة . في تذوق النص ونقده ، يقول : « ان البلاء والداء العياء أن ليس علم الفصاحة وتمييز بعض الكلام من بعض بالذي تستطيع أن تفهمه من شئت ومتى شئت ، وأن لست تملك من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع اذا قدحته وري ، وقلب اذا أريته رأى ، فأما وصاحبك من لايرى ماتريه ولا يهتدي للذي تهديه فأنت معه كالنافخ في الفحم من غير نار ، وكالملتمس الشم من أخشم . وكما لاتقيم الشعر في نفس من لاذوق له كذلك لايفهم هذا الباب من لم يؤت الآلة التي بها يفهم »[٨٤] .

ويقول : « انه لايصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولايجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بان لما يؤمي اليه من الحسن واللطف أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا عجبته عجب ، واذا نبهته لموضع المزية انتبه . فأما من كان الحالان والوجهان عنده أبدا على سواء ، وكان لايتفقد من أمر النظم الا الصحة المطلقة ، والا اعرابا ظاهرا فما أقل ما يجدي الكلام معه . فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الاحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به ، والطبع الذي يميز صحيحة من مكسوره ومزاحفه من سالمه ، وماخرج من البحر مما لم يخرج منه ، في انك لاتتصدى له ولا تتكلف تعريفه لعلمك انه قد عدم الأداة التي معها يعرف

٨٢ ـ دلائل ص٥٤٧ . ٨٣ ـ دلائل ص٥٤٩ .
٨٤ ـ الرسالة الشافية ـ دلائل الاعجاز ص٦٢٦ ، وينظر : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص١٤٣

والحاسة التي بها يجد ، فليكن قدحك فـي زندوار ، والحك فـي عود أنت تطمع منه في نار[٨٥] » • ويقول : «وهذا موضع في غاية اللطف لا يبين الا اذا كان المتصفح للكلام حساسا يعرف وحي طبع الشعر وخفي حركته التي هي كالخلس وكمسرى النفس في النفس[٨٦] » •

وكان عبدالقاهر في تحليله للابيات الشعرية ينبـه المتلقي ليشاركه لذة النص ، وهو في هذا يضرب على أوتار النفس لتهتز عنـد تلقي الكلام يقول : « فاعمد الى ما تواصفوه بالحسن ، وتشاهدوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر أوغير الشعر مـن معنى لطيف ، أو حكمة ، أو أدب او استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لايدخل في النظم ، وتأمله فاذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت فانظر الى حركات الاريحية مما كانت وعند ماذا ظهـرت ؟ فانك ترى عيانـا أن الذي قلت لك كما قلت[٨٧] » •فالذوق عمدة النقد وزاد الناقد ، ولا يشترط أن يعالج الناقد ويحلل وانما قد يكتفي بالاشارة الى ما في النص من ملاحة وجمال ، يقـول : « انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ثم ترى لها فـي بعض ذلك ملاحة لا تجدها في الباقي • مثال انك تنظر الى لفظـة « الجسر » فـي قول أبي تمام :

لايطمح المرء أن يجتاب لجته بالقول مالم يكن جسرا له العمل

وقولـــه :

بصرت بالراحة العظمى فلم ترَها تُنال الاعلى جسر من التعب

فترى لها في الثاني حسنا لاتراه فـي الاول ، ثـم تنظر اليها فـي قول ربيعة الرقـــي :

قولي نعم ونعم إن قلت واجبة قالت : عسى وعسى جسر الى نعم

فترى لها لطفا وخلابة وحسنا ليس الفضل فيه بقليل[٨٨] » •

---

٨٥ ــ دلائل ص٢٩١ •
٨٦ ــ أسرار ص٢٨٣ •
٨٧ ــ دلائل ص٨٤ ــ ٨٥ •
٨٨ ــ دلائل ص٧٨ ــ ٧٩ •

وعبدالقاهر يرجع الى الذوق كثيرا وإن أشار الى علـة الجودة والحسن ، فهو في البيتين :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه　　وليس الى داعي الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه　　وليس لما في بيتـه بمضيـع

وغيرهما يقول : « فتأمل الان هذه الابيات كلها واستقرها واحدا واحدا، وانظر الى موقعها في نفسك والى ما تجده من اللطف والظرف اذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم فليت النفس عما تجد ، والطفت النظر فيما تحس به، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه الى لفظك وتوقعـه في سمعك ، فانك تعلم أنّ الذي قلت كما قلت وان ربّ حذف هـو قلادة الجيد وقاعدة التجويد[٨٩] » . فعبدالقاهر اتخذ من الذوق وسيلة للوقوف على روعـة النص وجودته ، وكان في تحليله ينبه على مواطن الجمال ، وهو فـي ذلك يولي التأثر النفسي عناية كبيرة ، ومما يوضح هذه المسألة موقفـه من التمثيل الذي أطال الكلام عليه ونبه على سر جماله وتأثيره ، ومواطن الجودة والروعة فيه ، يقول : « إنّ مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصي الافئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا »[٩٠] . ويضرب أمثلة كثيرة لتحقيق فكرته ، وتأكيد أهمية التمثيل ، يقول : « فتأمل بيت أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلـة　　طويت أتاح لهـا لسـان حسود

مقطوعا عن البيت الذي يليه والتمثيل الذي يؤديه ، واستقصَ في تعرف قيمته على وضوح معناه وحسن بزته ثم اتبعه اياه :

لولا اشتعال النار فيما جاورت　　ماكان يعرف طيب عرْف العود

٨٩ ــ دلائل ص١٥١ .　　٩٠ ــ اسرار ص١٠١ ــ ١٠٢ .

وانظر هل نشر المعنى تمام حلته ، وأظهر المكنون من حسنه وزينته وعطرك بعرف عوده ، وأراك النظرة في عوده ، وطلع عليك من مطالع سعوده ، واستكمل فضله في النفس ونبله ، واستحق التقديم كله الا بالبيت الاخير وما فيه من التمثيل والتصوير[91] » فعبدالقاهر اهتم بالذوق في ابراز أهمية التمثيل وقيمته الجمالية وفعل مثل ذلك في معظم النصوص ، وبذلك كان ناقدا يستند الى القاعدة حينما يحلل ويعلل ، والى الذوق حينما يدعو الى استبطان النص والتأثر به .

لقد انطلق في نقد النص من التحليل اللغوي المعتمد على نظرية النظم التي ربط بها الالفاظ والمعاني والصور ، ومن الذوق أو الاحساس الروحاني .

(٤)

واتخذ عدة وسائل في نقده منها :

١ ــ التعليل : وذلك أن النقد ليس استحسانا أو استهجانا فحسب ، وانما هو تحليل وتعليل ، ولا بد ان يذكر الناقد أسباب جودة النص وروعته أو رداءته وهبوطه . وقد أكد عبدالقاهر هذه المسألة كثيرا ، يقول لمن يظن أن النقد هو الاكتفاء بالاشارة الى النظم والترتيب والنسج : « بقي أن تعلموا مكان المزية في الكلام وتصفوها لنا وتذكروها ذكرا كما ينص الشيء ويعين ويكشف عن وجهه ويبين ولا يكفي أن تقولوا : « إنه خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض » حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها وتذكروا لها أمثلة وتقولوا : « مثل كيت وكيت » كما يذكر لك من تستوصفه عمل الديباج المنقش ماتعلم به وجه دقة الصنعة ، أو يعمله بين يديك حتى ترى عيانا كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء ؟ وماذا يذهب منها طولا وماذا يذهب منها عرضا ؟ وبم يبدأ وبم يثني وبم يثلث ؟ وتبصر من الحساب الدقيق ومن عجيب تصرف اليد ماتعلم معه مكان الحذق وموضع الاستاذية »[92] .

---

٩١ ــ أسرار ص١٠٥ .   ٩٢ ــ دلائل ص٣٥ ــ ٣٦ وتنظر ص٣٧

ويقول : « انه لابـد لكـل كلام تستحسنـه ولفظ تستجيده مـن أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلـة معقولة وأن يكون لنا الـى العبارة عن ذاك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل »[٩٣] . ويؤكد هذه المسألة في مواطن كثيرة ، ويدعو الى المعرفة وذكر الاسباب يقول : « انه ليس اذا لم تمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل وان تعرف العلة والسبب فيمـا يمكنك معرفة ذلك فيه وان قل فتجعله شاهدا فيما لم تعرف أحـرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك وتأخذها عن الفهم والتفهم وتعودها الكـل والهوينا»[٩٤]. هذا هو اساس ما يدعو اليه ولكنه لايلتزم به ففي كتابيه « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » كثير من الاستحسان او الاستهجان من غير تعليل .

٢ ــ التفسير : وقد يكتفي احيانـا بتفسير النص ليظهـر معناه ويعرضه واضحا جليا ، ومن ذلك تعليقه على الابيات : « ولما قضينا من معنى كل حاجة» فقد أوضح مافيها من معان و « استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها أوحسن ترتيب تكامل معـه البيـان حتى وصـل المعنى الى القلب مع وصـول اللفظ الى السمع »[٩٥] .

ومنه تفسيره للبيت :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا   أنصاره بوجـوه كالدنانـير

يقول : « أراد أنه مطاع في الحي ، وأنهـم يسرعون الى نصرتـه ، وأنه لا يدعوهم لحرب أو نازل خطب الا أتوه ، وكثروا عليـه ، وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا المسيـل وذلك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها »[٩٦] .

٩٣ ــ دلائل ص٤١ .   ٩٤ ــ دلائل ص٢٩٢ .

٩٥ ــ أسرار ص٢٢ ، وينظر دلائل ص٧٤ .

٩٦ ــ دلائل ص٧٥ ، وينظـر تفسـيره لبعض الابيات ص١٢٩ ، ١٥٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٦٨ .

وقد يفسر ويعلل ومن ذلك كلامـه على المجـاز الحكمي او العقلي في بيت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت　　فانمـا هي إقبـال وإدبـار

يقول : « وذاك أنها لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهمـا ، فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة ، وانما تجوزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبـل وتدبر ولغلبة ذاك عليها واتصاله منها وانه لم يكن لها حال غيرهمـا كأنها قد تجسمت من الاقبال والادبار • وانما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو انهـا كانت قد استعارت « الاقبال والادبار » لمعنى غير معناهما الذي وضعا له في اللغة • ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته في شيء»[٩٧] •

٣ ــ التفصيل : وهو سمة من سمات النص الجيد ، يقول : « ان معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل »[٩٨] • ويقول : « إن الجملة أبداً أسبق الى النفوس من التفصيل ، وانك تجد الروءية نفسها لاتصل بالبديهة الى التفصيل ولكنك ترى بالنظر الاول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند اعادة النظر ولذلك قالوا : « النظرة الاولـى حمقاء » وقـالوا :« لم ينعم النظر ولم يستقص لتأمل » وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس •• واذا كانت هذه العبرة ثابتة في المشاهدة وما يجري مجراهـا مما تناله الحاسة فالامر في القلب كذلك ، تجد الجمل أبدا هي التي تسبق الى الاوهام وتقع في الخاطر أولا وتجد التفاصيل مغمورة فيمـا بينها ، وتراهـا لاتحضر الا بعد إعمال للروية واستعانة بالتذكر »[٩٩] •فالنقد ليس نظرة عابرة أوكلاما مجملا، وانما هو إعمال الروية والفكر ، والتأمل في النص ، والوقوف على قيمته، يقول: « انك لاتشفي العلة ولا تنتهي الى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملا الى العلم به مفصلا ، وحتى لايقنعك الا النظر في زواياه والتغلغل في

٩٧ ــ دلائل ص٣٠٠ ــ ٣٠١ •　　٩٨ ــ اسرار ص١٤٣ •
٩٩ ــ اسرار ص١٤٧ •

مكامنه ، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه ، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه الى أن يعرف منبته ، ومجرى عروق الشجر الذي هو منه »[١٠٠] . ولكن عبدالقاهر لايميل الى الافـراط في التمحل والتأويل وتحميل النص اكثر مما يحتمل ، يقول : « فاما الافراط فما يتعاطاه قوم يحبون الاغراب في التأويل ، ويحرصون على تكثير الوجـوه ، وينسون أن احتمال اللفظ شرط في كل ما يعدل به عن الظاهـر . فهم يستكرهـون الالفاظ على مالا تقله من المعاني ، يدعون السليم من المعنى الى السقيم ، ويـرون الفائدة حاضرة قد أبدت صفحتها ، وكشفت قناعها ، فيعرضون عنها حبـا للتشوف ، أو قصدا الى التمويه ، وذهابا في الضلالة »[١٠١]. ويقول : « وليس التعسف الذي يرتكبه بعض من يجهل التأويل من جنس ما يقصده أو لو الألغاز وأصحاب الاحاجي ، بل هو شيء يخرج عن كل طريق ويباين كل مذهب ، وانما هو سوء نظر منهم ووضع الشيء في غير موضعـه ، واخـلال بالشريطة ، وخروج عن القانون ، وتوهـم أن المعنى اذا دار في نفوسهم ، وعقل من تفسيرهم فقد فهم مـن لفظ المفسـر ، وحتى كـأن الالفاظ تنقلب عن سجيتهـا ، وتـزول عن موضوعها ، فتحمل ماليس من شأنها ان تحتمله ، وتؤدي مـالا يوجب حكمها أن تؤديه »[١٠٢].

٤ ــ الموازنة : وهي وسيلة من وسائل نقد عبدالقاهر اذ بها تتضح قيمة النص ، ومن ذلك موازنته بين قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافَنا ليـل تهاوى كواكبه

وقـول المتنبي :

يزور الاعادي في سماء عجاجة ... أسنته في جانبيهـا الكواكب

أوقول كلثوم بن عمرو :

تبني سنابكها من فوق أرؤسهم ... سقفا كواكبـه البيض المباتير

١٠٠ ــ دلائل ص٢٦٠ . ١٠١ ــ اسرار ص٣٦٣ . ١٠٢ ــ اسرار ص٣٦٤ .

يقول : « التفصيل في الابيات الثلاثة كأنه شيء واحـد ؛ لان كل واحد منهم يشبه لمعان السيوف في الغبار بالكواكب في الليل ، إلاّ أنك تجد لبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقـع ولطف التأثـير في النفس مالا يقل مقداره ولا يمكن انكاره ، وذلك لانه راعى مالم يراعه غيره وهـو أن جعل الكواكب تهاوى ، فأتمّ الشبه ، وعبر عن هيئة السيوف وقد سلت من الاغماد وهي تعلو وترسب ، وتجيء وتذهب ، ولم يقتصر على أن يريك لمعانها في أثنـاء العجاجة كما فعل الآخران ، وكان لهذه الزيادة التي زادها حظ من الدقة تجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل ، وذلك انا وإن قلنا ان هـذه الزيادة ــ وهـي افادة هيئة السيوف في حركاتها ــ انما أتت في جملة لاتفصيل فيها فان حقيقة تلك الهيئة لاتقوم في النفس الا بالنظر الى اكثر من جهة واحـدة ، وذلك ان تعلم ان لها في حال احتدام الحـرب واختـلاف الأيدي بها في الضـرب اضطرابا شديدا وحركات بسرعة ، ثم ان لتلك الحركـات جهات مختلفـة وأحوالا تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، وان السيوف باختـلاف هذه الامور تتلاقى وتتداخل ، ويقع بعضها في بعض ، ويصدم بعضها بعضا ، ثم ان أشكال السيوف مستطيلة ، فقد نظم هذه الدقائق كلها في نفسـه ثم أحضرك صورها بلفظة واحدة ، ونبه عليها بأحسن التنبيه واكملـه بكلمة وهي قوله : « تهاوى » لان الكواكب اذا تهـاوت اختلفت جهـات حركاتها وكـان لها في تهاويها تواقع وتداخل ثم انها بالتهاوي تستطيل أشكالها فاذا لم تزل عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة »(١٠٣) .

ووظف الموازنة في دراسة السرقات الشعريـة ، وذكر أمثلة كثيرة تقوم على الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد ، أي الذي يكون المعنى في احد البيتين غفلا وفي الآخر مصورا مصنوعا ، مثال ذلك قول المتنبي :

بئس الليالي سهرت مـن طربي   شوقا الـى من يبيت يرقدها

١٠٣ ــ اسرار ص١٦٠ وتنظر ص٢٩٢ .

مع بيت البحتري :

ليـل يصادفني ومرهفة الحشا ضديـن أسهره لهـا وتنامـه

والموازنة بين الشعرين والاجادة فيهما من الجانبين ، أي : أن في كل واحد من البيتين صنعة وتصويرا ومن ذلك قول لبيد :

واكذب النفس اذا حدثتهـا إن صدق النفس يـزري بالامل

مع قول نافع بن لقيط :

واذا صدقت النفس لم تترك لها أملا ويأمل ما اشتهى المكذوب

ولم يوضح الاختلاف بين النصوص وانما اكتفى بقوله : « وقد أردت أن اكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنـى واحد ، وهو ينقسم قسمين : قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه أتى بالمعنـى غفلا ساذجا ، وترى الآخر قد أخرجه فـي صورة تروق وتعجب . وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع المعنى وصور »[١٠٤] .

وهذا الموقف انكار للسرقة اذا لم تكن نسخـا أو مسخا ،لان عبدالقاهر يؤمن بان لاسبيل الى اداء المعنى نفسه في عبارتين[١٠٥] ، و « لا سبيل الى أن تجيء الى معنى بيت منالشعر أو فصل من النثر فتؤديـه بعينه وعلى خاصيته وصفته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم مـن تلك »[١٠٦] وذلك لتغير النظم يقول : « اذا تغير النظم فلابـد من أن يتغير المعنى »[١٠٧] . أي « أن المعنى ينقل من صـورة الى صورة »[١٠٨] كما نقل ابـو نواس معنى بيت النابغة :

اذا ماغزا بالجيش حلّق فوقه عصائب طير تهتـدي بعصائب

---

١٠٤ ـ دلائل ص٤٨٩ .

١٠٥ ـ دلائل ص٢٥٨ .

١٠٦ ـ دلائل ص٢٦١ .

١٠٧ ـ دلائل ص٢٦٥ .

١٠٨ ـ دلائل ص٥٠٢ .

من صورته هذه الى صورة أخرى هي :

تتأبّى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

وقد صدر عبدالقاهر في هذه الموازنة عن نظرية النظم التي اتخذها مقياسا للنصوص ، ولذلك لم يحكم على السرقة بالمعاني العامة او بالالفاظ ، وانما بترتيب الكلام واخراجه في صورة جديدة ، وان بيت الشعر لو غيرت كلماته ووضعت وضعا آخر لسقطت نسبته الى الشاعر ، وبهذا الرأي حل مشكلة السرقات التي اهتم بها النقاد والبلاغيون .

(٥)

ومن مقاييس عبدالقاهر في نقد النص :

١ ـ أن يكون النص حسن السبك قد توخّى صاحبه فيه معاني النحو واتحدت اجزاؤه حتى وضع وضعا واحداً ، « وهذا هو النمط العالي والباب الاعظم الذي لاترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه »[١٠٩] وأمثلته كثيرة ومن ذلك قول الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

وبخلاف هذا فهو مما يوصف بفساد النظم ، كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلاّ مملكا أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

وقد عيب هذا البيت من جهة سوء التأليف ، والفساد والخلل فيه كانا « من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب وصنع في تقديم أو تأخير ، أو حذف واضمار ، أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه ، وما لايسوغ ، ولايصح على أصول هذا العلم »[١١٠].

١٠٩ ـ دلائل ص٩٥ . ١١٠ ـ دلائل ص٨٤ .

وموضوعات علم المعانـي التي بحثها عبدالقاهر في « دلائـل الاعجاز ». تدخل في النظم لانها توخي معاني النحو كالتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، والفصل والوصل . وهذه الاساليب من أسباب الشعرية أو النص الرائع اذا حصل فيها انزيـاح وتكشف ماوراءها من معـان جديدة وصور بديعة .

٢ ـ أن يثير النص المتلقي ويبعث في نفسه لذة تجعله يهتزّ طربا ، ويضع تأثير النص قبل تحليله ومعرفة مافيه من اسباب جعلت المتلقي يهتز ويجـد فيه نشوة ومتعة كبيرتين . يقول « واذ قـد عرفت ذلك فاعمـد الى ماتواصفوه بالحسن ، وتشاهدوا له بالفضل ، ثم جعلوه كذلك من اجل النظـم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر او غـير الشعر من معنى لطيف ، أو حكمة ، أو أدب ، او استعارة ، أو تجنيس ، أو غـير ذلك ممـا لايدخـل في النظم ، وتأمله فاذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت فانظر الى حركات الاريحية مم كانت ؟ وعندما ذا ظهـرت »[111] . والصياغـة الرفيعة والصـور الجميلة والمعاني اللطيفة هي التي تجعل المتلقي يهتز طربا قبل ان يعـرف أسباب الطرب ودوافع الهزة التي تعتريه إن كان ممـن لهم ذوق رفيـع واحساس روحاني . ويشير عبدالقاهر الى مايعتري المتلقي وهو يسمع نصا أو يقرؤه من وَهْم أو تخيل مرده الصدمة الاولى التي تستفز وتثـير . يقول : « أتـراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذَهَبَتْ بمذهبه السماحةُ فالتوَتْ فيه الظنونُ أَمَذْهَبٌ أم مُذْهَبُ ؟

واستحسنت تجنيس القائل :

حتى نجـا من خوفـه ومانجـا

وقول المحدث :

ناظراه فيما جنى ناظراه أَوْدعاني أمت بما أَوْدعاني

١١١ ـ دلائل ص٨٤ ـ ٨٥ .

لأمر يرجع الى اللفظ أم لانك رأيت الفائـدة ضعفت عن الاول وقويت في الثاني ؟ ورأيتك لـم يـزدك بمَذْهَبَ ومُذْهَب على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخـر قد أعاد عليك اللفظة كأنـه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاهـا ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها . فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع »[١١٢] .

٣ ــ أن يكـون النص مغلقا لايعطي قياده بسهولة ويسـر ، وقد كان عبدالقاهر يرى أن التباعـد في الربط بـين الشيئين يكـون أحسن وأعجب ؛ يقول : « إن لتصوير الشبه من الشيء في غير جنســه وشكله والتقاط ذلك له من غير محلته واجتلابه اليه من النيق البعيد بابا آخر في الظرف واللطف ومذهبا من مذاهب الاحسان ... وهكذا اذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت الـى النفوس أعجب وكانت النفوس لهـا أطرب وكان مكانها الى أن تحدث الاريحية أقـرب ، وذلك ان موضـع الاستحسان ومكان الاستظراف والمثير للدفـين من الارتياح والمتألف للنافـر من المسرة والمؤلف لاطـراف البهجـة انك ترى بها الشيئـين مثلين متبايـنين ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصـورة الواحدة في السـماء والارض وفي خلقة الانسان وخلال الروض ، وهكذا طرائف تنثال عليك اذا فصّلْت هذه الجملة وتتبعت هذه اللمحة ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله :

كأنها فوق قامات ضعفن بها　　أوائل النار في أطـراف كبريت

ولازوردية تزهو بزرقتهـا　　بين الرياض على حُمْر اليواقيت

أغرب وأعجب ، وأحق بالولوع وأجـدر من تشبيه النرجس « بمداهن درحَشْوهُنّ عقيق» لانه اراك شبها لنبات غض يرف ، وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف من لهب نار في جسم مستول عليه اليبس ، وباد فيه الكلف . ومبنى

١١٢ ــ اسرار ص٦ ــ ٨ ، وينظر دلائل ص٥٢٣ ــ ٥٢٤ .

الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به اكثر وكان بالشغف منها أجدر »[113] فالغموض من موجبات التفضيل ، والغرابة من أسباب الشعرية ، والنص الجيد هو الذي « يحوجك الى طلبه بالفكرة ،وتحريك الخاطر له ، والهمة في طلبه ، وماكان منه ألطف كان امتناعه عليك اكثر ، وإباؤه أظهر ، واحتجابه أشد . ومن المركوز في الطباع أن الشيء اذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق اليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى فكان موقعه من النفس أجل وألطف وكانت به أضن وأشغف» [114] .

والغموض ليس التعقيد ، وقد أحسَّ عبدالقاهر بما يعترض به عليه فقال : « فان قلت : فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية مايكسب المعنى غموضا مشرفا له وزائدا في فضله ... فالجواب اني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب وانما اردت القدر الذي يحتاج اليه »[115] وهذا بخلاف التعقيد الذي « كان مذموما لاجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع الى أن يطلب المعنى بالحيلة ويسعى اليه من غير الطريق »[116] . ويفيض في ايضاح رأيه فيقول « المعقد من الشعر والكلام لم يذم لانه تقع حاجة فيه الى الفكر على الجملة ، بل لان صاحبه يعثر فكرك في متصرفه ، ويشيك طريقك الى المعنى ، ويوعر مذهبك نحوه ، بل ربما قسم فكرك ، وشعب ظنك حتى لاتدري من أين تتوصل وكيف تطلب »[117] . فالغموض ليس التعقيد الذي « يستهلك المعنى »[118] . وانما هو ماكان دون ذلك ، أي أن النص لايعرض سافرا وانما يحتاج الى الغوص في ادراك معناه والوقوف على سره ، وهو الغموض الشفاف الذي لايأتي من غرابة الالفاظ وفساد النظم ، وانما من الغوص على المعاني ، واعطاء العبارة

---

١١٣ ـ اسرار ١١٥ ـ ١١٧ .
١١٤ ـ اسرار ص١٢٦ .
١١٥ ـ أسرار ص١٢٧ .
١١٦ ـ أسرار ١٢٩ .
١١٧ ـ أسرار ص١٣٥ .
١١٨ ـ دلائل ص٢٧١ .

ظلالا توحي بأكثر من معنى بحيث تذهب النفس كل مذهب في استخلاصها ، وهو من ملامح الشعر الرائع البديع .

٤ ـ أن تأتلف المتنافرات والمتباينات وهو التضاد الذي يجسد النجوة في الشعر ويولد من النقيض صورا بديعة . يقول عبدالقاهر : « وانما الصنعة والحذق والنظر الذي يلطف ويدق في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ربقة ، وتعقد بين الاجنبيات معاقد نسب وشبكة ، وما شرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل إلا لانهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر الى ما لايحتاج اليه غيرهما ، ويحتكمان على من زاولهما والطالب لهما من هذا المعنى ما لا يحتكم ما عداهما ، ولا يقتضيان ذلك إلا من جهة ايجاد الائتلاف في المختلفات وذلك بين لك فيما تراه من الصناعات وسائر الاعمال التي تنسب الى الدقة ، فانك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشد اختلافا في الشكل والهيئة كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم ، والائتلاف أبين كان شأنها أعجب والحذق لمصورها أوجب »[١١٩] .

٥ ـ ان تكون صور النص بارعة ، والمجاز هو الذي يصنع الصور ويجلوها لانه يقوم على التخييل [١٢٠] ، ويتمثل المجاز في التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية . واللغة المجازية تبرز الكلام « أبداً في صورة مستجدة » و « تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر » وبها « ترى الجماد حيا ناطقا ، والأعجم فصيحا ، والاجسام الخرس مبينة » وهي « تريك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون » وتلطف « الاوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتنالها الا الظنون »[١٢١] .

---

١١٩ ـ اسرار ص١٣٦ ، وتنظر ص١٣٨ ومابعدها .
١٢٠ ـ ينظر كلام عبد القاهر على التخييل في اسرار البلاغة ص٢٤٩ ومابعدها وص٣١٦ .
١٢١ ـ اسرار ص٤١ .

ويكون التشبيه من أسباب الشعرية اذا حدث فيه تفاوت بين المشبه والمشبه به وحصل اختلاف[١٢٢] كبير . والتمثيل « يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد مابين المشرق والمغرب ، ويجمع مابين المشئم والمعرق ، وهو يريك للمعاني الممثلة بالاوهام شبها في الاشخاص الماثلة والاشباح القائمة ، وينطق لك الاخرس ويعطيك البيان من الاعجم ويريك الحياة في الجماد ويريك التئام عين الاضداد فيأتيك بالحياة والموت مجتمعين »[١٢٣] .

والاستعارة « أمد ميدانا ، وأشد افتنانا ، واكثر جريانا ، واعجب حسنا واحسانا ، وأوسع سعة ، وأبعد غورا ، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا من ان تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها . نعم وأسحر سحرا ، وأملأ بكل مايملأ صدرا ، ويمتع عقلا ، ويؤنس نفسا ، ويوفر أنسا ، وأهدى الى ان تهدي اليك أبدا عذارى قد تخير لها الجمال وعني بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعا لايقصر ، وأبدت من الاوصاف الجليلة محاسن لاتنكر ، وردت تلك بصفرة الخجل ، ووكلتها الى نسبتها من الحجر ، وأن تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي ، وتريك الحلي الحقيقي»[١٣٤] .

والكناية والتعريض والرمز والتلويح تحرف الكلام عن طبيعته وتخلق صورة جديدة وتكسبه رونقا[١٢٥] . وليست المزية لهذه الالوان « على الكلام المتروك على ظاهره ، والمبالغة التي تدعى لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم اليها بخبره ، ولكنها في طريق إثباته لها وتقريره إياها »[١٢٦] ، وبذلك تكون قادرة على الابداع والابتكار ، شأنها في ذلك شأن ألوان التصوير التي تزيد في قيمة النص وترفع من قدره[١٢٧] .

---

١٢٢ ـ ينظر اسرار ص١١٦ .
١٢٣ ـ اسرار ص١١٨ .
١٢٤ ـ اسرار ص٤٠ .
١٢٥ ـ ينظر اسرار ص٣١٠ .
١٢٦ ـ دلائل ص٧١ .
١٢٧ ـ ينظر اسرار ص٢٥ .

(٦)

لقد انطلق عبدالقاهر في نقد النص من نظرية النظم ، والذوق والاحساس الروحاني ، وكان منهجه منهجا لغويا تحليليا ينبع من داخل النص لامن خارجه ، وهذه سمة النقد العربي القديم اذ لم يعرف الناقد ماعُرف بما حــول النص • ولم يكن نقده جزئيا فحسب وانما كان يعمد الى القطعــة فيحللها ، ويربط بين أجزائها متخذا من التحليل اللغوي سبيلا ، لانــه كان مؤمنا بــان البيت ربما لايكون دالا على المعنى والغرض ، وقد يؤدي اقتطــاع البيت من القصيدة الى الاغتراب • وكان يؤمن بالقراءات المتعددة للنص الواحــد ، فربما انفتح النص المغلق في القراءة الثانية او الثالثة ، ولابد من بذل الجهد في نقــد النص وفك مغاليقه • وهو قبل أن يدخل في مسارب النقد دافع عن البيان والنحو والشعر ودفع شبهة الزاهدين فيها ، ثم أرسى نظرية النظم وأكد أهمية الــذوق ، واتخذ وسائل في نقد النص الى جانب التحليــل اللغــوي والتذوق منهــا : التعليل والتفسير والتفصيل والموازنــة ، وأرسى بعض المقاييس التي تتجلى في جودة سبــك النص ، وتأثــيره في المتلقــي ، وغموضــه ، وجمعــه بين المتنافرات والمتباينات ، وحسن تصويره وبديع انزياحه •

ولا تبعد كتب النقد الحديثة عما أرساه عبدالقاهر وإن اختلفت التسميات وأساليب العرض والتحليل ، وبذلك تبقى قيمة كبيرة لهذا الناقد الذي يعد من مفاخر العرب والمسلمين ، ويبقى كتاباه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » من معالم النقد الأصيل •

⁂ ⁂ ⁂

المصادر : ـ

١ ـ اسرار البلاغة ـ عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق هـ . ريتر . استانبول ١٩٥٤م .
٢ ـ اعجاز القرآن ـ ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني . تحقيق احمد صقر . القاهرة ـ دار المعارف .
٣ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الزبيدي .
٤ ـ التعريفات ـ علي بن محمد الشريف الجرجاني ـ بيروت ١٩٨٥م .
٥ ـ الخصائص ـ ابو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .
٦ ـ دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمود شاكر . القاهرة ١٩٨٤م .
٧ ـ الرسالة الشافية ـ عبدالقاهر الجرجاني . ضمن دلائل الاعجاز طبعة محمود محمد شاكر ، وثلاث رسائل في اعجاز القرآن بتحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام .
٨ ـ الشعر والشعراء ـ عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري . تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .
٩ ـ العين ـ الخليل بن احمد الفراهيدي (ج٧) . تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ـ بغداد ١٩٨٤م .
١٠ ـ القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروزآبادي .
١١ ـ الكليات ـ ابو البقاء الكفوي . تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري . الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٨١ م .
١٢ ـ لسان العرب ـ ابن منظور .
١٣ ـ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ـ ضياء الدين بن الاثير . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م .
١٤ ـ المعجم الادبي ـ جبور عبدالنور . بيروت ١٩٧٩م .
١٥ ـ المعجم العربي الاساسي (لاروس) ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
١٦ ـ معجم مصطلحات الادب ـ مجدي وهبة بيروت ١٩٧٤م .
١٧ ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ـ مجدي وهبة وكامل المهندس، بيروت ١٩٧٩م .
١٨ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية في القاهرة .
١٩ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ علي بن عبدالعزيز الجرجاني . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . ط٣ ـ القاهرة .

*

الأشهر الأفصح (يأنس به قلبي) لا (يأنس اليه قلبي)

د . جميل الملائكة
(عضو المجمع العلمي)

يكاد يقتصر الكتّاب والمتحدّثون في هذه الأيام على تعدية الفعل (أَنس يأنس) بحرف الجرّ (إلى) في مثل قولهم (فلان لا يأنس إليه قلبي)، يريدون بذلك (تنفر منه نفسي ولا تألفه ولا يسكن قلبي اليه) ، مع ان الأشهر الأفصح تعديةُ هذا الفعل بالباء ، أي أن يقال : (فلان لا يأنس به قلبي) . وهذا ماتكاد تُجمع عليه أمّهات المعجمات وكتب اللغة :

يقول ابو عثمان سعيد بن محمد المَعَافِري السَّرَقُسطي (المتوفى سنة ٤٠٠هـ) في كتاب الأفعال (تحقيق د . حسين محمد شرف ، و د . محمد مهدي علام ، ص٧٥ ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٥) في مادة (فعِل) بكسر العين من فصل (فَعَل وأفعَلَ بمعنىً) من (باب ما أوّله همزة : « ... وأنِستُ بالشيّ ... ضدّ توحّشتُ ، وآنَستُ به لغة ... » أهـ . ولم يورد السرقسطيّ شيئاً من تعدية هذا الفعل بالحرف (إلى) .

ويقتصر أيضاً الصّغاني (ت ٦٥٠هـ) في العباب على تعدية هذا الفعل بالباء ، إذ يقول مانصّه : « .. ابن الأعرابي : الأنيسة والمأنوسة : النار ... لأن الإنسان إذا آنسها ليلاً أَنِسَ بها وسكن اليها وزال عنه توحّشه وإن كان بالأرض القفر » أهـ .

ويقول أيضا : « .. والأَنَسُ ــ بالتحريك ــ .. والأُنْس ، خلاف الوحشة ، وهو مصدر قولك : أَنَسْتُ به ، وأَنِستُ به ، وأَنُستَ به .. بالحركات الثلاث .. وقال أبو زيد : أَنِستُ به إنساً ــ بالكسر ــ لاغير» أهـ .

(*) ناقشته واقرته لجنة الأصول بجلستيها في ١١/٨ و ١٩٩٤/١١/١٥ .

ويقول أيضا : « .. فأمّا المستأنس ، فهو الذي ذهب توحّشُه وفزَعُه وأنِس بلقاء الرجال ومعاناة الأبطال .. » اهـ .

وفي كلام ابن منظور (ت ٧١١هـ) في اللسان على الأُنس بالضم، وهو ضدّ الوحشة ، يذكر أنّ ابن الأثير (ت ٦٣٧) يشير الى صحة وروده أيضاً بفتح الهمزة والنون ، إذ يقول : « .. قال ابن الأثير : ... فانه مصدر أنِسْتُ به آنَسُ أنَساً .. » اهـ .

وفي اللسان أيضا : « ... أبو حاتم (ت ٢٤٨هـ) : أَنِستُ به إِنْساً بكسر الألف ... رواه أبو حاتم عن أبي زيد ، وأنَسْتُ به آنَسُ أيضا بمعنىً واحد ... » اهـ .

وفيه أيضاً : « ... وقد أنِس به وأَنَس يأنَس ويأنِس وأَنُس أُنساً وأَنَسةً ... » اهـ .

وفيه أيضا : « ... والعرب تقول : آنَسُ من حُمّى ، يريدون أنها لاتكاد تفارق العليل فكأنها آنسة به .. » اهـ .

وفيه : « ... ابن الأعرابيّ : أنِستُ بفلانٍ أي فرحت به .. » اهـ .

وفيه : « ابن الأعرابي : الأنيسة والمأنوسة : النار .. لأنّ الإنسان إذا آنسها ليلاً أنِسَ بها وسكن اليها وزالت عنه الوحشة ... » اهـ .

وفيه أيضا : « أبو عَمْرو : ويقال للديك .. الأنيس .. والأنيس المؤانس وكلّ ما يؤنَس به .. » اهـ .

فهؤلاءِ كلّهم يقتصر على تعدية الفعل (أنس) بالباء ، ولا يعدّيه أيّ منهم بغيرها .

ويقول الفيومي (ت ٧٧٠هـ) في المصباح : « .. أَنِستُ به إنساً من باب عَلِمَ ، وفي لغة من باب ضرب ... واستأنستُ به وتأنّستُ اذا سكن إليه القلب ولم ينفر .. » أهـ . وليس في أقواله ما يشير الى تعدّي هذا الفعل بحرف الجرّ (إلى) .

وجاء في القاموس للفيروزبادي (ت : ٨١٧هـ) مانصّه : « .. والأَنيس الديك والمؤانس وكلّ مأنوسٍ به ... » أهـ .

وفيه أيضا : « .. والأُنس بالضمّ ، وبالتحريك ، والأَنَسة محرّكةً ، ضدّ الوحشة ، وقد أنِس به مثلثةَ النون.. »أهـ . وهكذا لايورد الفيروزبادي تعدية هذا الفعل بغير الباء .

ويقول الزبيديّ (ت ١٢٠٥) في التاج : « .. قال أبو عَمْرو : الأنيس كأمير الديك .. والأنيس المؤانس والأنيس كلّ مأنوس به وفي بعض الأصول كلّ مايؤنَس به ... » أهـ .

وفيه أيضاً « ... وقد أنس به مثلثةَ النون ، الضمّ نقله الصاغاني .. » أهـ .

وفيه أيضا : « .. وقد روى أبو حاتِم عن أبي زيد أنِستُ به إنساً بكسر الألف ولا يقال أُنساً بالضمّ إنّما الأُنس حديث النساء ومؤانستهنّ..الخ»أهـ

وفيه أيضا : « .. ما بالدار أنيس أي أحد ، وفي الأساس من يؤنَس به ... » أهـ .)

وفي مستدركه : « ... وقد أَنِس به واستأنس وتأنّس بمعنىً.. »أهـ .

وفيه ايضا ذِكرٌ لما أورده ابن الأثير من صحة الأَنَس بالتحريك اذ يقول « ... انه مصدر أنِست به آنَس أَنَساً ... » أهـ .

وفيه : « .. ومن أمثالهم : آنَسُ من حُمَّى ؛ يريدون أنها لاتكاد تفارق العليل كأنها آنسة به ... » .

وفيه أيضاً : « ... قال ابن الأعرابيّ : أنِستُ بفلان فرحت به..» أهـ .

ولا يورد الزبيديّ أي إشارة الى تعدّي هذا الفعل بإلى .

فهذه سبع وعشرون مرّةً يرد فيها تعدّي الفعل (أنس) ، أو اسم فاعله ، او اسم مفعوله ، بالباء ، في أقوالٍ واستعمالاتٍ لأحدَ عشرَ من أوائل صانعي المعجمات وعلماء اللغة والمعنيين بفصاحتها ، وهم أبو عمرو الشيباني (ت٢٠٦هـ.)، وأبو زيد الأنصاريّ (ت ٢١٥ هـ) ، وابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) ، وابو حاتم السّجستاني (ت ٢٤٨هـ) ، والسَّرَقسطي ، ومجد الدين بن الأثير (ت٦٠٦هـ) ، والصّغانيّ ، وابن منظور ، والفيوميّ ، والفيروزباديّ ، والزبيديّ .

ولكنّ الزمخشريّ (المتوفى سنة ٥٣٨هـ) ينفرد بإيراده تعديَ الفعل (أنس) بالباء و بـ (إلى) كليهما . يقول في الأساس : « .. وأنِستُ به واستأنستُ به وأنِستُ إليه واستأنست إليه .. » أهـ .

ومما تجدر ملاحظته أنّ الصّغانيّ ، وابن منظور ، والفيّوميّ ، والفيروزباديّ ، والزبيديّ ، كلّهم جاء بعد الزمخشريّ .ولكنّ أحداً منهم لم يأخذ بما قاله الزمخشريّ من تعدّي (أنِس) بـ (إلى) ، ولم يورده في معجماتهم .

وتجدر الإشارة الى أنّ الزمخشريّ يعدّيه بالباء في شرحه لمعنى الأنيس. يقول في الأساس : « ... وما بالدار أنيس وهو ما يؤنَس به ... » .

وكذلك يعدّي الزمخشري هذا الفعلَ بالباء ، جرياً على السَّنَن المشهور ، عندما يشرح في الكشاف عن حقائق التنزيل معنى (الإيناس) في

قوله تعالى « ... إنّي آنستُ ناراً لعلّي آتيكم منها بقَبَس .. » (الآية ٢٠ من سورة طه) ، فيقول : « .. الإيناس الإبصار البيِّن .. وقيل هو إبصار ما يؤنَس به .. » أهـ .

وغير مستبعَدٍ أن يكون بعضُ النُّسّاخ أضاف الى نصّ الأساس ، ساهياً أو عامداً ، عبارةَ (وأنِست اليه) .

أو قد يكون الزمخشريّ اورد (أنِس اليه) بإرادة تضمينه معنى (سكن إليه) ، نتكون إجازته من عنده .

وقد استند بعض المعجميين المعاصرين ، وأهلِ التصحيح اللغويّ ، الى ما انفرد به صاحب الأساس ، فأجازوا (أنِس إليه) . وعلى هذا أورده اصحاب المنجد ، وأقرب الموارد ، والوسيط ، وغيرها .

ومن المعاصرين الذين كتبوا في التصحيح اللغويّ يقول محمد العدناني في كتابه معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة (مكتبة لبنان ، ١٩٨٤) : «..ويخطّئون من يقول: أنِس الى الشّيء ويقولون إنّ الصواب هو: أنس به، والحقيقة هي أنّ أنِس به ، وأنِس اليه ، واستأنس به ، واستأنس إليه ، جميعها صحيحة ... » أهـ .

ويستشهد العدناني لـ (أنِس اليه) ببيت لشاعر مغمور اسمه بشّار بن بشر المجاشعيّ ، وهو :

إذا غاب عنها بعلُها لم أكن لها زَوُوراً ولم تأنس إليّ كِلابُها

وقد يكون هذا ما استند اليه الزمخشريّ ايضا في تعدية (أنس) بـ (إلى). ولكنّ العدنانيّ يعدّد آخرين من الأوائل الذين اقتصروا على تعدية (أنِس) بالباء ، إضافةً الى الذين ذكرناهم . وهؤلاء هم الأزهري (ت ٣٧٠هـ)

في تهذيب اللغة ، والجوهري (ت ٣٩٣هـ) في الصحّاح ، وابن فارس (ت ٣٩٥) في معجم مقاييس اللغة ، وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في المحكم والمحيط الأعظم ، والراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في المفردات في غريب القرآن •

نخلص من كل هذا الى أن الأشهر ، والأفصح ، والذي عليه جمهور الأوائل من المعنيين بالعربية وفصاحتها هو تعدية الفعل (أنِس) بالباء • فيقال (يأنس به قلبي) لا (يأنس اليه قلبي) ، والله أعلم •

* * *

المراجـــع

(١) السرقسطي ، سعيد بن محمد ـ كتاب الأفعال ، بتحقيق د . حسين محمد شرف و د . محمد مهدي علام ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

(٢) الصفاني ، الحسن بن محمد ـ العباب الزاخر ، بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، حرف السين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٧م .

(٣) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ـ لسان العرب ، جـ ٧ ، (طبعه مصورة عن طبعة بولاق ١٣٠٨هـ) ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، القاهرة ، بلا تاريخ .

(٤) الفيومي ، احمد بن محمد ـ المصباح المنير ، المكتبة العلمية (نسخة مصورة بالأوفست) ، بيروت ، بلا تاريخ .

(٥) الفيروزبادي ، مجد الدين ـ القاموس المحيط ، جـ٢ ، المكتبة التجارية ، مؤسسة فن الطباعة ، القاهرة ، ١٩١٣م .

(٦) الزبيدي ، محمد مرتضى ـ تاج العروس ، جـ ٤ (منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت) ، عن طبعة المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ .

(٧) الزمخشري ، جارالله محمود بن عمر ـ أساس البلاغة ، كتاب الشعب ، دار مطابع دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

(٨) عبدالباقي ، محمد فؤاد ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، كتاب الشعب ، دار مطابع دار الشعب ، القاهرة ، بلا تاريخ .

(٩) الزمخشري ، جارالله محمود بن عمر ـ الكشاف عن حقائق التنزيل ، (نسخة مصورة ، دار المعرفة ، بيروت) بلا تاريخ .

(١٠) اليسوعي ، لويس معلوف ـ المنجد ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٥م .

(١١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ المعجم الوسيط ، ط٢ ، جـ١ ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

(١٢) العدناني ، محمد ـ معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة ؛ مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م .

(١٣) الزركلي ، خير الدين ـ الاعلام ، ط ٣٠ (بالأوفست) ، جـ١ ـ ١٠ ، بيروت ، ١٩٦٩م .

(١٤) غربال ، محمد شفيق ـ الموسوعة العربية الميسرة ، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

جوهـرة الجمهـرة

للصاحب اسماعيل بن عبّاد

٣٢٦ ــ ٣٨٥ هـ

بقلم

الشـيخ محمد حسن آل ياسين

عضـو المجمـع العلمـي

«جمهرة اللغة» لابن دريد ــ كما يعلم المعنيون ــ معجم لغوي قيم نفيس؛ يكاد يجمع علماء اللغة على علوّ شأنه ورفيع مقامه بين المعجمات ، وقد أملاه مؤلفه في السنين الأخيرة من القرن الثالث الهجري وهو بعيد عن حواضر العلم العراقية ؛ فكان المعجم الثاني ــ بحق ــ في سلسلة معجمات الألفاظ في تاريخ العرب والعربية بعد (عين) الخليل ؛ إذ لم تكـن المؤلفـات اللغوية خلال المدة الفاصلة بين العين والجمهرة شاملةً في أبوابها ، ومستوعبة في مفرداتها ، كهذين المعجمين ، بل كان منها المعنيّ بموضـوع معين من موضوعات اللغة كالشاء أو البئر أو الخيل أوغير ذلك، أو المعنيّ بسرد مفردات لغوية منتقاة بلا ذكر فعل او اشتقاقٍ ككتـب النوادر وكتـاب الجيم لابـي عمرو الشيبانـي ، أو المعنيّ بالمفردات بلا ملاحظة جذرٍ أو أصل ككتاب التقفية للبندنيجي •

أما المعجـم بمعناه الاصطلاحي أو الفني فلـم تعرفه العربيـة بعد العين الا في كتاب الجمهرة المذكور ، الذي حاول مؤلفه فيه بعض التغيير أو التيسير في خطة العين ومنهجه ، بعيـداً عن الالتزام بترتيب الحـروف صوتيـاً كمـا فعل الخليل ، فكان هذا الكتاب أسهل تناولا وأيسر في المراجعة وأقرب الى المراد في سرد الموادّ وتنظيمها وتبويبهـا ، وان لم يخـل ذلك مـن بعض الصعوبات والتعقيدات بل المؤاخذات أيضاً •

ومهما يكن من أمر ؛ فان بامكاننا أن نعد منهج ابن دريد في هذا المعجم نمطاً متطوراً — أو — توفيقياً بين منهج الخليل القائم على نظام أصوات الحروف، وتقليبات الكلمات — وهو نظام معقد جداً — وبين منهج بعض من أشرنا اليهم كأبي عمرو ؛ ممن رتبوا المفردات ألفبائياً ولكن لم يراعوا التسلسل في الحروف التي تلي الحرف الأول من تلك المفردات ولم يذكروا الجذر وشيئاً من مشتقاته وتفريعاته ؛ مما جعله أقرب الى العشوائية أو الانتقائية وألصق بكتب النوادر المعروفة .

ويقول ابن دريد في بيان أسباب اختياره لمنهجه وخروجه على منهج الخليل: « وقد ألف أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي — رضوان الله عليه — كتاب العين ، فأتعب مَنْ تصدّى لغايته ، وعنّى مَنْ سما الى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكلّ مَنْ بعده له تبَع ؛ أقرّ بذلك أم جحد » .

« ولكنه — رحمه الله — ألّف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدّة أذهان أهل دهره . وأملينا هذا الكتابَ والنقصُ في الناس فاشٍ والعجز لهم شامل ؛ الا خصائص كدراريّ النجوم في أطراف الافق ، فسهّلنا وعره ووطّأنا شأزه ، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة : إذ كانت بالقلوب أعبق (أعلق) ؛ وفي الأسماع أنفذ ، وكان علمُ العامة بها كعلم الخاصة ؛ وطالبُها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة ؛ مشفياً على المراد» .[1]

ثم يقول معلّلاً اختياره كلمة (الجمهرة) اسماً للكتاب :

« وانما أعرناه هذا الاسم ؛ لأنّا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ؛ وأرجأنا الوحشي المستنكر »[2].

ومع أن ابن دريد قد أعلن — كما تقدم — إجراء كتابه على تأليف الحروف المعجمة ، فانه قسّمه على الأبنية أيضاً ، وافترضها — كما يستفاد من مقدمات الكتاب — ستة :

---

(١) جمهرة اللغة : ١/٣ . (٢) المصدر نفسه : ١/٤ .

الثنائي المضعّف ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي ، والملحق بالسداسي بحرفٍ من الزوائد ، واللفيف .

ثم قسّم كل بناء منها على أبواب وفصول .

وكلمة الحق التي يجب أن تقال في شأن هذا المعجم الكبير الخطير أن مؤلفه ـ وهو ابن عصر السماع والرواية والتلقّي ـ لم يكن فيه مجرد راوٍ لما يتلقّى ويسمع ، أو محض ناقلٍ لما يقال ويؤثر ، بل كان له في كثير من فقرات الكتاب ومطالبه وقفات رأيٍ وشكٍّ وتردد وتعليق ، وهو برهان جلي على التحقيق والتثبت والتدقيق ، وقد تكرر منه مآت المرات ترداد مثل « زعموا » و « ليس بثبت » و « ما أدري ماصحته » و « لا أحسبه صحيحاً » و « أنا أوْجَل من هذا الحرف » وما شاكل ذلك من العبارات والتعليقات ، مما لا مجال للخوض في تفاصيله في هذه المقدمــــة .

* * *

ونالت «الجمهرة» منذ عهد تأليفها وبدء انتشارها وعلى مدى العصور التالية لذلك ، اهتماماً واسعاً ومنزلة رفيعة لدى علماء العربية عامة والمعجميين منهم خاصة ، روايةً وتداولا ، وتعليقاً واستدراكاً ، وشرحاً وتبييناً ، بل اختصاراً وتلخيصاً أيضا لاستخراج زبدة مافيها مما تعم الحاجة اليه .

وذكر المؤرخون من هذه الكتب المعنيّة بالجمهرة :

١ ـ «فائت الجمهرة» لأبي عمر الزاهد غلام ثعلب ، المتوفى سنة ٣٤٥ هـ .

٢ ـ «جوهرة الجمهرة» :للصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد ، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

٣ ـ «الموعِب» : لأبي غالب تمام بن غالب ، المعروف بابن التياني ، الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ ، جمع فيه بين العين والجمهرة ، وقيل : ان اسمه «تلقيح العين» أو «فتح العين» .

٤ ــ «نثر (نشر) شواهد الجمهرة» : لأبي العلاء المعري ، المتوفى سنة ٤٤٩هـ ــ ثلاثة أجزاء ــ .

٥ ــ «نظم الجمهرة» : ليحيى بن معط بن عبد النور ، زين الدين المغربي المتوفى سنة ٦٢٨ هـ .

٦ ــ «مختصر الجمهرة» : لشرف الدين محمد بن نصر الله بن عنين الأنصاري ، الشاعر ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (٣).

وحدث السيوطي : أن كتاب الجمهرة قد حظي بثناء «كثير من العلماء ، وتوجد منه النسخ الصحيحة المروية عن أكابر العلماء . وقال بعضهم : انه من احسن الكتب المؤلفة على الحروف وأصحها لغة» .

ثم روى طعون الأزهري وابن جني فيها وقال معلّقاً على ذلك :

« قلتُ : معاذ الله ، هو بريء مما رُمِيَ به ، ومَنْ طالع الجمهرة رأى تحريه في روايته .... وقد تقرر في علم الحديث ان كلام الأقران في بعضهم لايقدح» (٤) .

* * *

أما مؤلف « الجمهرة » فهو العالم اللغوي الشهير ، أبو بكر ، محمد ابن الحسن بن دريد بن عَتاهية بن حَنْتَم بن الحسن بن حَمَامِيّ بن جرو ابن واسع بن وهب بن سلمة بن جشم بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو ابن مالك بن فَهْم بن غانم بن دوس بن عدنان (عَدْثان) بن عبدالله بن زهيران (زهران) بن كعب بن الحارث بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان(٥) .

ولد في البصرة ، في سكة صالح ، سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، من سلالة

(٣) يراجع في الجمهرة والكتب المتعلقة بها : الفهرست : ٨٣ والمزهر : ٨٨/١و٨٩و٩٢ وكشف الظنون : ٦٠٥/١ و٦٠٦ والذريعة : ١٤٦/٥ ــ ١٤٧

(٤) المزهر : ٨٩/١ و ٩٣ ــ ٩٤ .

(٥) اختلفت المصادر في سلسلة ابن دريد اختلافاً كبيراً ، وما اثبتنا هو المروي في بعضها .

عربية عريقة ، ومن أبٍ معدود من الرؤساء وذوي اليسار . ونشأ هناك وتأدب وتعلّم ، وقرأ على علمائها وفحول رجالها أمثال ابراهيم بن سفيان الزيادي المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ؛ وأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ ؛ وعبدالرحمن بن عبدالله المعروف بابن أخ الأصمعي ؛ وأبي الفضل العباس ابن الفرج الرياشي المتوفى سنة ٢٥٧هـ ؛ وأبي هفّان عبدالله بن أحمد المهزمي العبدي المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ؛ وأبي عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني المتوفى سنة ٢٨٨هـ ؛ وغير هؤلاء أيضا ؛ ومنهم عمه الحسين بن دريد الذي تولّى تربيته وتعليمه ، وقد روى ابن اخيه فيما روى عنه كتاب «مسالمات الأشراف» .

ثم انتقل عن البصرة مع عمه الحسين لما ظهر الزنج فيها سنة ٢٥٧ هـ وقتلوا استاذه الرياشي ؛ فأقام بعُمان اثنتي عشرة سنة ، وتنقّل بعد ذلك في جزائر البحر ، ثم عاد الى البصرة « وسكن بها زماناً » .

ثم خرج الى نواحي فارس قاصداً واليها الأديب عبدالله بن محمد بن ميكال بدعوة منه ليؤدّب ولده اسماعيل ، فأقام هناك مدة ، وتوطدت العلاقة بينه وبين الوالي المذكور وابنه ، ومدحهما بمقصورته المشهورة ، وأملى في سنة ٢٩٧هـ كتابه « الجمهرة » على الأمير أبي العباس اسماعيل بن عبدالله الميكالي . وقلّده الأمير ديوانَ الرسائل فكانت تصدر كتب ذلك الاقليم عنه ، ولا ينفذ أمرٌ الاّ بعد توقيعه . وحصل هناك على اموال جمّة ؛ ولكنه « كان مبدداً لا يمسك درهماً سخاء وكرماً » .

ولمّا عُزِل الأمير الميكالي عن ولايته في سنة ٣٠٨ هـ انتقل ابن دريد الى بغداد ، ونزل على عليّ بن محمد الخواري — أو الجوري — نأفضل عليه ، وعرّف به الخليفة العباسي المقتدر بالله فأجرى عليه في الشهر خمسين ديناراً الى أن مات .

وفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٢١ هـ انتقل ابن دريد الى جوار ربه ، ودفن « بالعباسية من الجانب الشرقي ، في ظهر سوق السلاح من الشارع الأعظم » ورُوِيَ : انه « لما توفي حُمِلت جنازته

الى مقبرة الخيزران ليدفن بها .... ، واذا بجنازة اخرى مع نفرٍ قد اقبلوا بها .... فنظروا اذا هي جنازة أبي هاشم الجبائي . فقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي ، فدفنا جميعاً في الخيزرانية » .

وحسبنا في معرفة عبقرية هذا الرجل وعلو كعبه في اللغة والأدب وعلـوم العربية أن نقرأ الشهادات الآتية :

قال المسعودي : « كان ممن قد برع في زمننا هذا في الشعر ، وانتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب في الشعر كل مذهب ، فطوراً يجزل وطوراً يرق » .

وقال المرزباني : « كان رأس أهـل العلم ، والمتقـدم في الحفظ للغـة والأنساب وأشعار العرب ، وهو غزير الشعر كثير الرواية سـمح الأخـلاق ، وكانت له نجدة في شبابه وشجاعة ، وسخاء وسماحة » .

وقال الزبيدي صاحب الطبقات « كان أعلـم النـاس في زمانه باللغـة والشعر وأيام العرب وأنسابها » .

وقال أبو الطيب اللغوي : « انتهى اليه علم لغة البصريين ، وكان أحفـظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعرٍ ، وما ازدحم العلم والشعر في صدرٍ واحدٍ ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد » .

وقال أبو البركات ابن الأنباري : « كان من أكابر علماء العربية ، شاعراً كثير الشعر » .

وقال ياقوت : « روى من اخبار العرب وأشعارها ما لم يروه كثير مـن أهل العلم » ، وكان « واسع الحفظ جداً .... وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى اتمامها ويحفظها » ، « وتصدّر في العلم سـتين سنة » ، و « كان يقال : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء » .

وقال الذهبي : « فاق أهل زمانه » ، و « كان آية من الآيات في قـوة الحفـظ » .

ومما يزيدنا ايماناً وتصديقاً بعبقرية هذا الرجل وتقدمه وخطر شأنه في ميدانه أن نقف على الكنز العظيم الذي خلّفه من بعده ؛ وهو الكنز الذي يسمو على التقدير والتثمين ، ونعني به مؤلفاته القيمة التي ضمّت عصارةَ إبداع فكره وعطاء موهبته ؛ وخلاصة ما أنتجه الدرس الأدبي واللغوي في العصور الاسلامية الاولى ، فكانت وما تزال المنبع الثرّ والمصدر الأصيل للبحوث اللغوية والدراسات الأدبية منذ جيل طلابه والى اليوم .

ونورد فيما يأتي اسماء تلك المؤلفات مرتبة على الحروف الهجائية :

١ ـ كتاب أخبار أبي بكر بن دريد : مطبوع .

٢ ـ كتاب الأخبار المنثورة : ولعله الكتاب السابق نفسه .

٣ ـ كتاب أدب الكتّاب : « على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجرّده عن المسوّدة ، فلم يخرج منه شيء يعوّل عليه » ، وقد يسمى : « أدب الكاتب » ، وربما كان هو المراد مما سمّاه بعضهم « تقويم اللسان » .

٤ ـ كتاب الأربعين .

٥ ـ كتاب الاشتقاق : وسمّاه بعضهم : « اشتقاق أسماء القبائل » ، وهو مطبوع أكثر من مرة .

٦ ـ كتاب الأمالي : روى عنه السيوطي كثيراً في المزهر : (١/١٢٥ـ١٢٩ و١٤٠ و١٦١ و١٦٣ ـ ١٦٤ و٤٩٤ و٤٩٦ ـ ٤٩٧ و٥٠١ ـ ٥٠٢ ، و ٢ / ٣١٣ و ٣٤٦ ـ ٣٤٧و٥٢٠ ـ ٥٢٢و٥٤٢) ، وذكر حاجي خليفة في الكشف : ان السيوطي قد لخّصه وسمّى الملخّص : « قطف الوُرَيْد » .

٧ ـ كتاب الأنواء .

٨ ـ كتاب ايجاز المنطق وذخائر الحكمة : ذكره مؤلفه في كتابه المجتنى : ١٣ .

٩ ــ كتاب « البنون والبنات » : ذكره العلوي المعاصر جامع ديـــوان ابن دريد في مقدمة الديوان .

١٠ ــ كتاب جمهرة اللغة : وهو المعجم اللغوي الضخم المعروف ، قـال ابن النديم : « مختلف النسخ ، كثير الزيادة والنقصان ، لأنه أمـلاه بفارس ، وأملاه ببغـداد من حفظـه ، فلما اختلف الإمـلاء زاد ونقص ... والتامـة التي عليهـا المعوّل هي النسخـة الأخيرة ؛ وآخر ما صـحّ من النسخ نسـخة أبي الفتح عبيدالله بن أحمـد النحوي ؛ لأنه كتبها من عدة نسـخ وقرأها عليه » . وقـد طبعت الجمهرة في حيدر آباد الهند في سنة ١٣٤٤هـ .

١١ ــ كتاب الخيل « الصغير » .

١٢ ــ كتاب الخيل « الكبير » .

١٣ ــ ديوان شعر ابن دريد : جمعـه السيد محمد بـدر الدين العلوي المعاصر ، وطبع في القاهرة في سنة ١٣٦٥هـ ، وهو غيض من فيض من شعره ، فقد روى القفطي في الإنباه أن « شعره كثـير ؛ قال لي مَنْ رآه : في خمس مجلدات ، وقيل : أكبر من ذلك » .

١٤ ــ كتـــاب روّاد العـرب : وورد اســـمه في بعض المصـادر : « زوّار العـرب » وفي بعضٍ : « رواة العرب » ولعـل ذلك من التصحيف ، والكتاب مطبوع في ليدن في سنة ١٨٥٩م .

١٥ ــ كتاب السرج واللجام : وقد يسمى «صفة السرج واللجام» ، وهو مطبوع في ليدن في سنة ١٨٥٩م .

١٦ ــ كتاب السلاح .

١٧ ــ شعر الحادرة : ذكره ابن النديم في باب الشعراء الذين عمل شعرهم العلماء من فهرسته ، ولم يذكره في ترجمة ابن دريد .

١٨ ـ كتاب صفة السحاب والغيث : وسماه بعضهم : كتاب المطر ، وهو مطبوع في ليدن في سنة ١٨٥٩م .

١٩ ـ كتاب غريب القرآن : « لم يتمه » ، و ربما كان هو المسمى كتاب « لغات القرآن » .

٢٠ ـ كتاب فعلت وأفعلت .

٢١ ـ كتاب لغات القرآن : ذكره ابن النديم وقال : « لم يتمه » ، وكأنه « غريب القرآن » المتقدم .

٢٢ ـ كتاب ماسئل عنه لفظاً فأجاب حفظاً : « جمعه علي بن اسماعيل بن حرب عنه » .

٢٣ ـ كتاب المتناهي في اللغة .

٢٤ ـ كتاب المجتنى : وصحّف في بعض المصادر الى «المجتبى»، وهو مطبوع في الهند أكثر من مرة .

٢٥ ـ كتاب مجموعة أقوال لعلي بن أبي طالب (ع) .

٢٦ ـ كتاب المختلف والمؤتلف في الاشتقاق ، هكذا سماه عبداللطيف رياضي زادة في كتابه (أسماء الكتب : ٢٨٦) ، وأظنه «الاشتقاق» المتقدم نفسه .

٢٧ ـ كتاب المقتبس .

٢٨ ـ كتاب مقتل ابن هبيرة : ذكره البغدادي في ذيل الكشف ، ولعل فيه وهماً أو لبساً .

٢٩ ـ كتاب المقتنى .

٣٠ ـ كتاب المقصور والممدود : هكذا سمي الكتاب في المصادر ، وكأن المراد به قصيدة ابن دريد الهمزية التي جمع فيها المقصور والممدود ، وقد أوردها جامع شعره في الديوان ، وذكر بروكلمان شروحاً لها وقصائد في محاكاتها ومعارضتها .

٣١ ــ المقصورة : في مدح ابني ميكال ، ومع أنها ليست في الحقيقة مؤلفاً أو مصنفاً ، فان كثرة العناية والاهتمام بها جعلها في عداد المؤلفات . وتبلغ أبيات المقصورة ــ كما نص عليه في خزانة الأدب ــ (٢٣٩) بيتاً . وقد عارضها جماعة من الشعراء ، وعُني بشرحها عدد من المتقدمين والمتأخرين لعلهم يبلغون (٣٥) شارحاً أو يزيدون، وبعض تلك الشروح مطبوع ، وخمسها عدد آخر من الشعراء ، وبعض تلك التخميسات مطبوع أيضاً .

٣٢ ــ كتاب الملاحن : وهو مطبوع أكثر من مرة .

٣٣ ــ كتاب نوادر ابن دريد : ذكره بهذا الاسم صاحب كشف الظنون ، وأظنه يعني به كتاب « أخبار ابن دريد » أو « أماليه » .

٣٤ ــ كتاب الوشاح : نقل السيوطي نصوصاً منه في المزهر : (١/٥٣٢ ــ ٥٣٣ ، و ٢/٤٣٤ و ٤٥٦ ــ ٤٥٧)[٦] .

* * *

(٦) رجعنا في ترجمة ابن دريد ــ سيرته ومؤلفاته ــ الى :
مروج الذهب : ٤/٢٤٦ ــ ٢٤٨ ومعجم الشعراء : ٤٦١ ــ ٤٦٢ وطبقات النحويين : ٢٠١ ومراتب النحويين : ١٣٠ ــ ١٣٦ والفهرست : ٣٨ و ٦٧ و ١٧٩ وتاريخ بغداد : ٢/١٩٥ ــ ١٩٧ ونور القبس : ٣٤٢ ــ ٣٤٤ ونزهة الالباء : ١٧٠ ــ ١٧٨ والانساب : ٥/٣٤٢ ــ ٣٤٤ والمنتظم : ٦/٢٦١ ــ ٢٦٢ ومعجم الادباء : ١٨/١٢٧ ــ ١٤٣ وانباه الرواة : ٣/٩٢ ــ ١٠٠ ووفيات الأعيان : ٣/٤٤٨ ــ ٤٥٣ وسير اعلام النبلاء : ١٥/٩٦ ــ ٩٨ والوافي بالوفيات ٢/٣٣٩ ــ ٣٤٣ وبغية الوعاة : ٣٠ ــ ٣٣ والمزهر : ١/٨٨ ــ ٩٤ و٢/٤٠٩ وشذرات الذهب: ٢/٢٨٩ ــ ٢٩١ وخزانة الادب : ١/٤٩٠ ــ ٤٩١ وكشف الظنون (اسماء المؤلفات واسماء الكتب : ٢٨٦ وذيل كشف الظنون المسمى ايضاح المكنون (اسماء المؤلفات التي لم ترد في الكشف) ومعجم المطبوعات العربية والمعربة : ١/١٠١ ــ ١٠٣ والذريعة : ٤/١٢ و١٣ و١٤/٨٦ و١٧/١٢٣ (واسماء المؤلفات) وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ــ الترجمة العربية ــ : ٢/١٧٧ ــ ١٨٥ .

ويراجع في اسماء شيوخ ابن دريد وطلابه والرواة عنه : ماأورده محققا الجمهرة والاشتقاق في مقدمتيهما للكتابين المذكورين .

وأما مؤلف « الجوهرة » فهو الأديب اللغوي الوزير ؛ أبو القاسم ؛ الصاحب كافي الكفاة ؛ اسماعيل بن عبّاد بن العباس بن أحمد بن ادريس ، الطالقاني ، الاصبهاني ، المولود في ١٦ ذي القعدة سنة ٣٢٦هـ ، والمتوفى في ٢٤صفر سنة ٣٨٥هـ •

نشأ دارساً متعلماً ، واتصل في أوائل شبابه بأبي الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه صلة التلميذ بالاستاذ ، ثم ازدادت هذه الصلة متانة وقوة فأصبح ابن عباد كاتباً لابن العميد •

ولـمّا عزم الأمير مؤيد الدولة أبو منصور على زيارة بغداد في سنة ٣٤٧هـ اختار ابنَ عباد صاحباً له ومرافقاً في هذه الرحلة ، فكانت هذه الصحبة مفتاحاً لعلاقةٍ استحكمت وشائجها وتوطدت أُسسها على مرّ الأيام •

وأصبح ابن عباد بعد تولّي الأمير المذكور أبي منصور شؤونَ الدولة اثر وفاة أبيه وزيراً له ومعتمداً ، ثم استمر في الوزارة أيضاً بعد وفاة مؤيد الدولة وتولّي فخر الدولة زمام الحكم والإمرة ، وبقي كذلك حتى وفاته •

ونال هذا الرجل من المقام والاحترام والهيبة والرفعة وبُعد الصيت وشهرة الاسم خلال أيام وزارته مالم ينل مثله أحدٌ من نظرائه ، واحتفّ به ــ كما يقول الثعالبي ــ « من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر ؛ مَنْ يربي عددُهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب القوافي وملكِ رقاب المعاني » •

وكان ابن عباد قد قرأ وتعلّم على يد عددٍ جمّ من علماء عصره وادبائه ، وروى عنهم ، و « سمع في العراق والريّ واصبهان الكثير » ، وملك مكتبةً حافلة بأنفس الكتب وأغلاها وأندرها ، وبلغ تعدادها ــ فيما حدّث هو نفسه ــ « مائتين وستة آلاف مجلد » ، ويقال : انها كانت حمل سبعمائة بعير، وفي بعض الروايات : ان كتب اللغة وحدها كانت حمل ستين جملاً •

وأصبح الرجل بفضل تلك التلمذة الراعية وهذه المكتبة القيمة «أوحد زمانه علماً وفضلاً» ، ولم يعد من المبالغة أن يقال فيه ماقال ياقوت : من أنه « مع شهرته بالعلوم ، وأخذه من كل فن منها بالنصيب الوافر ، والحظ الزائد الظاهر ، وما أوتيه من الفصاحة ، ووُفّق لحسن السياسة والرجاحة ، مستغن عن الوصف ، مكتفٍ عن الإخبار عنه والرَّصف» .

وكان من أبرز شيوخه في الأدب واللغة وعلوم العربية : أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي المتوفى سنة ٣٥٠هـ ، وهو من كبار الرواة عن المبرد وثعلب والبحتري وأبي العيناء ، وأبو بكر ابن مقسم العطار النحوي المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، وأبو الفضل الوزير ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، وأبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ ، وأبو الحسين أحمد بن فارس الرازي المتوفى سنة ٣٩٥هـ .

ولعل من أهم مايجب تسجيله في تاريخ هذا الرجل وذكره بكثير من التقدير والاكبار : أن مشاغل الحكم والوزارة وشواغل الابهة وعظم المقام ، لم تقعد به عن التوجه نحو التاليف والتصنيف ، واستفراغ الوسع في البحث والتحقيق ، وفي اكثر من موضوع وميدان من ميادين الفكر والمعرفة ، فترك من بعده مجموعة نفيسة من المؤلفات ، وقد طبع في عصرنا الأخير عدد غير قليل منها ، مما لامجال لعرضه هنا بالتفصيل . والذي يعنينا في هذه المقدمة مايخص منها شؤون اللغة وموضوعاتها المختلفة ، وهي — فيما روى الرواة — أربعة :

١ — المحيط في اللغة : وهو من معجمات الألفاظ الكبرى في تاريخ العربية ، كثير المفردات ، وافر المعلومات ، قليل الشواهد ، نحا فيه منحى الخليل ابن أحمد في ترتيب الحروف وتنظيم الأبواب وأصوات الحروف وتقليبات الكلمات . وقد انتهيت — بتوفيق الله تعالى — من تحقيقه بتمامه ، وتمَّ طبعه ببيروت في سنة ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م ، في عشرة أجزاء للأصل وجزء خاص بالفهارس هو الحادي عشر .

٢ ــ كتاب الفرق بين الضاد والظاء : وقد سبق لي تحقيقه ونشره عن مخطوطته التركية التي ربما كانت الفريدة الوحيدة ، وطبع ببغداد سنة ١٣٧٧هـ ، ولعل ذلك هو الكتاب المختصر من الأصل الكبير المفقود .

٣ ــ كتاب الحَجَر : ذكره ابن فارس في الصاحبي : ١٥ ــ ١٦ والثعالبي في فقه اللغة : ٢٣٩ ، وهو مفقود .

٤ ــ جوهرة الجمهرة : وهو الكتاب الذي تتحدث عنه في هذه الصفحات.(١)

☆ ☆ ★

ونعود الآن ــ بعد هذه الجولة السريعة في رحاب سيرتي ابن دريد وابن عباد ــ الى موضوع البحث الرئيس « جوهرة الجمهرة » ، وقد ورد ذكرها بهذا الاسم في عدد من المصادر والمراجع(٨) ؛ وإن لم نجد في أيّ منها نقلاً من الكتاب أو نصّاً من نصوصه ، وليس في ذلك مايبعث على شك أو يدعو الى تردد في صحة النسبة ، لأن وجود أصل « الجمهرة » في متناول يد الباحثين والمراجعين قد أغناهم عن الرجوع الى المختصرات والملخّصات .

ويستفاد من المصادر ان الصاحب بن عباد قد قرأ هذا الكتاب في مطلع شبابه قراءة مستوعبة معمّقة ؛ وتمكن من اتقان ألفاظه وضبط نصّه خلال هذه

---

(٧) اقتبسنا ترجمة ابن عباد من المصادر الاتية :
اخبار اصبهان : ٢١٤/١ و ١٣٨/٢ وتجارب الامم :١٦٨/٦ وذيله : ٩٣ ويتيمة الدهر : ١٦٩/٣ ــ ١٧٠ و ١٧٩ ــ ١٨٠و٢٦٧ ومحاسن اصفهان : ١٣و٩٨ ونزهة الألباء : ٤٠١ ومعالم العلماء : ١٣٦ ومعجم الادباء : ٨٣/٤و٢١٤ ــ ٢١٥و١٦٨/٦ــ٢٧٩و١٣/٩٧و٢٢٧/١٤ وانباه الرواة : ٢٠٢/١ ووفيات الأعيان : ٢٠٦/١ ــ ٢٠٩ وبغية الوعاة : ١٩٦ وشذرات الذهب : ١١٣/٣ ــ ١١٥ .
ولي في تاريخ حياة هذا الرجل وسيرته كتاب اسمه (الصاحب بن عباد)، وقد طبع ببغداد سنة ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٧ م .

(٨) نزهة الألباء : ٣٩٩ ومعجم الادباء : ٢٦٠/٦ وانباه الرواة : ٢٠٣/١ والوافي بالوفيات : ١٣٨/٩ وبغية الوعاة : ١٩٧ والمزهر : ٩٦/١ وكشف الظنون : ٦٠٦/١ و ٦١٩ و ٦٢١ وتاج العروس : ٣٩/١ والذريعة: ٢٩٢/٥ .

القراءة وفي تلك السنّ المبكرة ، فقدروى في يوميات رحلته الى بغداد في سنة ٣٤٧هـ ـ وكان حينذاك في الحادية والعشرين من العمر ـ اعتراضه على أبي سعيد السيرافي تلميذ أبي دريد في فقرة من فقر الجمهرة ، قال :

«وانتهيتُ الى أبي سعيد السيرافي، وهو شيخ البلد ، وفرد الأدب، وحسَن التصرّف ، ووافر الحظ من علوم الأوائل ، فسلّمتُ عليه وقعدت اليه ، وبعضهم يقرأ الجمهرة ، فقرأ : ألسَّمَقْتُ ، فقلتُ : لَمَقْتُ ، فدافعني الشيخ ساعة ثم رجع الى الأصل فوجد حكايتي صحيحة » .

ثم قال بعد استطرادٍ وتعليق :

«ورأيتُ الشيخ ـ بعد ذلك ـ غزيراً فاضلاً ، متوسعاً عالماً ، فعلّقت عليه وأخذتُ منه ، وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه ، وقرأتُ صدراً منه »[٩] .

ويبدو أن فرط اعجاب ابن عبادٍ بالجمهرة وشدة اهتمامه بها ، قد حملاه على محاولة تيسير الافادة منها لعموم الطلاب والمتعلمين ، باختصارها واستخراج زبدة مافيها من اصول اللغة ومطالبها الرئيسة ، مجرّدة من الشواهد والتفاصيل ، وايداع ذلك في معجم صغير يكون سهل التداول والتناول .

ومن طريف مايروى بخصوص هذا المختصر : ان الصاحب لما انتهى منه وأنجز عمله فيه ، أنشأ ثلاثة مشاطير بهذه المناسبة ، وهي :

لَمّا فرغنا من نظام « الجوهرهْ » اعْوَرَّتِ العينُ وماتَ الجمهرهْ

ووقف التصنيفُ عند القنطرهْ[١٠]



(٩) الروزنامجة : ٢١ ـ ٢٣ .

(١٠) المزهر : ٩٦/١ ، ووهم حاجي خليفة في كشف الظنون : ٢٠٥٣/٢ ـ ٢٠٥٤ فعزا المشاطير لأبي عمر الزاهد .

ومما يجدر ذكره بل يجب التنبيه عليه قبل ختم الحديث عن الجوهرة : ان مخطوطتنا التي رجعت اليها في هذا البحث ـ وهي الفريدة في مكتبات العالم في الوقت الحاضر في أغلب الظن[11] ـ قد تضمنت اختصاراً شاملا للجمهرة استوعب جميع الأبواب والفصول ، من أولها الى آخر الثلاثي بكل أقسامه وضروبه ، نضم السالم منه والمعتل واللفيف والمهموز والنوادر ، ثم انتهى الكتاب بذلك فلم يرد فيه أي ذكر لما يتعلق بـ «أبواب الرباعي الصحيح» وما تلاها من الأبواب الواردة في الأصل ، أي ان الجوهرة الماثلة أمامنا قد ختمت بما يقابل نهاية الصفحة ٢٩٤ من الجزء الثالث من الجمهرة المطبوعة ، وأُغفِل جميع مايلي ذلك من أبواب الرباعي وأبواب كثيرة اخرى من الخماسي والسداسي والنوادر وغيرها .

واذا افترضنا أن في بعض الأبواب « المُغْفَلَة » من المصادر والمفردات المزيدة ما يمكن ذكره في بابه الأصيل من الثلاثي ـ كما في أبواب فَعْلَلٍ وفُعْلُلٍ مما فيه حرفان مثلان ، وأبواب فِعَلّ وفُعُلّ وفِعِلّ وفُعَّلٍ وفَيْعَلٍ وفِعْيَلٍ وتَفْعال وفَيْعُول وفِعِّيْلى وكثير غيرها ـ فان في الرباعي والخماسي الأصيليْن مالا يمكن اقحامه في الثلاثي بأي وجه من الوجوه .

ومن البعيد جداً بل من غير المقبول أن نعزو اسقاط تلك الأبواب الى المؤلف ، لأنه ينا في ماقاله وألزم به نفسه في مقدمة كتابه من ايراد كل ماجاء

(١١) ذكر الباحث الشيخ محمد محسن انه راى في اوائل هذا القرن نسخة من الجوهرة في احدى المكتبات العراقية (الذريعة : ٢٩٢/٥ ـ ٢٩٣)،ولكني لم اوفق للوصول اليها على الرغم من كثرة السؤال والبحث .
وذكر الباحث السيد زين العابدين الموسوي محقق الجمهرة ان في مكتبة المتحف البريطاني مختصرا للجمهرة قديم الخط مجهول المؤلف ، وان المستشرق كرنكو قد قابل به أصل الجمهرة (مقدمة الجمهرة : ١٧/١ ـ ٢٠) . وليس هذا المختصر هو الجوهرة ؛ لان اسمها قد ورد في مقدمة المؤلف ؛ وكان قد وقف عليه المستشرق المذكور في مراجعته ومقابلته ، ولعله مختصر ابن عنين او مختصر آخر لم نقف على خبره .

في الجمهرة من اصول اللغة وموادها وتراكيبها ، واعلانه : أنه لم يسقط من اللغة الموجودة فيها «حرفاً واحداً ، بل حذفنا ماكان تصريفاً مستغنى عنه أو شاهداً» ، ولذلك يكون خلو مخطوطتنا من الأبواب المذكورة باعثاً على الشك والتوقف بل الحكم بالنقص في أرجح الاعتقاد ، وربما سقط ذلك من الناسخ سهواً وغفلة أو بتوهم أن تلك الأبواب مرتبطة بكتاب آخر ، كما يحتمل أن يكون الأصل الذي نقل منه الناسخ ناقصاً ، وربما كان غير ذلك مما لايمكننا الجزم به الا اذا وفقنا الى العثور على نسخة اخرى من الكتاب للمقابلة والمقارنة .

وبانتظار ذلك تكون هذه النسخة ممثلة لقطعة من «الجوهرة» يمكن أن نسميها «الجزء الأول» منها .

* * *

ولعل مما يزيد الحديث عن هذا الكتاب بياناً وجلاء أن يقف المعنيون على نصّ مقدمة الصاحب لجوهرته ؛ فقد ضمنها من اللمحات الموجزة لمنهجه في اختصاره ؛ وللنسخ التي رجع اليها ، ولأدب السلوك مع العلماء من السلف ؛ مالا يخلو من نفع وفائدة لكل باحث ومتعلّم .

قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي أنطَقَنا(*) الذي أنطَقَ كلَّ شيء بأفصح اللغات، وجعل اختلافَ الألسنة احدى الآيات ، وبعث رسولَه محمداً – ع م[1] – بأشرفِ الكلام موضوعاً ، وأحلاه مسموعاً ، وأوسَعِه مذاهبَ ، وأقربَه مطالب ، وأنزل به كلامَه المبين ، وكمَّل به المعجزات والبراهين .

(*) كذا في الأصل ، ولعل جملة (الذي انطقنا) او (الذي انطق كل شيء) من زيادات النسخ .

(١) كذا في الأصل ، ويأتي فيه مثل ذلك ايضاً ،وكانه يعني به (عليه السلام) .

ولمّا رأيتُ[٢] الناسَ قد سبقوا الى تكثير[٣] اللغة ، حتى زهّدوا الراغبَ ؛ وأتعبوا الطالب ، وكان المعوّل[٤] عليها في معرفة القرآن وسُنّة الرسول — عم — ، وكان الاختصار مع الايضاح[٥] والإفهام ؛ أولى من الاكثار مع الإصعاب[٦] والابرام • فصنّفنا الكتابَ « المحيط » لئلاّ يشذَّ عنه من اللغة إنسيُّها ووحشيُّها ودانيها وقاصيها،الا ماعزَّ وجودُه وأعوَزَ،وضَعُفَ روايةً فألغاه من احترز • وخرج في حجم ثُلُث كتاب « العيْن » ، وفضلت لغتُهعلىمافيذلكالكتاب ضِعفَيْن بعد ضِعفين •علمناأنفيطالبي[٧] اللغهمَنْ يصدف شطنَه[٨] عن قراءته واستقرائه ، ويميل الى ما يجري[٩] في الايجاز مجرى جزء من أجزائه ، فاعتمدنا كتاب « الجمهرة » باختصارٍ لايُمِل[١٠] ولايُخلُّ إذْ لم نُسقِط[١١] من اللغة الموجودة فيه حرفاً واحداً ، بل حذفنا ما كانَ تصريفاً مستغنىً عنه أو شاهداً .•

وقد كُنّا رَوَيْناه على اختلاف نُسَخِه :

أمّا النسخة البغداديّة : فأخبر[ني][١٢] بها أبو سعيد الحسنُ بن عبدالله

---

(٢) في الأصل : ولمارث ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : لىبكثر ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : المعمول ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : مع الاضاح ، وهو وهم .

(٦) في الأصل : الاصحاب . وكتب الناسخ في الحاشية : (الاصعاب . ظ) .

(٧) في الأصل : طالب ، وهو وهم .

(٨) في الأصل : من تصنيف عطفة ، وهو تحريف .

(٩) في الأصل : يجزى ، وهو تصحيف .

(١٠) في الأصل : لايميل ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، ولا يمل : اي لايشق ولايصعب .

(١١) في الأصل : تسقط ، وهو تصحيف

(١٢) مابين المعقوفين سقط من الاصل .

السِّيرافيَّ[١٣] النحوي ــ رحمة الله عليه ــ عن أبي بكر [ابن][١٤] دريد .

وأما الشيرازية ــ وهي الأصل[١٥] ــ فقرأتها على أبي[١٦] محمد الإيجيِّ[١٧] صاحب أبي بكر وراويتِه[١٨] ، وذكر أنه أملاها عليه من لفظه .

[وأما][١٩] الأهوازية : فقرأتها ــ وقرئت[٢٠] ونحن نسمع ــ على أبي أحمد الحسن[٢١] بن عبدالله العسكري[٢٢] ، وهو من المكثرين عن أبي بكر .

وسَمَّيْنا هذا المختصر بـ «جوهرة الجمهرة» .

---

(١٣) في الأصل : السيرفي ، وهو من أوهام النسخ . وهو ابو سعيد الحسن ابن عبدالله بن المرزبان النحوي المعروف بالقاضي السيرافي ، المولود قبل سنة ٢٩٠هـ ، وقد سكن بغداد ولمع فيها ، واسهم في علوم كثيرة درساً وتدريساً ، وكانت لديه نسخة من (الجمهرة) كتبها السيرافي بخطه ، وتوفي سنة ٣٦٨هـ . يراجع : تاريخ بغداد : ٣٤١/٧ ومعجم الادباء : ١٤٥/٨ وانباه الرواة : ٣١٣/١ وبغية الوعاة : ٢٢١ .

(١٤) سقطت كلمة «ابن» من الأصل .

(١٥) انما عد المؤلف هذه النسخة اصلا لأن ابن دريد املى الكتاب لاول مرة هناك . يراجع مااوردناه من ذلك في ترجمته .

(١٦) في الأصل : ابو ، وهو وهم .

(١٧) في الأصل : الا لحبى ، والصواب مااثبتنا ، وهو ابو محمد عبدالله بن محمد الايجي الأديب النحوي ؛ تلميذ ابن دريد والمكثر في الرواية عنه . يراجع معجم البلدان : ٣٨٤/١ ــ ٣٨٥ واللباب لابن الأثير : ٧٨/١ وبغية الوعاة : ٢٩٠ .

(١٨) في الأصل : وروايته ، وهو وهم .

(١٩) سقط مابين المعقوفين من الاصل .

(٢٠) في الأصل : وقرات ، والسياق يقتضي مااثبتنا .

(٢١) في الأصل : الحسين ، وهو وهم .

(٢٢) هو ابواحمدالحسن بن عبدالله بن سعيدالعسكري اللغوي المحقق، المولود سنة ٢٩٣هـ ، والمتوفى سنة ٣٨٢هـ . يراجع : معجم الادباء : ٢٣٣/٨ وانباه الرواة : ٣١٠/١ وبغية الوعاة : ٢٢١ .

ولم نشتغل[٢٣] باصلاح مايُطعَن به [على][٢٤] أبـي بكر مـن خلل في الأبنية واضطرابٍ في الترتيب ، إذْ بنـا في الأخْذ عن العلماء من السلف مالا نفرغ[٢٥] [معه][٢٦] الى اعتراض كتبهم بالردّ .

نفعنا اللهُ بما علمنا ، وجعله لفظا[٢٧] فيما ألزمنا .

وصلاته على النبي محمد وآله الطاهرين ، وسلّم تسليماً كثيرا .



(٢٣) في الأصل : يشتغل ، وهو من سهو النسخ .
(٢٤) زيادة يقتضيها السياق .
(٢٥) في الأصل : مالا يفرع ، ولعل الصواب ماأثبتنا .
(٢٦) زيادة يقتضيها السياق .
(٢٧) كذا في الأصل ، ولم نهتد الى الصواب فيها ؛ ولعله : ألفا لنا .

اخبار اصبهان / لأبي نعيم	ليـدن ١٩٣١م
اسماء الكتب / لعبد اللطيف رياضي زاده	القاهرة ١٩٧٧ م
الاشتقاق / لابن دريد	القاهرة ١٣٧٨هـ
انباه الرواة / للقفطي	القاهرة ١٣٧٤هـ
الأنساب / للسمعاني	الهند ١٣٨٢هـ
بغية الوعاة / للسيوطي	القاهرة ١٣٢٦هـ
تاج العروس / احمد مرتضى الزبيدي	القاهرة ١٣٠٦هـ
تاريخ الأدب العربي / لبروكلمان ـ الترجمة العربية ـ ج٢	القاهرة ١٩٦١م
تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي	بيروت (طبعة مصورة)
تجارب الامم / لمسكويه	القاهرة ١٣٣٢هـ
الجمهرة / لابن دريد	الهند ١٣٤٤هـ
خزانة الأدب / للبغدادي	القاهرة ١٢٩٩هـ
الذريعة / احمد محسن الطهراني ـ ج٤ و ٥ واجزاء اخرى ـ	طهران ١٣٦٢هـ
ذيل تجارب الامم / للروذراوري	القاهرة ١٣٣٤هـ
ذيل كشف الظنون ـ ايضاح المكنون ـ /	استانبول ١٣٦٦هـ
الروزنامجه / الصاحب بن عباد	بغداد ١٣٧٧هـ
سير اعلام النبلاء / للذهبي	بيروت ١٤٠٦هـ
شذرات الذهب / لابن العماد الحنبلي	القاهرة ١٣٥٠هـ
الصاحبي / لابن فارس	القاهرة ١٣٢٨هـ
طبقات النحويين واللغويين / للزبيدي	القاهرة ١٣٧٣هـ
فقه اللغة / للثعالبي	القاهرة ١٣٥٧هـ
الفهرست / لابن النديم	طهران ١٣٩١هـ
كشف الظنون / لحاجي خليفة	استانبول ١٣٦٠هـ

اللباب / لعز الدين ابن الاثير	القاهـــــرة ١٣٥٧هـ
محاسن اصفهان / للمافروخي	طهـــــران ١٣٥٢هـ
مراتب النحويين / لابي الطيب اللغوي	القاهـــــرة ١٣٩٤هـ
مروج الذهب / للمسعودي	القاهـــــرة ١٣٥٧هـ
المزهر / للسيوطي ـ طبعة البابي الحلبي	القاهـــــرة (بلا تاريخ)
معالم العلماء / لابن شهر اشوب	طهـــــران ١٣٥٣هـ
معجم الادباء / لياقوت	القاهـــــرة ١٩٣٦م
معجم البلدان / لياقوت	القاهـــــرة ١٣٢٣هـ
معجم الشعراء / للمرزباني	القاهـــــرة ١٣٥٤هـ
معجم المطبوعات العربية والمعربة / ليوسف سركيس	القاهـــــرة ١٣٤٦هـ
المنتظم / لابن الجوزي	الهنـــــد ١٣٥٧هـ
نزهة الالباء / لابن الأنباري	بغـــــداد ١٩٥٩م
نور القبس / اليغموري	بـــــيروت ١٩٦٤م
الوافي بالوفيات / للصفدي	طهران (طبعة مصورة)
وفيات الأعيان / لابن خلكان	القاهـــــرة ١٣٦٧هـ
يتيمة الدهر / للثعالبي	القاهـــــرة ١٣٥٢هـ

*

بنـاء قصيدة الشكوى في العصر الامـوي

الدكتور نوري حمودي القيسي
عميد كلية الاداب : جامعة بغداد

لم يعد الحديث عن بناء القصيدة العربية حديثا بعد ان اتضحت معالم هذا البناء وهي تأخذ طريقها في كل غرض وتتوحد صياغتها عند مجاميع الشعراء وهم يواصلون طريقتهم التي التزموا بها حتى اصبح هذا البناء اسلوبا ومنهجا وتقليدا تتحدد اجزاؤه وتتوافق اقسامه واصبح لكل غرض بناء تلتقي مفرداته وتتجانس الوانـه وتتسلسل افكـاره وقـد وقفت فـي بعض دراساتي على بعض هذه الاغراض(١) .

وتشكـل محاورة الذئب فـي بعض قصائد الشعراء امتدادا قصصيا آخر وبناء فنيا اعتمد الحوار والمناجاة ، وتخللته المشاعر ، وتجلت فـي احداثه طبائع الكرم الذي لازم امثال هذه المحاورات(٢) ويمكـن اعتبار قصيدتـي المرقش الاكبر(٣) وامرىء القيس(٤) من اوائل القصائد التي وصلت الينا وهـي تحمل هذا النوع من المحاورات او المصاحبة ، فقد صور امـرؤ القيس مقابلته للذئب وقد أضرّ به الجوع عند ماء آجن،بعد ان امحل ما حوله من الكلأ ، فكان يعوي عواء الخليع الذي طردته العشيرة فبات لا يملك ما يسد بـه رمق الحياة ، ولا

(*) قدم نقيد المجمع هذا البحث لنشره في المجلة ، وفيه بعض ما كان ينوي اكماله او اصلاحه ثم عاجلته المنون ، فراينا نشره وفاء لمكانه ، واصلحنا بعض ما فيه ، وتركنا مالم نستطع على حاله ، تغمده الله برحمته .

١ ــ ينظر كتـاب لمحـات مـن الشعر القصصي في الادب العربـي ــ الموسوعة الصغيرة ــ العدد (٧١) .

٢ ــ ينظر كتاب على الهامش للاستاذ هلال ناجي / ٢٩ .

٣ ــ شعر المرقش الاكبر . مجلة العرب / والمفضليات ١/ ٢٦ .

٤ ــ امرؤ القيس . الديوان ٣٦٣ ــ ٣٦٤ وتنسب القصيدة الى النجاشي الحارثي في حماسة ابن الشجري / ٧١٨ وينظر تخريجها فيها .

اهلا يصدون عنه عوامل الدهر فخاطبه الشاعر برفق ، وسأله عن اخ يواسيه ، ثم دعاه الى الحوض الذي تركه له بعد ان اعتذر الذئب عن مشاركة الشاعر طعامه، وبعدها يأخذ الذئب بالعواء مستدعيا بقية اصحابه لهذه المكرمة ، معلنا وفاءه لبني جنسه من الذئاب لتجد في هذا النبع ما يدفع عنها حرارة الجوع ، وقسوة الصحراء ، ولهيب وقدها اللافح . امـا المرقش الاكبر فيقدم لنا صورة اخرى لهذا عراه مستضيفا فأكرمه كما يكرم الضيف ، ويصور لنا فكرة الكرم الاصيل الذي يتدم للضيف مهما كان شكله لا يفرق في تقديمه بين انسان وحيوان ..

وتلوح صورة الذئب عند كعب بن زهير ، وهي تحمـل الموروث الشعري لها ، فقد استضاف الشاعر الذئب اثناء رحلتـه ، وحاول ان يصور المكان بدقة حيث كان الشاعر يسمع فيه همهمة لا يتبين فيهـا المعاني ، ولا تتميز الاصوات ثم يستمر في الحديث الـذي يكشف عن حالة التفـرد التي كان عليهـا الذئب ، والاوصاف الدقيقة والالوان والاحوال ، وما يرجوه من الـزاد ، ويضيف اليها صورة الغراب ، وهي استطراد جديد[٥] . ولعل اضافة الغراب ، وما اعقب ذلك من ملامـح في توسيع افق الصورة ، والعناصـر الجديدة التي دخلتها هي التي حملت ابن قتيبة على اعتبار الشاعر من السباقين حتى ان بعض الشعراء قد اخذوا منـه ذلـك[٦] .

وتتوحد في اللوحتين صـورة الكرم الذي حـاول الشاعر ان يعبر عنه ، والصورة الانسانيـة التي داخلتهما وهما يقفان امـام حيوان لم يعـرف غير الصحراء ميدانا ، ولم يجد غير الهواجر ظلا وملاذا ، ولعل الصورة الكاملة التي رسمها الفرزدق للذئب في قصيدته[٧] :

واطلس عسّال وما كـان صاحبـا
دعـوت بنـاري موهنـا فأتانـي

---

٥ ـ كعب بن زهير . الديوان / ٤٦ ـ ٥٢ .
٦ ـ ابن قتيبة . الشعر والشعراء ١٤٦/١ .
٧ ـ الفرزدق : الديوان ٣٢٩/٢ .

فلمـا اتى قلت ادن دونـك انـنـي
وايـــاك فــي زادي لمشتركــان

فبت اسـوي الـزاد بيني وبينـه
علـى ضـوء نـار مـرة ودخـان

فقلـت لـه لمـا تكشـر ضاحكـا
وقائـم سيفي من يـدي بمكـان

تعش فـان واثقتنـي لا تخونـنـي
تكـن مثـل من يا ذئب يصطحبان

وانت امـرؤ يا ذئب والغدر كنتمـا
اخيـين كانـا ارضعـا بلبـان

ولـو غيرنـا نبهت تلتمس القـرى
اتــاك بسهـم او شبـاة سـنان

وكان رفيقي كـل رحل وان همـا
تعاطـى القنـا قوما همـا اخـوان

تعبر عن الامتداد الفني لهذه المحـاورات • وعلى الرغـم من ان مقدمة القصيدة قد اشارت الى ان الفـرزدق خرج في نفر من الكوفـة يريد يزيد بن المهلب ، فلما عرسوا من آخر الليـل عند الغريين على بعـير لهم مسلوخة كان اجتزرها ، ثم اعجله المسير ، فسار بها فجاء الذئب فحركها ، وهي مربوطة على بعير ، فذعرت الابل ، وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق . فأبصر الذئب ينهشها فقطع رجل الشاة ، فرمى بها الى الذئب ، فأخذها وتنحى ، ثم عـاد فقطع اليد فرمى بها اليه فلما اصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان •• اقول : على الرغم من هذه المقدمة التي قدم بها لهذه الحادثـة فانني اعتقـد ان الصورة تقليدية لموروث شعري قصصي ، سلكه الشعراء في بعض مسالكهـم واتجهـوه في

جوانب من مناهجهم ، تعبيرا عن مشاركتهم لهذا الموروث ، وتأثرهم بما يحمله من مشاعر التعاطف في مواقف الكرم او استجابتهم لدواعي النفس عندما تجد نفسها في موضع يستحق التعبير ، او التزامهم بحدود الاغراض والمواقف والابنية الفنية لبعض ما يريدون التعبير عنه • ويمكن تأكيد هذه الفكرة عند مراجعتنا لقصيدة الفرزدق الثانية التي ذكر فيها الذئب مرة اخرى فقال[٨] :

وليلة بتنا بالغريين ضافنا

على الزاد ممشوق الذراعين اطلس

ومن الغريب ان يقدم للقصيدتين بمضمون واحد ، وصياغة متقاربة •• وهذا يؤكد تعليلنا لما ذهبنا اليه من افتعال للحوادث[٩] ، ولعل تكرار امثال هذه القصائد وبالسرد القصصي التقليدي عند بقية الشعراء تحدد الصورة الفنية التي التزم بها الشعراء وعالجوا من خلالها الجوانب النفسية التي كانت تعتريهم[١٠] ، وتمسكوا بالاسلوب الذي اصبح متبعا في معالجة هذه الموضوعات ، لان معظم هذه المحاورات تدور في اطار واحد ، وتستخدم اسلوبا واحدا ، وتستقي حوارها من موضوع محدد ، ولا اغالي اذا قلت ان الافعال والصيغ والصور تكاد تكون متشابهة ،وقد تركت هذه المحاورات اثرها الواضح في الادب العربي ، وربما انتقلت هذه الصياغة الى محاورة حيوانات اخرى ، استمدت احداثها من معان وجد فيها الشعراء مجالا للتعبير عن دواخلهم النفسية ، او واقعهم الاجتماعي ، فأتخذوا منها طرقا للتعبير ، وفي محادثتها صورا من صور التعاطف الانساني ، وقد ظلت هذه المحاورات تحمل طابع السرد القصصي التقليدي ، وبقيت احداثها الداخلية مرتبطة بظاهرة الجوع

---

٨ ـ الفرزدق : الديوان ٣٨٧/١ .

٩ ـ ينظر : المعاني الكبير /٢٠٦ ، ٢٠٧ .

١٠ ـ الكميت : الديوان : ١٩٦/١ ، ٨٦/١ نقلا عن المعاني الكبير /٢٠٤ ، ٢٠٥ وينظر الديوان ٨٧/١ .

الصارخ ، والوحدة الكئيبة ، والظلام الغامر ، والتطلع الى ما تجود بـه اليد ، والمراقبة الشديدة ، والترصد الغادر ، والنهايـة التي تحقق الرضا الى الطرفين وقد ظلت ظاهـرة الحديث مـع الذئب مرتبطة بالجـوع والكـرم والتعاطف الوجداني والاحساس المتبادل والضيافة ولابد ـ وانا اتحدث عن هذا النوع من الحوار ـ ان اقف عند جانب أخر من جوانب الكرم كان يرتبط بسرد قصصي آخر ، ويأخذ شكلا قريبـا من الشكل الـذي كانت تأخذه هـذه المحاورات فالشعراء في حديثهم عـن الاضياف كانـوا يلتزمون نمطـا قصصيا واحدا ، ويستخدمون شكلا فنيا واحدا ، ويميلون الى استخـدام صيغ لفظية واحدة ، من اجل الوصول الى الغايـة التي تشرح الكيفية التي يتـم بموجبها الكرم . وهو سرد متناسق من حيث التوجيه ، يبرز فيه التمهيد والتقديم ثم ينتقل الى الوقوف عند احداث القصة وما يقدمه الضيف ، والطريقة التـي ينتهي بها ذبح الذبيحة وما يعقب ذلك من وقائع ..

ان هذا الجانب يشكل ظاهرة قصصية اخـرى سأقف عندها قليلا لأؤكد هذا الجانب مـن حيث البناء والتوافق ، وأؤكد ان هـذه الاساليب القصصية كانت تمثل رافدا ادبيا واضحا في الشعر العربي ..

وتأخذ مقدمات قصائـد الاضياف جانبا واضحا من الحوار القصصي ، وهو جانب يتمثل بالضيف الذي يلجئه الضلال عن الطريق ليلا ، وجهد المسير الى ان يتكلف نباح الكلب ، وحكايته ، لتجاوبه كـلاب الحي ، فيهتدي اليها بصياحها ، ويستعين على ضـره وحيرته ويؤكد الشاعر بان الليلـة مـن ليالي جمادى ، لانها من شهور البرد والمطـر ، كما يؤكد شدة ظلامهـا وامتداده ، وتكامله وتراكمـه ، ولا يبصـر الكلب من ظلمائهـا الطنبا[11] ، وان الصدى يستتيهـه الـى كل صـوت يدركـه ، ويستخدم الشعراء في هـذه الحالة الصور الآتيـة : ـ

---

١١ ـ من قصيدة لمرة بن محكان في حماسة ابي تمام (المرزوقي) ١٥٦٣/٤ .

ومستنبح بات الصدى يستتيهه ..[١٢]
ومستنبح قال الصدى مثل قوله ..[١٣]
ومستنبح يستكشط الريح ثوبه ..[١٤]
ومستنبح بعد الهدوء دعوته ..[١٥]
ومستنبح تهوي مساقط رأسه ..[١٦]
ومستنبح في لج ليل دعوته ..[١٧]
ومستنبح لهفان يضربه الندى ..[١٨]
ومستنبح بعد الهدوء دعوته ..[١٩]
ومستنبح والجون اهدب ماطر ..[٢٠]
ومستنبح طاوي المصير كأنما ..[٢١]

ان صيغة (ومستنبح) التي افتتح بها الشعراء مقطعاتهم في هذه النماذج وفي غيرها ، تؤكد التزام الشعراء بها ، والتحدث باطارها والحرص على الشكل الذي استخدمت فيه ، كما ان الصياغة التي اعقبت هذه العبارة ، كانت صياغة متقاربة من حيث الشكل ، ومتفقة من حيث الاداء والمعنى والدلالة ، وهذا يعني ان هيكلا من البناء الموحد في المعنى والاستخدام والتوافق كان يسود الجو الشعري ، ويفرض وجوده على الشاعر ، وهو يعالج موضوعا او غرضا . واذا حاولنا متابعة الظاهرة في هذه النماذج وفي غيرها وجدنا ان الصورة التي

١٢ ـ حماسة ابي تمام ٤/١٥٥٧ .
١٣ ـ ن . م . ١٥٨٠ .
١٤ ـ ن . م . ١٦٤٣ .
١٥ ـ ن . م . ١٦٤٣ .
١٦ ـ ن . م . ١٦٤٥ .
١٧ ـ ......
١٨ ـ ...... (ابقينا النص بفراغاته كما قدم في المسودة) .
١٩ ـ ......
٢٠ ـ ن . م . ٢٣٨ .
٢١ ـ ن . م . / ٢٤١ وينظر ٢٤٢ .

رسمت في النموذج الاول تظل صورة تهدي بقية النماذج ، وترشد الشعراء الى اقتفائها وتدلهم على المعالم المتبقية والتي تترك على وجوه قصائدهم معالم الالتزام الفني في هذا البناء ، لان الشعراء يحرصون على ان يكون الشطر الثاني وما بعده جوابا (ارب) ويتضمن اشارة الى ما يرشد هذا المستنبح اليهم ، ولعلهم وجدوا النار دليلا من ادلة الاهتداء ، بعد ان يوقدوها بغلائظ الحطب وكبارها ، فكان الجواب « حضأت له نارا لها حطب جزل »[٢٢] ، و « بشقراء مثل النجر ذاك وقودها »[٢٣] ، « حضأت له ناري فأبصر ضوءها »[٢٤] ، و « بمشبوبة في رأس صمد مقابل »[٢٥] ، و « رفعت له حمراء اخرق نورها »[٢٦] ، و « هدته لنا وردية اللون طيرت »[٢٧] ، و « دعوت بحمراء الفروع كأنها »[٢٨] ، و « رفعت له ناريَ فلما اهتدى بها »[٢٩] .

فالنار هنا اصبحت علامة من علامات الاهتداء ، واشارة من اشارات الشعراء اذا ارادوا ان يتحدثوا عن هذا الموضوع ، ومن الطريف هنا أن يلتزم الشعراء في هذا الموضوع ، وموضوع محاورة الذئب (البحر الطويل) لاسباب تتدخل احيانا في البحر على استيعاب الصورة ، واتساع مقاطعه النغمية لامتداد المعنى المطلوب[٣٠] ، كما انهم ظلوا حريصين عليه حتى في القصائد التي جردوا فيها النساء للومهم على الانفاق او الكرم او الجرأة والمغامرة او الموضوعات الاخرى التي استحدثوا فيها صيغ الحوار . ولعل ارجح الاسباب

---

٢٢ ــ الحماسة ١٥٦٩/٤ .
٢٣ ــ الحماسة ١٦٤٣/٤ .
٢٤ ــ الحماسة ١٦٤٦/٤ .
٢٥ ــ الحماسة ١٦٩٥/٤ .
٢٦ ــ الحماسة البصرية ٢٣٤/٢ .
٢٧ ــ الحماسة البصرية ٢٣٨/٢ .
٢٨ ــ الحماسة البصرية ٢٤٢/٢ .
٢٩ ــ الحماسة البصرية ٢٤٢/٢ .
٣٠ ــ ينظر كتاب المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها للدكتور عبدالطيب المجذوب ٣٩٢ وما بعدها .

وافضلها يعود الى حرصهم على ابقاء الصورة التقليدية خاضعة حتى في الوزن، وهذا جانب فني يؤكد متابعة الصورة والحرص على استيفاء معظم اجزائها واستكمال ابعادها الفنية اطارا وبناء وتركيبا .

وقد وجدت من المناسب ان اضيف الى تلك الدراسات موضوعا آخر هو شكوى السعاة الذين اثقلوا الناس بما فرضوه من الضرائب وشكوى الناس حين تحيق بهم سنوات الجدب وتنزل بهم اعوام القحط فيخف الزرع والضرع فلم يجد الشعراء امامهم غير طريق التعبير عن هذه الشكوى .. ان استقرائي لهذا البناء يأتي في سياق ابنية مختلفة استقرت عليها بعض الاغراض الشعرية والتزم بها الشعراء واخذوا على انفسهم السير بموجبها حتى اصبحت تقليدا يحتذى وبناء يقتدى .ويأتي حديث الراعي النميري في هذا السياق وهو يستوعب مضمون المعاني .

لقد اولى الشعراء حقوق الناس جانبا من قصائدهم ولم يتركوا فرصة الا عبروا عنها .فالراعي النميري استوعب مضمون المعاني التي كان يريد التعبير عنها استيعابا واعيا ، وحاول ان يدلل على ذلك من خلال المعاني التي حاول ان يوزعها في قصيدته اللامية ابتداء من المطلع ، وقد اخذت اشكال التعبير احوالا متناسقة مع طبيعة الغرض المقصود . وكثيرا ما كان الشاعر يرسم الصورة التي توحي بالاحساس ، وبلون القصيدة بما يعطي الدليل على وحدتها فكراً ومضمونا وتعبيرا ، وهو في هذه الحالة يختار المعاني المقصودة ، وينتقي الصور المعبرة ويربط بينهما ربطا محكما من حيث الاداء والتداخل ..

ان الاحساس بمصلحة القوم ، والالتزام بالدفاع عن قضاياهم وتنبيه الحكام الى ما تعانيه الغالبية العظمى من جور السعاة الذين اوكل اليهم امر جباية الضرائب كانت موضع اهتمام الشعراء .. وقد حاول الشاعر ان يضع المناسب من اجل الحقيقة التي كان يدافع عنها .

وهو كعادة الشعراء الاخرين الذين حاولوا ان يجسدوا صورة الحديث عن الشكوى من خلال التشخيص الفني او التجريد الذاتي الذي حاول الشعراء ادخاله في قصائدهم ليتخذوا منه سبيلا الى الحديث او مجالا للتعبير عن الهموم المتراكمة ، والاحاسيس الصادقة التي كانت تعتمل في النفس ، او الخصائص الذاتية التي تميزوا بها ، لقد اصبح المنهج واضحا عند كثير من الشعراء .. فالراعي يتحسس ظلم السعاة ، ويشعر بجورهم بعد ان كثرت همومه وهو يرى ظلمهم ، وهنا تجلت قدرته في وضع المطلع الذي اظهر فيه تقلبه على مضجعه ، واكد ارقه وطول هذا التقلب ليستطيع ان يدخل الى مرحلة التساؤل الذي تركه لخليدة التي بدأت تتساءل عن همه وارقه وطول حيرته .. وهي اشارات تطوي في ثناياها الحيرة التي كانت تنتابه وهو يرى جور العمال وظلم السعاة ، والوسيلة التي يمكن ان يعبر بها عن هذه الحيرة والاسلوب الذي يخاطب به الخليفة والاشكال التي يقدمها له لتكون حجته مقنعة ، واساسا لقبول الشكوى .. ان محاولة الشاعر في وضع هذا التساؤل في بداية القصيدة وعلى وفق المنهج التقليدي الذي يضع الحوار داخل القصيدة من اجل لاستفاضة في لحديث المطلوب وفسح المجال امام العرض الذي يريد ان يتقدم به ،والكشف عن الجانب الذاتي الذي يحرك الانسان من اجل الحقيقة ويدفعه من اجل لتعبير ويترك له مجال الحديث من خلال المخارج المقنعة ، والعلل المقبولة ، كل هذه المسائل هي التي حددت له هذا التساؤل وتركته امام الحقيقة التي يريد ان يتحدث عنها من اجل الهدف الاساس والغاية المتوخاة..

....

(*) ترك المرحوم مجالا ليستشهد بنص شعري الا انه لم يثبته فتركناه على حاله وسوف تشير الى هذه النصوص بخط مقطع .

من ولدي فقـد عقني والقصيدتـان في معنى واحـد ، وتجريـان في غرض راحلته ، وقد حاول ان يضفي عليها ما يجعلها قادرة على الوصول امينة في حمل الرسالة التي اضطلعت بها ، وآمن بحق هذه المجاميع التي اكتوت بقسوة الجور وعانت من ظلامة ولاة الامور .. وهـي وثيقـة لها اهميتها لما تضمنتـه من صراحة ، واحتوته من حرية رأي ، واكتسبته من صدق معالجـة ، ولـم يكن الراعي وحده صاحب هذه الوثيقة وانما سبقه آخـرون امثال يزيد بن الصعق الذي ارسل شكواه الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وهو يرسـم فيها جور القائمين على الاحكـام[٣١] وانس بن ابي اناس الـذي خاطب حارثة بن بدر الغداني[٣٢] وعبدالله بن همام السلولي الذي اكد ذلك في قصيدة مشهورة . حدد فيها اسماء الولاة الذين استغلوا مواقعهم ، والاعمال التي اقترفوها بشكل دقيق وقدمها الى ابن الزبير[٣٣] .. وبعد هذه القافلة من الشعراء يقدم الراعي وثيقته الجرئية ، ويحمل هموم بني نمير ، من خلال قصيدته هذه التي اكتسبت موقعها حتى قال عنها الراعي نفسه : من لم يرو لي هذه القصيدة وقصيدتي[٣٤]:

بـان الاحبة بالعهد الذي عهدوا

من ولـدي فقـد عقني والقصيدتان في معنى واحـد ، وتجريان فـي غرض واحد ، وان حرص الشاعر على الالتزام بهاتين القصدتين يشكل هدفا رئيساً في حياته . يضع الشاعر في مصاف اولئك الشعراء الذين نذروا نفوسهم من اجل امتهم ، وحققوا لها الحياة الكريمة ، وعبروا عن طموحها عندما تريد ان ترسم مستقبلها ، ووقفوا عند مصائبها عندما نزلت بهـا النوازل فكانـوا السنة صدق صريحة ، واوعية مشاعر امينة ..

---

٣١ ــ البلاذري . فتوح البلدان ٣٨٤ .
٣٢ ــ الجاحظ : الحيوان ١١٦/٣ .
٣٣ ــ ابن همام السلولي : الديوان / نشره الاستاذ حمد الجاسر .
٣٤ ــ البغدادي : الخزانة ٥٠٢/١ .

ان اطار القصيدة الواسع يحدد لنا كثيرا من الجوانب الانسانية التي عرف بها هذا الشاعر ويحدد كثيرا من الجوانب الاخلاقية التي اصبحت سمة من سماته ويحدد كثيرا من الجوانب الفكرية التي عبر من خلالها عن فلسفته في الحياة وعقيدته الحنيفية ، وايمانه بحق الدولة التي تؤمن للفرد العدالة وتدفع عنه المظالم ، وتنقذ بقيته من جور اولئك الذين ائتمنتهم الدولة على افرادها ..

ان الجانب الثاني من المسألة لابد ان ينظر اليه من خلال هذه القصيدة فالعصر عصر حرية افراد يستطيعون ان يقولوا بحق العمال والولاة ما يقولون وان الدولة قد منحتهم هذا الحق من اجل الحرية التي تمسكت بها جماهير ألامة ، وآمنت بضرورتها ، وان القصائد حملت هموم هذه الجماهير وهي ترى ترف الحكام والولاة وعمال الخراج ، وقد كان الشعراء صريحين مع المسؤلين مباشرة . يتحدثون معهم وجها لوجه ، ويحددون لهم لاشخاص والاسباب ، ويبينون المخالفات بوثائقها واسمائها وطرقها . وان هذا الجانب من الشعر لابد ان يشكل تيارا واضحا من التيارات الايجابية في حركة الشعر التي ازدهرت ..

والراعي في قصيدته (بان الاحبة بالعهد الذي عهدوا) التي مدح فيها عبدالملك بن مروان وشكا السعاة يمثل نموذجا آخر من نماذج المسألة التي حملها الشاعر وعبر عنها بأخلاص والتزم قضيتها بامانة ..

وقد حاول ان يفتتحها بثلاثين بيتا يتحدث فيها عن ناقته التي قطعت الفلاة ، وقد كان دقيقا في وصفها ، وفي متابعة سيرها ، وهي تشق الفيافي لتنتقل الشكوى . ان وقوف الشاعر عند هذه الناقة وتشبيهاته لها وهي ترع وتنتقل وتسلك المفازات ، والدقة المتناهية في كل شارة او وصف ، والتزام التحديد في الخصائص الفنية التي رسمها الشعراء من قبل وابداعه في تجديد بعضها من خلال احاديثه المتميزة عن الناقة .. ثم تطاول الليل عليه . وتقلبه من همه كما يتقلب المقرور ثم عودته الى الناقة التي ولع بوصفها ، وشغف بحبها تمثل النموذج المحبب ، والصورة المثلى ، والرؤية الواضحة التي عبر من خلالها عن كل الهموم ورسم في صورتها اصناف المشاعر ..

وتعود اليه خليدة والصور هنا تتكرر في تجسيد الشاعر لذاته في حديث خليدة ، محاولا ان يعبر عن الهم بعد ان وضع السؤال في عاتق هذه المرأة ؛ ليشرح ما في نفسه من حاجات ، ويعبر عما يكتنف قلبه من هموم ..

....

ان مفتاح الاستفسار الذي تضعه خليدة هو مفتاح الحديث الذي يريد ان يعبر عنه الشاعر وهو تجريد واضح وتجسيد لتساؤل مشروع درج عليه الشعراء فقلدوه ، فكان حوارا صريحا تناولوا فيه القضية الاساسية التي ارادوا التعبير عنها ، ثم تركوا لانفسهم مجال الحديث ، عن اولئك الذين ازروا باموال القوم وبدأوا باخذ الزكاة مضاعفة وقد عانى الفقير من ذلك معاناة صعبة لانه لايملك من اللبن الا قدر كفايته .. لقد حاول ان يعبر عن احوال قومه مخلصا ، وينقل احساسهم الى المسؤولين ملتزما ، ويرفع شكاواهم اليه صريحا وامينا ، وقد استجاب الخليفة لطلبه ، ولعل صورة الاباء والترفع والشرف تتجلى في الحوار الذي دار بين الشاعر والخليفة فعندما تال له عبدالملك ، فتزيد ماذا ؟ قال : ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم . فقال عبدالملك : هذا كثير ، قال : انت اكثر منه قال : فسلني حاجة تخصك ، قال : قد قضيت حاجتي : قال : سل حاجتك لنفسك . قال : ما كنت لافسد هذه المكرمة .(٣٥)

ان صورة الشاعر وهي تحمل النقل الامين لهموم الجماعة ، والاحوال الجائرة التي ترتكب باسم السلطان ، وتبصير اولي الامر بها لوضع حد لها ، وتخليص هذه الجموع مما تعانيه ، وانقاذها مما تتجرعه على ايديهم تمثل الريادة الحقة في اداء الرسالة ، والصيغة السليمة التي يجب ان يتمثل بها كل الشعراء الذين ترك لهم مجال التعبير ، وحملوا رسالة القلم ، واستوعبوا احساس المجاميع الكبيرة التي كانت تنظر اليهم باحترام ، وتسلم مقاليدها اليهم بثقة .

٣٥ ــ الاغاني ٢٠/١٧٢ (بولاق / ١٢٨٥) .

وكان الراعي من خلال هاتين القصيدتين صادقا مع نفسه لانه استطاع ان يحقق لها وظيفتها في العمل والاحساس ، وصادقا مع غيره لانه استوعب المسألة ، وادرك ابعادها ، وادى اماتتها من دون ان يبالي بما يترتب عليها ، وقد كان موفقاً في اختيار المعاني والتمهيد والانتقال ووضع الصور في المواضع المناسبة وهذا ما جعل هذه القصائد وغيرها صورة من صور الالتزام الحقيقي •

لقد حاول الشعراء الامويون ان يخلصوا النية في التعبير عن هموم الناس وهم يجدون في هذا الضرب الشعري مروءة الفوا خصائصها وشجاعة لم يتخلوا عنها وجرأة تعودوا على ممارستها يوثبهم حسّ قومي ويحملهم شعور ديني ويلزمهم وجدان قبلي ويبقى الصوت الانساني الذي ظل قيمة عليا والوفاء العربي مثالا لا يمكن التفريط به هو الهاجس الذي يحرك الشعراء ليبقى الالتزام عنوانا يدافعون عنه والدفاع عن الانسان نداء تستجيب له حواسهم والمشاركة الوجدانية لمعاناة الاخرين جزءاً من كيانهم واستكمالا لما اخذوا انفسهم به وهم يدركون ان هذه الشكوى هي الصوت الوجداني الذي لا يمكن التخلي عنه وان هذا البناء اصبح جزءاً من التكوين العام للقصيدة بعد ان اكتسب الهيكل العام بمفردات لزموا انفسهم باستعمالها وتسلسل توافقت فيه دلالات التعبير وهي تأخذ مداها النفسي من ابتداء بالمديح او استذكار بالسلف الصالح ودعاء لما يدخل الرضا الى قلب الخليفة ويرفق عاطفته وينزله المنزلة التي توجب عليه جباية الناس وحفظ ارواحهم وتهيئة ارزاقهم وابعاد شبح الموت عنهم بعد ان تعرضوا لظلم فادح وجوع مقيت وهزال مرير •

لقد كان الجدب هاجسا يلح لانه لم يترك للناس ما يرعى وكان الفقر وجها لهذا الهاجس تتجلى صورته بما تصاب به الحال الكريمة وهي انضاء هزلى يصعب عليها السير بعد ان اسودت حلمات ضروعها • ويتمنى ان تنجلي غمة هؤلاء القوم وتذهب الشدائد التي احاقت بهم على يدي خير البرية ••

•••••••••••••••••••••

ويجعل الشعراء هؤلاء من طلاب الحاجات الذين يشق عليهم الدرب بعد ان لم تترك لهم الايام التي عرقت اثيابها السقام المصعد .

وفي قصيدة اخرى يأتي على نياق ضوامر تطلب حاجات بطريق صعب يقطعن ليلا حذاريا لم تترك سنوات القحط لهذه النياق سناما ولا طعاما لليتامى الذين يهتدون الى ظل قدر مهتدين بنار احد الاضيف ..

وتصل الشكوى الى احد الاستغاثة حين يكثر الشكاة وترتفع الصيحات وهي تتضرع الى الله ان يفرج عنهم .

....

وكان نداء الاستغاثة الى امير المؤمنين الذي احتجزته صحار تتمطى بقطعها ظهائر المهاري بعد ان احب ماءها واستسلم القطا وهو المعروف باهتدائه الى الماء للعطش لبعد الماء عنه وقد تاه الدليل .. اما المنادون الذين تكالبت عليهم الذئاب بعد ان قذف بهم الجدب فكانوا يذودون الذئاب عن عيالهم وتتجلى براعة الشاعر حين يصف هذا المنادي بما يعجز عنه التصوير وتتجسد فيه حالة الهزال فاذا بالطائر يجد لحما على عظمه لما اعتراه من هزال وهي صورة جديدة استطاع الشاعر ان يحرك فيها وجدانه ويطلق لخياله عنان البعد الذي توجيه له حالة الفقر وتخلفه دواعي الفاقة وهؤلاء المنادون رأوا الشاعر فارتفعت اصواتهم وهو يسوق مطيته باصوات جائعة واجساد نحيفة .. طالبين اغاثته وتبليغ دعوتهم الى خير الناس بعد ان عزموا وجهته وايقنوا انه سيصل اليه ووجد الشاعر نفسه ملزما ان يبلغ الدعوة ويستجيب لنداء الموت الذي طوى هؤلاء اذا بلغ الله ناقته الخليفة وانه سيخبره بما سمع ورأى ويبلغه بصور الذئب الذي كان يزورهم كل عشية والكيفية التي كان يراوح بهزلهم وهي الصورة التي اعتاد الشعراء على ذكرها في هذه الحالة ليأخذ

من النياق التي اهلكها الجدب لانهم كانوا يجعلونها حولهم ليدفعوا بها الذئاب عن الابل التي لاتزال حية وهنا يبرز الشاعر لوحة اخرى وكأنه يستدرج الجوع الذي يتسلل الى كل مفصل من مفاصل حياتهم ويواكب غوائله وهي تنحت في كل جسم لايفرق بين انسان او حيوان ولم يترك لهم فرصة الا اهتبلها ليبلغ كل عضو من الاعضاء ..

....

لقد كان صور الفرزدق وهو يتحدث عن هذا الجانب وينتزع الصور الحية من واقع الحياة المر ويكشف عن الجوانب المؤلمة التي بدأت تأكل الناس وتوغل في ايذائهم وهم لايملكون ما يدفعون به غائلة الجوع ومخمصة الفاقة وقربة العدم .. كانت صورة حية تتحدث بلسان اصحابها ، مجسدة تدل على العمق الذي تجلّى في شاعرية الشاعر وهو يوغل في اعماق هذا الانسان الذي لم يبق امامه وهو يواجه الموت الا هذا الصوت ولم ير الا ذلك ..

واذا كان الراعي والفرزدق قد خصوا الناس بهذه الصور الشعرية وافرغوا جزءاً من حياتهم لاولئك الذين استبد بهم الجوع فوجدوا في الموت نجلة وفي الحشر راحة فان جريرا قد اهابت به مروءته وانتفضت في اعماقه عزة قومه فكانت صرخة الى سليمان بن عبدالملك وقد قدم لها باربعة عشر بيتا اوحى فيها لوم العاذلة بعد ان تلى الرحيل الرواحل وقد اجهدها السير حتى علت كواهلها على اسنامها وحشد من مفردات (النحول) والرحيل واللوم والعاذلة والاخلاق والافناء وضمور الانسجة وبلي الاطلال والبعاد والفراق واليأس ما يوحي بما يعانيه اولئك الذين يتحدث عنهم ليصل الى سليمان المبارك الذي سعى اليه ليجبر المظلومين وما الشاعر الا رسول عهدت اليه امانة واودعت عنده ولا يجيد رسالة فأوصلها الى العادل الذي يوبع لثبات عهده واصبح في

ميزانية لاتميل وبعد ان يهيء هذا التقديم ، وينقل اليه الرسالة التي يصف فيها حالة القوم بعد ان اضناهم الجوع واضربهم الجدب فأمسوا واكثرهم كلول •• وقد عزت بهم الخيلة فاتجهوا وهم بين ارامل ويتامى اكثر زادهن سيور الجلد وعصب المقيتة المشوى في الملة وقد اسودت وجوههن كناية عن الجوع وبين متعب اقعده الجهد واسير ناءت به القيود ونساء اودعن السجن ••

•••••••••••••••••••

وفي قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز ••يبدؤها بلوم امامة وجهد الرواحل ثم يبتهل الى الله لاصلاح قوام الدين على يد خليفة الله الذي يرمي عند النوائب ويغاث به اذا المت نازلة او احاطت ازمة او وقعت بلوى •• ثم يذكر الارامل الشعث واليتيم الضعيف وهم يدعون دعوة ملهوفين بصراخ المخبولين ممن تأملوا في الخليفة كفاية لفقد الوالد ورجاء المطر وجاء عظم هيض منكسر • وقد وضعوا فيه ما ظلوا يحلمون به ••

•••••••••••••••••••

وفي قصيدة اخرى يمدح الحجاج ويشكو اليه زمان المحل وشرب الماء في زمن الجليد وانقطاع الدر والعيال شعاب والوجوه السفع التي احالها القحط الى محاجر سود ••

•••••••••••••••••••

لقد اكدت النماذج التي وقفنا عليها بناء قصيدة الشكوى وهي تبدأ بالمديح عند جرير والفرزدق وحديث الناقة المتعبة والمجهدة التي تصل الى خير الناس لتنقل اليه احوال اليتامى والارامل الذين اتعبهم القحط واجهدهم المحل وأضرت بهم جباية السعاة وكأن الشعراء وجدوا في مقدمة المديح الذي يصلون من

خلاله الى صفات العدل التي عرف بها الخليفة وتعلق الناس به وهو المنقذ مما آلت اليه الاحوال سببا من اسباب الاستغاثة وحيلا يتعلقون به ليلتفت الى هؤلاء الذين جسد الشعراء احوالهم وعبروا عن واقعهم واستوحوا دواعي المجاعة ما يكفى ليكونوا موضع رحمة الخليفة بعد ان جعلهم الله سبحانه وتعالى من رغبته ولا يمكن ان يكونوا بعيدين عن حمايته وعنايته وكانت القصائد توحي منذ البداية بحالة التعب والنحول والهزال والجهد وكأنهم ارادوا ان يمهدوا للموضوع بما يجعله مقبولا وقريبا من الحالة المطلوبة وفي هذا التمهيد تستكمل ابعاد الصورة النفسية التي تجعل من الشاعر قادرا على ايصالها وهي تتجسد اداء وتتضح تأثيرا وتتجلى تعبيرا •• واذا حاول الشعراء ان يختزلوا هذا البناء فان الجو الواقعي الذي كانت تدور الاحداث فيه هو الذي يحدد المدى الشعري والتناول الموضوعي ومن هنا كانت القصائد تأخذ مديات مختلفة على وفق ما كان يقتضيه واقع الحال ••



رحلة ابن بطوطة
« دراسة في الجغرافيا الاقليمية »

الاستاذ الدكتور علي محمد المياح
عضو المجمع العلمي

المقدمة

ذكر محمد بن محمد بن جزي الكلبي في مقدمة تفاصيل اسم ابن بطوطة ونبذة عن حياته قائلاً : (هو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة ، المعروف بالبلاد الشرقية بشمس الدين ، وهو الذي طاف الأرض معتبراً ، وطوى الأمصار مختبراً ، وباحث فرق الأمم ، وسبر سيَرِ العرب والمعجم ٠[1] ولد ابن بطوطة في طنجة في يوم الأثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة (٧٠٣هـ) وتوفي سنة (٧٧٠هـ) وقيل سنة (٧٧٩هـ) ٠[2] وفيها درس العلوم الشرعية على ماعرف من أسرته من اهتمام بها دراسة وافية حتى جعله الحجاج المغاربة رفاقه في السفر وهم في الطريق الى مصر قاضياً لهم ٠ وكان ابن بطوطة ينوي اداء فريضة الحج فحسب ٠ وهو يتحدث عن ذلك قائلاً :

(كان خروجي منطنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، منفرداً عن رفيق آنس بصحبته ، وركب أكون في جملته ، لباعث على النفس شديد العزائم ، وسوق الى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم ٠ فجزمت أمري على هجر الأحباب

---

(١) رحلة بن بطوطة ، دار التراث ، بيروت سنة ١٩٦٨ م ص٥ ٠
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠ ٠

من الاناث والذكور ، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور . وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصباً ، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا ، وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة).[٣]

ولكنه لم يلق عصا الترحال ويستقر به المقام في بلده ثانية الا بعد أن أمضى مايزيد على عشرين سنة ، قضاها متنقلاً في مختلف بلاد العالم قاطعاً حوالي مائة وخمسين وسبعين الف ميل .[٤] فارتحل براً الى بلاد العرب وأواسط آسيا والهند والصين ، وركب البحر الى جزر الهند الشرقية والمالدين (ذيبة المهل) وظفار وجنوب الجزيرة العربية . ولكنه ما كاد يستقر به الحال في بلده حتى عاودة الحنين الى السفر فزار الاندلس والسودان .

وعاش ابن بطوطة في عصر انقسمت فيه الدولة العربية الاسلامية الى ممالك ودويلات بعد انحلال الخلافة العباسية واجتياح المغول للمشرق وفي جملته العراق . وكانت القاهرة ودمشق تحت حكم المماليك وتخضع بلاد المغرب لحكم المرينيين ، منهم السلطان ابو عنان المريني . أما مناطق الشرق البعيد فكان يتولى شؤونها حاكم أو ملك من أهلها . ففي الهند مثلا يحكم الملك (فيروز جوه) الذي استعمل ابن بطوطة في خطة القضاء . ولكن رغم ذلك بقي الاسلام سائداً وظلت اللغة العربية شائعة في أرجاء هذه البلاد . وبقي العلم سائراً في ظل الاسلام والعربية . لذا تميز القرن الثامن للهجرة بوجود كثير من اعلام الحفاظ الذين اعتنوا بحفظ الحديث وتبحروا في دراساته المتعددة الواسعة الى جانب تمكنهم من علوم مختلفة امثال ابن كثير ومؤلفاته العلمية في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والتراجم .[٥]

---

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٤) اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، القسم الاول ، ص ٤٢١ .

(٥) مسعود الرحمن خان الندوي ، ابن كثير ، حياته ومؤلفاته ، مطبعة عمدم، عليكره ، ١٩٧٩ ، ط١ ، ص٩ .

وازدادت العناية بالتأليف في هـذا العصر وظهر سيل من المؤلفات العلمية الاسلامية أغلبها تتصـل بالعلوم الدينيـة • وبذلك عوض علمـاء هذه العصر الثقافة العربية الاسلامية خير عوض عما أبيد في نكبة بغداد على يد التتار ، وفي الشام على ايدي التتار والافرنج ، وفي الاندلس على أيدي الافرنج • وزخرت المكتبة العربية الاسلامية بثمار علمية وفكرية في دراسات وابحاث متنوعة •(٦)

الا ان تقدم الحضارة العربية الاسلامية لم يكن طليقاً فقـد حالت دون ذلك وقيدته عوامل معينة • ويصدق هنا ما أورده الشيخ أبو زهرة عـن الحالة العلمية التي اتسم بها القرن السادس والسابع والثامن للهجرة حيث يقـول : (واذا كانت القرون الثلاثة قد امتازت بشيء ، فقد امتازت بكثرة العلم لابعمـق الفكر • فقد كانت المعلومات كثيرة ، وتحصيلها كـان بقدر عظيـم ، وعكوف الناس عليها كان كبيراً • ولكن التفكير المطلق في مصادرها ومواردها المقايسـة بين صحيح الآراء وسقيمها مقايسة حرة نزيهة لم تكن بقـدر يتناسب مع تلك الثروة المثرية التي توارثتها الاجيال) •(٧)

ولعل هذا حمل احد الباحثين الى القول بان الحضارة العربيـة تبدو في صفحات ابن بطوطة قليلـة الحركـة والنشاط والتوثب •(٨) وهذا قـول له مآخذه • وازدهر عصر ابـن بطوطة بكثـرة الموسوعات واكبرهـا موسوعتا النويري والعمري • وتحتل الجغرافية مكانـة مرموقة فيهما • ويتصـل نمط الموسوعات الى كتاب (مباهج الفكر ومناهج العبر) لمؤلفه محمد بن ابراهيم الوطواط المتوفي سنة ٧١٨ هـ • ويعد شـهاب الدين احمـد بن عبد الوهاب

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩ ــ ١٠ •

(٧) محمد ابو زهرة ، ابن تيمية ، حياتـه وعصره وارائه وفقه ، دار الفكـر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٤ ، ص ١٥٤

(٨) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، دار الكتاب اللبنانـي ــ دار الكتاب المصري للطباعة والنشر ، بيروت ــ القاهرة ، ، ١٩٦٢ ، ص ١٩٠ •

البكري النويري (ت / ٧٣٢هـ) خير ممثل للوسط الذي وضعت فيه الموسوعات . ويتناول مصنفه الاساسي الكبير المعنون (نهاية الأرب في فنون الادب) معلومات جغرافية واسعة تشمل الظواهر الجوية والفصول وأبعاد الأرض والاقاليم السبعة وتضاريس سطح الأرض من جبال وبحار وبحيرات وأنهار وجزر فضلاً عن الظواهر البشرية المصلة بالمدن وسكانها وآثار المنازل والمحال .(٩)

ويعاصر النويري شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل‌الله العمري الدمشقي المتوفي سنة ٧٤٩هـ . وتقتصر مادة موسوعته (مالك الابصار في ممالك الامصار) على الجغرافيا والتاريخ وحدهما . ويبرز بين مؤلفي هذا القرن شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي الذي ولد عام ٧٥٦هـ وتوفي عام ٨٢١هـ . أي انه عاش بعد وفاة ابن بطوطة حوالي نصف قرن . وقد وضع كتابه في الاصل لكتاب الدواوين وأطلق عليه اسم (صبح الاعشى في صناعة الانشا) . ويذكر فيه معلومات جغرافية متنوعة مبتدئاً بوصف مفصل لمصر والشام ، ويتحدث عن اليمن والساحل الشرقي شبه الجزيرة العربية بما في ذلك عمان . وينتقل الى وصف الهند ، يعقبه وصف منظم للبلاد الواقعة الى غرب مصر وما يليها من الجنوب والشمال . وتحتل معلوماته الجغرافية عن مصر والشام أهمية خاصة لانه ينقل إنطباعاً مباشراً ويذكر معلومات جمعها عن دراسة ميدانية ومعاينة شخصية . ولكنه ينقل بعض مادته الجغرافية من ابن حوقل والمسعودي والبكر والادريسي والبيروني وغيرهم .(١٠)

ومن هؤلاء كمال الدين بن عبدالرزاق بن أحمد الشيباني المشهور بأبن الفوطي . ولد ببغداد في االسابع عشر من المحرم سنة (٦٤٢هـ) وتوفي

---

(٩) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، القسم الاول ، ص٤٠٨ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص٤١٦ .

سنة (٧٢٣هـ) .[١١] وكـان وراقاً كثير التنقـل والاسفار في ممالك المغول وخصوصاً بين العراق وأذربيجان أو بين أذربيجان وآران (قفقاسيا) وما الى ذلك . وانه لايجاري في الاطلاع على شؤون ممالك المغول من أقاصي الصين وبلاد الترك الى بلاد الروم وفارس والهند سياسياً وجغرافياً وثقافياً .[١٢]

ويتفرد ابن بطوطة بين هؤلاء بدراسة جغرافية عملية عالمية اعتمد فيها على المشاهدة والمعاينة الشخصية ، ولم ينقل عن كتب غيره ممن سبقوه أو عاصروه . فقد كان رحالـة نشيط العقل دقيـق الوصف ، حتى ان بعض ما ذكـره عن (سري لانكا) أصبح مادة اعتمدتها الدولـة دعايـة لمرافقتها السياحية الحالية . وقد اعتبر الجغرافيون العرب المشاهدة والمعاينة الشخصية وسيلة مهمـة جداً من وسائل جمع المعلومات ، ومرحلة دراسية لاتتم للباحث أدوات بحثه بدونها . فلا غرو أن عاب المقدسي على بعض من سبقوه افتقارهم الى الدراسة الميدانيـة والمشاهدة العملية . فقال عن أبي عبدالله الجيهاني (انه صاحب فلسفة ونجوم وهيأة ، أقتصر على سؤل الغرباء عن الممالك ودخلها وكيف المسالك اليها).[١٣] ومثل هذا النقص ذكره عند أبي زيـد البلخي فقال عنـه (وما دوّخ البلدان ولا وطىء الاعمال).[*]

وطبق هـذا النهج العلمي القائـم على المشاهدة والمعرفة الشخصية ابن حوقل في وضع كتابه المعنون (صورة الأرض) حيث يقـول : (واعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ماسبق به القـدر ، الى أن سلكت وجه

(١١) مصطفى جـواد ، ابن الفوطي ، مجلة المجمـع العلمي العراقي ، بغـداد ، المجلد التاسع ، سنة ١٩٦٢ ، ص٤٣ .

(١٢) محمـد رضا الشبيبي ، مـؤرخ العراق ابن الفوطـي ، مطبعة التفيض ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ج١ ، ص٥٠٤ .

(١٣) المقدسي (ت/٣٩٠ هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة ، بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص٣-٤ .

(*) المصدر نفسه ، ص٤ .

الأرض بأجمعه في طولها وقطعت وتر الشمس على ظهرها) .[١٤] وهكذا يصبح ابن بطوطة ، وفقاً لهذا المعيار ، في عداد الجغرافيين شاء أم أبى . وان ماكتبه ينفرد بمعلومات جغرافية تضعه في مكان خاص به وتميزه عن غيره . إن معرفة كل هذا والاحاطة به يقتضيان الوقوف على فحوى هذه الرحلة وقوفاً يفي بغرض البحث .

مضمون الرحلة :

تدارس الباحثون مضمون رحلة ابن بطوطة واستخلصوا منها معارف توزعت مادتها على مختلف حقول العلم والمعرفة . فقد وجد فيها اللغوي ألفاظاً لم يرد كثير منها في المعاجم العربية ذكر ، وما ورد منها فيها جاء بمعنى غير الذي عناه ابن بطوطة [١٥] وهي عند بعض المؤرخين سفر لتاريخ إجتماعي سجله المسلمون في عصره .[١٦] ومما يجدر قوله ان ابن بطوطة قد اعتبر هذا التاريخ كلا متكاملا وما يظهر من تباين في بعض جوانب الحياة من مكان لاخر يمكن أن نستشفه من الاثار القوية التي تتركها العادات والعناصر الحضارية المحلية المتأصلة في المجتمع . والواقع ان هذه الحقيقة تدفع للقول بأن الباحث في علم الانسان ، ولاسيما ذلك الذي يهتم بالجانب الحضاري ، Cultural Anthopology يجد بغيته في مضامين هذه الرحلة . فان شيخ الرحالين يسهب في ذكر عادات الناس وتقاليدهم ولباسهم

---

(١٤) ابن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجري) صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص١٠ .

(١٥) سليم النعيمي ، الفاظ من رحلة ابن بطوطة ، مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد ، المجلد الرابع والعشرين ، ١٩٧٤ ، ص ١٩ ــ ٥٠ ، المجلد الخامس والعشرين ، ص ٣ ــ ٤٨ ، المجلد السادس والعشرين ، ١٩٧٥ ، ص٣٣ ــ ٧٠ .

(١٦) نقولا زيادة ، الجغرافيا والرحلات عند العرب ، مصدر سابق ، ص١٦٠ .

ومآكلهم وشربتهم • ولايترك مظاهر الفرح في اعرسهم والاتـراح في جنائزهم الا ذكرها وحركـة تنقلهـم • فهو يذكر لقـاءه مع محمد بن عبدالله الدوري التكريتي في الهند مشيراً الى استمرار ترابط ديار الدولة العربية الاسلاميـة رغم انقسامها وتعدد حكامها وملوكهـا .• وهنا سجل لانجد بين أيدينا اليوم ما يضاهيه • فكتاب «روث بنيدكت» الذي ذاع صيته وتكررت طبعاته يقتصر على ذكر عادات وتقاليد جماعات صغيرة دفعها القهر والتسلط الى العزلة مثل الزوني Zuni من الهنـود الحمـر في صحـراء «نيومكسيكو» بالولايات المتحدة ، وامثالهـم من بنـي جلدتهـم في «فانكوفر» بكندا ، وجماعـة الدوبس Dobus في جزر ميلانيزيا بالمحيط الهادي [١٧]• وكتاب «سالـي كاريجار» المعنون (ضوء القمر في منتصف النهار) الذي قصرته علـى تتبـع مظاهر الحياة عند الاسكيمو في الاسكا • [١٨] وعلى غـرار ذلك رحلة « ڤان دَرْپوست » الى صحراء كلهاري في غرب افريقيا متتبعاً حيـاة جماعة « البوشمن » الذين جاءوا الى هذه الارض المجدبة فراراً من طغيان الاوربيين في الجنوب وسكان الغابات والهضاب في الشمال •[١٩] وليس الغرض هنا سرد ماكتب في هذا الموضوع وانما موازنة مضمون رحلة ابن بطوطة ، على قدمها ، مع نظيراتها في يومنا هذا • فرحلة ابن بطوطة تعكس صورة مشرقة لمجتمع لـه تقاليد وعادات راسخة تنتشر فيـه مؤسسات العلـم والمعرفة وتحكمه قواعد مقننة في تصريف أمور الادارة وشؤون المال • وهو من خلال تنوّعها يحاول ان

---

(١٧)
Ruth Benedict, patterns of Culture, New York, Penguin Books, 1934.

(١٨)
Sally Carrighar, Moonlight At Midday, Penguin Books, 1958.

(١٩)
Laurens Van der Post, The Lost World of The Kalahari, penguin Books, 1968.

يعرض أصل تكاملها على اساس من الدين الاسلامي واللغة العربية • في حين اقتصرت دراسات الآخرين ورحلاتهم على جماعات بدائية مقهورة منعزلة ترى الحياة في ضوء صراعها الشخصي مع بيئة قاسية ، تخاف الطبيعة وتشك في من يجاورها •

ويبدو من سياق الرحلة ان ابن بطوطة كان عظيم الاهتمام بالناس قليل الحفاوة بالأرض والمدن •[٢٠] ولكنه اذا ذكر الأرض أبرز معالمها وصفتها العامة • فيقول في وصف الطريق من بدر الى مكة : (ورحلنا من بدر الى الصحراء المعروفة بقاع البزاء ، وفي منتهاها وادي رابغ يتكون فيه بالمطر غدران يبقى بها الماء زماناً طويلاً ••) •[٢١]

ويذكر ان وادي مُحسِّر هو الحد بين مزدلفة ومنى • ولعرفة ثلاثة اسماء وهي : عرفة وجمع والمشعر الحرام •[٢٢] ويذكر ابن جُبَير° ان مزدلفة بين منى وعرفات : من منى اليها ما من مكة الى منى ، وذلك نحو خمسة أميال . ومنها الى عرفات مثل ذلك أو أشف قليلاً وتسمى المشعر الحرام ، وتسمى جميعاً ، فلها ثلاثة اسماء .وقبلها بنحو الميل وادي محسر ، وجرت العادة بالهرولة فيه ، وهو الحد بين مزدلفة منى ، لأنه معترض بينهما •[٢٣] ومن هنا يبدو واضحاً ان ابن بطوطة كتب ما شاهده ولم ينقل عن أحد سبقه • ويذكر وادي العروس قائلا : (فتزودنا منه بالماء من حسيات يحفرون عليها الأرض فينبطون ماءً عذباً معنياً) .•[٢٤] والحسي هو السهل من الأرض يستنقع فيه الماء • ويذكر ابن جبير هذا

---

(٢٠) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، مصدر سابق ، ص١٩٠ .

(٢١) رحلة ابن بطوطة ، ص١٢٣ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص١٦٤ .

(٢٣) ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير (ت / ٦١٤هـ) ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ــ ص١٢٩ .

(٢٤) ابن بطوطة ، ص١٦٩ .

الوادي الذي يقع على طريق المدينة المنورة والعراق قائلا : (فنزلنا يوم الأثنين ، ثالث يوم رحلينا المذكور ، بوادي العروس ، فتزود الناس منها الماء يحفرون عليه في الأرض بئراً فينبع منها ماء عذب معين يروي الأمةالتي لايحصى لها عدد ..) .[٢٥] ويذكر ابن بطوطة سميرة ، وهي أرض غائرة في بسيط يشبه حصن مسكون وماؤها كثير في آبار الا انه زعاق . ويأتي عرب تلك الأرض بالغنم والسمن واللبن فيبيعون ذلك من الحجاج بالثياب الخام ولايبيعون بسوى ذلك .[٢٦] ولاتختلف تفاصيل ابن جبير عما سلف ذكره حيث يقول : (سميرة ، وهي موضع معمور ، وفي بسيطها شبه حصن يطيف به خلق كبير ، مسكون . والماء فيه آبار كثيرة الا انها زعاق ومستنقعات وبرك . وتبايع العرب فيها مع الحاج فيما أخرجوه من لحم وسمن ولبن) .[٢٧]

وقد يصف ابن بطوطة خصائص المدن وترتيب خططها فيتحدث عن مدينة حلب قائلاً : (وهي من أعز البلاد التي لانظير لها في حسن الوضع واتقان الترتيب ، واتساع الاسواق ، وانتظام بعضها ببعض . واسواقها مسقفة بالخشب ، فاهلها دائماً في ظل ممدود ، وقيساريتها لا تماثل حسناً وكبراً ، وهي تحيط بمسجدها ... أما خارج المدينة فهو بسيط أفيح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الاعناب منتظمة به ، والبساتين على شاطىء نهرها ، وهو الذي يمرّ بحماة ، ويسمى العاصي ، وقيل : انه سمي بذلك لانه يخيل الناظره ان جريانه من اسفل الى علو) .[٢٨]

وهكذا ينتقل ابن بطوطة من وصف الأرض الى الحديث عن معالم المدن ، فيذكر تخطيط مدينة حلب فاذا به لايخرج عن التخطيط العربي

(٢٥) ابن جبير ، ص١٤٩ .
(٢٦) ابن بطوطة ، ص ١٦٩ .
(٢٧) ابن جبير ، ص ١٥٠ .
(٢٨) ابن بطوطة ، ص ٦٦ .

الاسلامي المألوف حيث يحتل المسجد موقعاً متوسطاً والسوق يجاوره • فمما لاسك فيه ان سعة اسواق المدينة وحسن نظامها واتساقها يعكس إزدهار نشاطها التجاري • ولا يغفل ابن بطوطة أن يشير الى سهلها المجاور ونوع الزراعة السائدة فيه • فهي زراعة كثيفة تحتل حدائق الكروم وبساتين الزيتون أجود الأراضي لصغر مساحة السهل وارتفاع كلفة الري وقلة دخل محاصيل الحبوب إن زرعت • ثم ينل الى ذكر نهر العاصي ويشرح سر تسميته مقدماً لفظاً عربياً لنوع من تسميات الانهار لم يتفق على ايجاد ما يقابل اللفظ الانجليزي anticlinal river وقد أطلقت على هذا النهر عدة تسميات منها النهر المقلوب لانه يجري من الجنوب الى الشمال خلافاً لبقية أنهار بلاد الشام التي تجري من الشمال الى الجنوب • وقد أطلق الشاعر العربي ابو العلاء المعري عليه اسم نهر الميماس والنهر الكبير •

وعلى هذا النحو يصف ابن بطوطة قيسارية الموصل بأنها مليحة لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين وبيوت بعضها فوق بعض •.(٢٩)

هذه الصور الاقليمية المتنوعة تسبغ على مضمون رحلة ابن بطوطة سمة الدراسة الجغرافية ، لان هذا الحقل من حقول المعرفة يعنى بدراسة صور التباين الاقليمي وتحليل عوامل هذا التباين • وهكذا يحذو ابن بطوطة حذو الباحث الجغرافي في منهجه وجوهر مادته ولذلك فان مضمون هذه الرحلة يتيح للباحث الجغرافي ان يتقصى صور التنوع الجغرافي التي يزخر بها هذا المضمون ويوضح مقوماتها الاقليمية • وهذا أمر سيرد ذكره في مضامين هذه الدراسة •

(٢٩) المصدر نفسه ٢٢٨ •

الاوضاع الادارية العامة

يكشف مضمون رحلة ابن بطوطة عن غياب سلطة مركزية تتولى شؤون الدولة العربية الاسلامية وترعى حكمها كما كانت عليه الحال في القرون السابقة • فقد تبدل الحال في القرن الثامن الهجري واصبحت الدولة مقسمة الى أقاليم ينهض بشؤونها ملك أو سلطان يدين له بالولاء عدد من الحكام يبعث اليه كل واحد منهم هدية سنوية والا عزله • ولا يتحدث ابن بطوطة عن شؤون هذه الاقاليم إلالماماً حيث ينصب جل حديثه عن حكام ولاياتها واوضاعهم • وتختلف تسميات الحاكمين في هذه الاقاليم فهو (القان) في الصين ، و (السلطان) في الهند يتبعه ملوك وهو (الملك) في اليمن يتبعه سلاطين • ويظهر التباين الاداري جلياً من مكان لآخر تبعاً لاختلاف طريقة الحكم وسلوك الحاكمين • والواقع ان كثرة صورة التنوع الاداري ترتبط بظروف إقليمية جغرافية محددة • وتزداد هذه المراكز عدداً كلما ازدادت وعورة الارض واسبغت على بعض المناطق منعة وحصانة بحيث يسهل على قلة من الناس الدفاع عنها والاستقلال بحكمها ، وان بقي حاكمها يدين بشيء من الولاء لملك البلاد او سلطانها • وينقل ابن بطوطة احياناً واقع بعض المناطق وظروفها الجغرافية فيتحدث عن ظفار قائلاً (••• هي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ••• وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء ، وبينها وبين حضرموت ستة عشر يوماً وبينها وبين عمان عشرون يوماً ، ومدينة ظفار في صحراء منقطعة لاقرية بها ولا عمالة لها) •[٣٠] ومثل هذه الظروف الجغرافية تفرض شيئاً من العزلة والمنعة الطبيعية والابتعاد الاداري ، ومثل هذه الحال تتكرر في بلاد الروم (هضبة الاناضول وماجاورها) وان اختلفت مقومات البيئة هنا إذ ينقل ابن بطوطة أخباراً عن حكام (مغنيسية) و(برغمة)و (بلى كسرى) و (برصا) و (كردي بولي) و (قصطمونية) و (أنطاليا) • ويتحدث

---

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ •

ياقوت عن انطاليا قائلا : (بلد كبير من مشاهير بلاد الروم ... حصن للروم على شط البحر منيع واسع الرستاق كثير الأهل ثم تنتهي الى خليج قسطنينة) .[٣١] وقد تحصل الجزر علي شيء من الحصانة والمناعة والعزلة مما يتيح المجال لاهلها إدارة شؤونهم بانفسهم . ومثال ذلك جزر ذيبة المهل (المالديف) التي يتكون من نحو الفي جزيرة تنتشر في المحيط الهندي غرب الطرف الجنوبي من سواحل الهند . وهكذا عملت اوضاع الاقاليم على تعدد حكامها . فظفار وعمان عبارة عن مجموعة واحات تحيط بها صحراء منقطعة لايسهل الوصول اليها الا باعداد قليلة . ومثلها أحواض الاناضول وجبالها الوعرة . كما أتاحت ظروف ذيبة المهل مجالا جغرافيا منعزلا تقريباً حتى يومنا هذا . وفي جميع هذه الاحوال لايمتد نفوذ الحكام بعيداً عن اقليم الولاية بحيث ان مجال حكمهم يمثل مايعرف باسم المدينة ــ الدولة . والى جانب هذه تظهر ممالك كبيرة مثل الصين . فالقان هو سلطان الصين الاعظم الذي تشمل مملكته بلاد الصين والخطا .[٣٢] ومثل ذلك يمكن ان يقال عن ملك الهند ، وملك مصر تخضع دمشق لأمرته ، وملك العراق يولّي على شيراز سلطاناً بأمره . ويفي ابن بطوطة بحاجة المؤرخ فيذكر اسم حاكم الاقليم الذي زاره . ونظراً لطول سفره وترحاله فقد يتغير الحاكم عند دخوله الى المنطقة في زيارته الاولى وعودته اليها مرة ثانية . ونذكر امثلة من هؤلاء الحكام ، ابتداء من المغرب الى المشرق ، على النحو الآتي : ــ

- ملك غرناطة السلطان ابو الحجاج يوسف ابن السلطان ابي الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر .
- سلطان تونس ابو يحيى ابن السلطان ابي زكريا ابن ابي حفص .
- سلطان مصر الملك الناصر ابو الفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين

---

(٣١) ياقوت الحموي ، (ت/٦٢٦هـ) معجم البدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت . ج١ ، ص ٢٧٠ .
(٣٢) ابن بطوطة ، ص ٦٣٠ .

قلاوون الصالحي • وكـان قلاوون يعرف بالألفـي لان الملك الصالح اشتراه • بالف دينار ذهباً • وكان الملك في سنة (٧٤٩هـ) هو الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون •

ـ أمير المدينة كبيش بن منصور بن جماز وتولى بعده أخوه طفيل بن منصور

ـ وكان ملك العراق في زيارته الاولـى السلطان محمد خدابنده • ولكن سلطان بغداد والعـراق كان الشيخ حسن ابن عمـة السلطان ابي سعيد عندما وصل بغداد في شوال سنة ٧٤٨هـ •

ـ سلطان مارد ين الملك الصالح ابن الملك المنصور •

ـ سلطان جزيرة سواكن الشريف زيد بن أبي نمي •

ـ سلطان حلي وتعرف باسم ابن يعقوب عامر بن ذؤيب من بني كنانة •

ـ سلطان اليمن المجاهد نور الدين ابن السلطان المؤيد هزبر الدين داود •

ـ سلطان مقدشو ابو بكر بن الشيخ عمر •

ـ سلطان كلوا ابو المظفر حسن •

ـ سلطان ظفار الملك المغيث ابن الملك الفائز ابن عمم مالك اليمن •

ـ سلطان عمان عربي من قبيلة الأزد بن الغوث ويعرف بابي محمد بن نبهان

ـ سلطان انطاليا خضر بـك يونس بـك • وانطاليا مدينة تقع جنوب تركيا على الخليج الذي يسمى باسمها •

ـ سلطان قل حصار محمد جلبي ، وهـو أخو ابي اسحاق ملك اكريدور •

ـ سلطان ماوراء النهر علاء الدين طرمشيرين •

وكان للمرأة حظ في تولي السلطة والملك فقد كانت خديجة بنت جـلال عمر ابن السلطان صالح الدين صالح البنجالي تتولى حكم ذيبة المهل •[٣٣]

---

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥٦ ، ١٣ ، ٣٨ ، ٦٤١ ، ٢٠٢ ، ٦٣٧ ، ٦٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ٢٦٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٥٥ ، ٥٦٩ .

رسوم الادارة

يعرض ابن بطوطة رسوماً متنوعة واموراً متباينة يأخذ بها الحكام ويسيرون على هديها في ادارة شؤون اقاليمهم وممالكهم • ولكل ملك من هؤلاء رجال يعملون في خدمتهم ويمتثلون بأمرهم • وقد تختلف تسميات هؤلاء من بلد لاخر .• فمنهم نائب الملك في مصر أو عمدة الملك كما يسمى في جاوه • ومنهم ساقي الملك وحاجبه وناظر جيشه والقضاة • وكان الملك او السلطان يتولى أمر الرعية مباشرة وينظر في أمورهم ويبت فيها • ولكن بعض السلاطين ليس له مثل هؤلاء الرجال • فسلطان عمان لا حاجب له ولا وزير في حين ان ملك مصر له مثل هؤلاء الاعوان ، تتدرج مناصبهم ومكانتهم وفق رسوم محددة • وتبعاً لذلك تحدد منزلتهم في الجلوس بالنسبة للملك او من يلي الآخر اذا غاب احدهم عن شهود مجلسه •

وكان المشور مكان جلوس الحاكم ومقر دار عدله • والمشور لفظة مغربية تعني عندهم :

١ ـ المحل الذي يجلس فيه السلطان للتشاور مع اعوانه في شؤون الدولة وتصريف أمورها •

٢ ـ البهو الكبير الذي يستقبل به السلطان الناس ويقيم فيه المآدب •

٣ ـ قسم من القصر منفصل عن باقي البناية حيث ينتظر فيه أعوان السلطان والقواد والجنود الذين يرافقون السلطان عند خروجه من القصر •[٣٤]

وتختلف اساليب الحكام في مراعاة شؤون رعيتهم وجلوسهم للقضاء • فسلطان عمان العربي الأزدي يجلس في العادة خارج باب داره في مجلس هناك دون حاجب أو وزير ولا يمنع أحداً من الدخول اليه من غريب أو غيره ، ويكرم

---

(٣٤) سليم النعيمي ، الفاظ من رحلة ابن بطوطة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد السادس والعشرون ، ١٩٧٥ ، ص ٦١ .

الضيف على عادة العرب ، ويعين له الضيافة ، ويعطيه على قدره .[٣٥] اما سلطان ظفار فله عادة مختلفة فهو لايخرج ولا يراه أحد الا في أيام الجمعة ولا يمنع أحد من دخول المشور وأمير جندار قاعد على بابه واليه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية . ومن عادته أن لايعارضه أحد في طريقه ولا يقف لرؤيته ولا شكاية أو غيرها ، ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب . فتجد الناس إذا اسمعوا بخروج السلطان فروا من الطريق وتحاموه .[٣٦]

وتختلف الحال التي يعرضها ابن بطوطة عن الملك الناصر ، ملك مصر . فيقول انه يقعد للنظر في المظالم ورفع قصص المتشكين كل يوم اثنين وخميس ، ويقعد القضاة عن يساره وتقرأ القصص بين يديه ، ويعين من يسأل صاحب القصة عنها . وقد سلك في ذلك مسلكاً لم يسبق اليه ولا مزيد في العدل والتواضع . وهو سؤاله بذاته لكل متظلم وعرضه بين يديه ، أبى الله ان يحضرها سواه .[٣٧]

اما سلطان اليمن نور الدين علي فله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه وترتيب قعوده حيث يجلس فوق دكانة مفروشة مزينة بثياب الحرير وعن يمينه ويساره أهل السلاح ويليه منهم اصحاب السيوف والدرق ويليهم أصحاب القسي ، وبين أيديهم في الميمنة والميسرة الحاجب وأرباب الدولة وكاتب السر وأمير جندار على رأسه ، والشاوشية ، وهم الحجاب وحرس السلطان ، وقوف على بعد . فاذا قعد السلطان صاحوا صيحة واحدة : بسم الله ، فاذا قام فعلوا مثل ذلك ، فيعلم الجميع من بالمشور وقت قيامه وقعوده . فاذا قام قاعداً دخل كل من عادته ان يسلم عليه ، فسلم ووقف حيث رسم له في الميمنة او الميسرة لا يتعدى أحد موضعه ولا يقعد الا من أمر بالقعود . ويجلس

(٣٥) ابن بطوطة ، ص ٢٦٣ .
(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧
(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

السلطان لعامة الناس يوم الخميس .[٣٨] ويذكر ابن بطوطة ان سلطان كلـوا إبا المظفر حسن شديد التواضع يجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم اهــل الدين والشرف .[٣٩]

ومن عادة سلطــان قصطمونيــة سليمــان باذشاه ان يجلس كل يوم بمجلسه بعد صلاة العصر ويؤتــى بالطعام فتفتــح الابواب ، ولايمنع احد من حضري وبدوي او غريب أو مسافر من الأكل .[٤٠] ثم تتغير حال هذه الرسوم والتقاليد الادارية في بلاد الهند إذ يذكر ابن بطوطة ترتيب جلوس ملك الهنـد والسند محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلو شاه في مشور هائل فسيح يقوم على الف سارية خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبدع نقـش يجلس تحتها . وبهذا المشــور يجلس السلطان الجلوس العام . فاذا جلـس وقف أمامه الوزير ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب ثم النقبــاء ويقف في الميمنة والميسرة بطول المشور قاضي القضــاة ويليه خطيب الخطبـاء ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشرفاء والمشايخ ثم اخوه السلطان وأصهاره ، ثــم الامراء الكبار ثم كبار الأعزة وهم الغرباء ثم القواد .[٤١]

والواقع ان مقابلة الملك تمثل خاتمة مراحل سابقة . اذ له في كل بلد من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل مايجري في ذلك البلد من الأمور ومــن يرد عليه من الواردين ، واذا أتــى الوارد كتبــوا من أي بلاد ورد ، وكتبوا اسمه ونعته وثيابه وأصحاب خيله ومايظهر منه من فضيلة أو ضدها ، فــلا يصل الوارد الى الملك الا وهو عارف بجميــع حاله فتكون كرامته على مقدار مايستحق .[٤٢]

---

(٣٨) المصدر نفسه ، ص٢٤٢ ــ ٢٤٣ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ص٢٥٠
(٤٠) المصدر نفسه ، ص٣٠٥
(٤١) المصدر نفسه ، ص٤٢٩ ــ ٤٣٠ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ص٣٦٤ .

ولا يختلف الحال كثيراً عما هو مألوف في مالي • اذ يجلس سلطانها (منسي) سليمان في بعض الأيام بالمشور وعند جلوسه تضرب الطبول والأبواق والانفار ويقف الناس في شارع متسع فيه الاشجار • ويقف على باب المشور الترجمان (دوغا) وعليه ثياب فاخرة • فمن أراد أن يكلم السلطان كلم ذلك الواقف لينقل كلامه الى السلطان •(٤٣)

وهكذا تتنوع رسوم الادارة من بلد لاخر ولكن رغم ذلك بقي النظر بأمور الناس وحل مشاكلهم وخصوماتهم من المهام الأساسية التي يتولى أمرها حاكم البلاد سواء بلقاء مباشر أم مروراً بالوزير وديوان صاحب المظالم كما كانت عليه الحال منذ قيام الدولة العربية الاسلامية • ويتحدث ابن بطوطة أحياناً عن مهام كل واحد من هؤلاء و حدود كل وظيفة منها • لقد ظهر اسم الوزير في زمن الدولة الأموية وكان صلة وصل بين الخليفة والناس ، ثم ازداد سمو الوزير في الدولة العباسية بمصير النيابة اليه في الحل والعقد ، وصار اسماً جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر معاني المعاونة •(٤٤)

والحجابة وظيفة أخرى كانت لها بداية اولية في زمن الخلافة الراشدية • فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يوكل غلاماً ببابه لايدفع ذوي الحاجات عنه اهمالاً لهم واطراحاً ، بل لما هو مأذون فيه مما لاتخفى صحة القصد اله •(٤٥) وكان هذا اللقب مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن

---

(٤٣) المصدر نفسه ، ص٦٦٥ – ٦٦٧ •

(٤٤) ابو عبدالله ابن الازرق (ت/٨٩٦هـ) بدائع السلك طبائع الملك ، تحقيق وتعليق علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج١ ، ص١٨٠ – ١٨١ •

(٤٥) المصدر نفسه ، ص٢٧٠ •

يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته • وكان الوزير يتصرف بها بما يراه •[٤٦]

اما القضاء فقد كان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعلونه الى سواهم • وأول من دفعه الى غيره وفوضه فيه عمر (رض) فولّى أبا الدرداء معه في المدينة وولى شريحاً بالبصرة ، وولى أبا موسى الاشعري بالكوفة • وكان القاضي في عصر الخلفاء يفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك أمور اخرى • واستقر منصب القضاء آخر الأمر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفة •••وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة العقاد •[٤٧] ومن غير شك ان هذه الوظائف بقيت في القرن الثامن الهجري تحتفظ بجوهر مهامها وان تبدلت بعض الشيء من بلد لآخر • وكان ابن بطوطة لايغفل عن ذكر أيام جلوس الحاكم في مشوره وترتيب جلوس أعوانه معه للنظر في أمور الناس • فسلطان عمان الازدي العربي بقي ملتزماً بمظهر بسيط يستقبل فيه الناس دون حاجب أو وزير ، في حين تتبدل الصورة كلياً في الهند وغيرها من البلاد البعيدة حيث تظهر آثار عادات أهل هذه البلاد وتقاليدهم الحضارية في فخامة بناء المشور وسعته وطريقة جلوس الحاكم وحاشيته • ويبدو ان النظر في أمور الناس تأخذ مراحل مختلفة في بعض البلاد إذ يذكر ابن بطوية عما يجري بهذا الشأن في مقدشو ايام السلطان ابو بكر ابن الشيخ عمر فيقول : (يقصد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل

---

(٤٦) عبدالرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، دار حياء التراث العربي ، بيروت ، بلا سنة ، ص٢٤٠ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ص٢٢٠ — ٢٢٢ .

الشكايات ، فما كان متعلقاً بالاحكام الشرعية حكم فيه القاضي . وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى ، وهم الوزراء والأمراء ، وما كان مفتقراً الى مشاورة السلطان كتبوا اليه فيه ، فيخرج لهم الجواب من حينه ، على ظهر البطاقة ، بما يقتضيه نظره ، وتلك عادتهم دائماً) .[٤٨] وعلى غرار هذا يحضر مجلس الحاكم في فاس الفقهاء والقضاة فيرد اليهم ماتعلق بالاحكام الشرعية ، اما فهو فيجلس للمشتكين من رعيته يوم الجمعة ولا سيما المساكين بادئاً بالنساء ليضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة الى العصر . وهذا أمر يخالف ما سار عليه ملك الهند فقد عين بعض أمرائه لأخذ القصص من الناس وتلخيصها ورفعها اليه دون حضور اربابها بين يديه .[٤٩]

ويذكر ابن بطوطة نظاماً من الحكم يشيع في جميع البلاد التركمانية ، في كل بلد ومدينة وقرية . فمن عوائد هذه البلاد ما كان ليس به سلطان فالأخي هو الحاكم . وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن اليه على قدره .

والأخي عندهم : رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشباب الاعزاب والمتجردين ويقدمون على أنفسهم ، وتلك هي الفتوة أيضاً . ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفالاً بالغرباء من الناس ، واسرع الى إطعام الطعام وقضاء الحوائج ، والأخذ على ايدي الظلمة ، وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر .[٥٠]

وقد انتشر نظام الأخية في الأناضول في القرنين الثامن والتاسع الهجريين . ويرى البعض ان كلمة أخي تركية وهي محرفة عن كلمة أقي المستعملة في لغة الأيغور بمعنى الكريم .[٥١] وعلى خلاف ذلك جماعة الفتاك أو ما يعرفون

---

(٤٨) المصدر نفسه ، ص٢٤٨ .
(٤٩) المصدر نفسه ، ص٦٤٦ .
(٥٠) المصدر نفسه ، ص٢٧٥ .
(٥١) سليم النعيمي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد الرابع والعشرين ، ١٩٧٤ ، ص٢٥ .

بالعراق بالشطار والعيارين والصقورة بالمغرب • وتختلف أنساب العناصر التي تنتظم صفوف الشطار والعيارين كما تتباين مكاناتهم الاجتماعية مما يدل على اتساع حركتهم • فقد قامت هذه الجماعة بعدة ثورات عنيفة موجهة الى اصحاب السلطة الحاكمة واصحاب الاموال أو الى السلطة الاجنبية البويهية اولاً ثم السلجوقية •[٥٢]

وكان هؤلاء من الكثرة بحيث أنهم اذا تحركوا ببغداد هلكوا •[٥٣] ويذكر ابن بطوطة الحرافيش : وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة •[٥٤] ويحدثنا ابن كثير عما فعله هؤلاء في المحرم سنة ٧٢١هـ قائلاً : (تسلط الحرافيش وغيرهم على الكنائس يهدمون ما قدروا عليه) •[٥٥] ويستطرد ابن كثير في الحديث عن احداث هذا الشهر فيقول ان الحرامية ببغداد نهبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر فثار الناس وراءهم فقتلوا قريباً من مائة واسروا آخرين •[٥٦] ويذكر بان الخبر اشتهر عن الجيش في يوم الاثنين السابع من حزيران سنة ٧٦٤هـ بان الاعراب اعترضوا الجريدة القاصدين الى الرحبة واوقفوهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا •

وكان للجند حظ في بعض الأحداث التي تشهدها المناطق التي زارها ابن بطوطة • فقد ذكر انه من عادة الجند في ظفار انه اذا تم الشهر ولم يأخذوا

---

(٥٢) بدري محمد فهد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨٦ •

(٥٣) المقدسي ، (ت ٣٧٥هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص١٣٠

(٥٤) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص٣٩ •

(٥٥) ابو الفدا الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت / ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٦ ، ج١٤ ص٩٨ •

(٥٦) المصدر نفسه ، ص٩٩ (٥٧) ـ ابن بطوطة ، الرحلة ، ص٢٥٣ •

أرزاقهم استجاروا بتربة سلف السلطان الملك المغيث وهي معظمة عندهـــم • وأقاموا في جوارها الي ان يعطوا أرزاقهم •[٥٧]

وعلى نقيض هذه الاحوال المضطربة يقول ابن بطوطة الصين بلد آمن البلاد وأحسنها للمسافرين فان الانسان يسافر منفـرداً مسيرة تسعة أشهر ، وتكون معه الأموال الطائلة ، فلا يخاف عليها وذلـك لصرامة وسائل الأمن السائـدة في البر والبحر •[٥٨]

ولكن الانتقال بحراً من مكان لآخر لايخلو من مخاطر ، فقد سرق لصوص البحر ماكان يحمله ابن بطوطة من احجـار كريمة في سفره بحراً من سيلان •

وكانت جزيرة سنطرى سد البوارج • والبوارج ، مفردها بارجة ، التـي يعترض بها أهل المنصورة (على نهر السند) المراكب المجتازة الى الهند والصين وجدة والقلزم وغيرها •[٥٩] وقد تعرضت اموال الشيخ سعيد وما خلعه عليـه ملك الهند الى النهب والسرقـة بعد ان وصلـت السفينـة التي تحملها جزيرة سقطرى حيث خرج عليها لصوص الهند في مراكب كثيرة •[٦٠] واذا تركنا هذه الحوادث الفردية فان الأمن الى حد كبـير يســود مختلف البلدان من أقاص مشرقها في الصين الى اعماق مغربهـا في السـودان • فقد استحسن ابن بطوطـة بعض افعال الـسودان حيث يقول : (فمن أفعالهم الحسنة قلّة الظلم ، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لايسامح احد في شيء منه ، ومنهـا شمـــول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولاغاصب.)[٦١]

---

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٦٢٠ — ٦٢١ .

(٥٩) المقدسل ، احسن التقاسيم (معرفة الاقاليم ، ص ١٤ .

(٦٠) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ١٥٠ .

(٦١) المصدر ننفسه ، ص ٦٧٢ .

هذه الصورة الادارية وماصاحبهامن أوضاع يغلب عليها الأمن والاستقرار، ساعدت على تطور الحياة الاقتصادية وعملت على نشاط التجارة وانتقال السلع من بلد لآخر . وهو نشاط اقتصادي ملحوظ سنأتي على تفاصيله في الصفحات الآتية .

التجارة

رغم طابع القتر واسس الاكتفاء الذاتي التي يقوم عليها النشاط الاقتصادي في معظم البلاد ، فان اختلاف الثروات من مكان لآخر وتباين خبرات الناس ومهاراتهم ادت الى وجود فائض من المواد السلع كان يجد له متسرباً في سبل التجارة . بعضها تحمله السفن من ساحل الى آخر ، وبعضها تسير به قوافل البر . تارة لاتذهب بعيداً واخرى تمر بها الشهور حتى تصل غايتها . اي أن حركة السلع ونقل المواد كانا يأخذان طابعاً محلياً احياناً ، واقليمياً أو دولياً في حالات أخر . ولعل من المناسب في هذا المجال ان نعرض لبحث كل منهما على انفراد .

١ ـ التجارة المحلية

وتدل التسمية على ان حركة نقل السلع والبضائع تتم في حيز محدود ومسافات قريبة مما يتيح المجال لتجارة تغلب المواد الغذائية على اكثر ما ينقل فيها . يقول ابن بطوطة عن رحيله من المدينة المنورة الى مكة المشرفة وسرنا من رابغ ثلاثاً الى خليص وعرب تلك الناحية يقيمون هنالك سوقاً عظيمة يجلبون اليها الغنم والتمر والادام .(٦٢) ويقول مكة شرفها الله بواد غير ذي زرع ولكن سبقت لها الدعوة المباركة فكل طرفة تجاب اليها وثمرات كل شيء تجبى لها ، ولقد أكلت بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب مالا نظير له في الدنيا

---

(٦٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

وكذلك البطيخ المجلوب اليها لايمثله سواه طيباً وحلاوة ، واللحوم بها سمان لذيذات الطعوم . وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن مر .[٦٣] وكان أهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يجلبون الى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز . وبلاد السرو التي تسكنها هذه القبائل وسواهم مخصبة كثيرة الاعناب وافرة الغلات .[٦٤] وكان زيت نابلس حيث تكثر زراعة الزيتون ، يحمل الى مصر والشام . كما تحمل منها حلواء الخروب الى دمشق وغيرها .[٦٥]

ومن غير شك ان الفواكه كانت تنقل بوسيلة تحفظها طرية وتحول دون تلفها . فرغم قصر المسافة بين الطائف ومكة فان الرحلة بينهما كانت تستغرق وقتاً يطول احياناً . وكان عرب سميرة يأتون بالغنم والسمن واللبن فيبيعون ذلك من الحجاج بالثياب الخام ، ولا يبيعون بسوى ذلك .[٦٦] ومن وادي مُر تجلب الفواكه والخضر الى مكة . ويسمى ايضاً مُر الظهران ، وهو وادٍ خصب كثير النخل ، ذو عين فوارة سيالة تسقي تلك الناحية .[٦٧]

اما اذا طالت المسافة وبعدت الشقة أصبح نقل مثل هذه المواد أمراً عسيراً واقتصرت على انواع تتحمل طول السفر دون ان تتعرض للتلف . فقد كان يجلب السمن والجرجور من سواكن الى مكة . والجرجور نوع من الذرة كبير الحب .[٦٨]

---

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
(٦٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .
(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
(٦٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .
(٦٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .
(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .

ويقصد بها حركة السلع من مواطنها الى أخرى بعيدة عنها . وتقتصر هذه في العادة على سلع مصنوعة لا يفسدها مرور الوقت وطول المسافة . وهي في اكثر الاحوال مما خف حمله وغلا ثمنه كالثياب والعطور والاحجار الكريمة وغيرها . فقد كانت تحمل ثياب الحرير من النخ والكمخا وغيرها مما يصنع بنيسابور الى الهند .[٦٩] وكان ملك الصين قد بعث الى السلطان محمد ملك الهند خمسمائة ثوب من الكمخا منها مائة من التي تصنع بمدينة الزيتون (نسبه ـ نو نج الحالية) ومائة من التي تصنع بمدينة الخنسا (هغ ـ تشو ـ نو) . وهي نوع من القطيفة .[٧٠]

ومن ظفار تحمل الخيل العتاق الى الهند . ويقطع البحر بينها وبين قالقوط * من بلاد الهند ، مع مساعدة الريح ، في شهر كامل .

ويأتي القطن من هذه البلاد اليها . ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير ، ولا تنفق في سواها . ونظراً لجدب الأرض وشحة مواردها وموقعها البحري المتوسط بين ساحل شرق افريقيا والهند عمل اهل ظفار بالتجارة ولاعيش لهم إلا منها .[٧١] ويبدو ان بعض أهلها كانت له مصالح تجارية في بلاد الهند وغيرها مما يضطر الى الاقامة فيها . إذ يذكر ابن بطوطة انه لقي رجلا اسمه محمد من أهل ظفار الحموض في ذيبة المهل . ومن هذه الجزائر تحمل المراكب السمك والنار جيل (جوز الهند) والفوط والوليان والعمائم، وهي من القطن ، ويحملون منها أواني النحاس فانها كثيرة عندهم . كما يحمل من هذه الجزائر الودع والقنبر وهو ليف جوز النارجيل . وهم يدبغونه في حفر

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

(٧٠) سليم النيعمي الفاظ من رحلة ابن بطوطة ، القسم الثالث ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد السادس والعشرون ، ١٩٧٥ ، ص ٥٣

(*) قالقوط اوكاليكوت وهي من موانى الهند المشهورة عند الطرف الجنوبي من ساحلها الغربي .

(٧١) ابن بطوطة ، ص ٢٥٧ .

على الساحل ثم يضربونه بالمرازب ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب ، وتحمل الى الصين والهند واليمن .[٧٢] وفيما استدركه الزبيدي في تاج العروس (مادة قنبر) ((والقنبار كقنطار الحبل من ليف جوز الهند)) .[٧٣] هذا الليف خير من القنب ، وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن لان ذلك البحر كثير الحجارة ، فان كان المركب مسمراً بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر ، واذا كان مخيطاً بالحبال اعطي الرطوبة فلم ينكسر .[٧٤] وهذه هي القلافة حيث تخرز ألواح السفينة بالليف ويجعل القار خلالها . وهذه طريقة لاتزال شائعة في بناء السفن الشراعية في العراق واقطار الخليج العربي . وغالباً ما يستعاض عن الليف بقطن مفتول منقوع بزيت سمك القرش لحفظها من ملوحة مـاء البحر .

والتمر من المواد الغذائية التي تجد لها سبيلاً في التجارة الاقليمية . وكانت السفن تحمله في خصاف من البصرة وعمان الى هرمز(*) عند مدخل الخليج العربي . والخِصاف قفة تعمل من خوص النخل للتمر ونحوه . ولايزال هذا النوع من العبوات شائع الاستعمال حيث تنقل السفن الشراعية وغيرها خصاف التمر من البصرة الى اقطار الخليج العربي والهند .

وينقل ابن بطوطة شيئاً عن الحالة في غرب افريقيا . فبعد ان ترك سجلماسة وطيب تمرها وصل الى تغازي . وهي من قرى شمال النيجر في مرتفع من الأرض من حدود الجزائر الجنوبية الشرقية . وفيها معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كأنها نحتت ووضعت

(٧٢) المصدر نفسه ، ص٥٦٥ .
(٧٣) سليم النعيمي ، الفاظ من رحلة ابن بطوطة ، القسم الثالث ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .
(٧٤) ابن بطوطة ، ص ٥٦٥ .
(*) هرمز يسميها العرب جرون والواقع ان ابن بطوطة هو الذي اطلق عليها هذا الاسم . وعملتها من الذهب والفضة (الاشرفي) على وجهيها كتابات عربية .

تحت الأرض يحمل الجمل منها لوحين • ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح • وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة ، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به •[٧٥] والى جانب الملح يتصارفون بحلي الزجاج وبعض السلع العطرية •

ويعدّن النحاس خارج تكدا يحفرون عليه في الأرض ويأتون به فيسبكونه في دورهم ويصنعون منه قضباناً في طول شبر ونصف ، بعضها رقاق وبعضها غلاظ • يشترون بالرقاق منها اللحم والحطب ، ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح •[٧٦] وهكذا أصبح تعدين النحاس وصناعته مصدر خير لسكان هذه المنطقة حيث لاتجود الأرض بزرع يقتاتون به •

وهكذا كانت قوافل التجارة وسفن البحر تنقل سلعاً متنوعة مما تنبته الأرض ويستخرج من بطنها او مايجود به البحر من طعام وحلية فضلا عما تخرجه يد الصانع من مختلف انواع المواد المصنوعة •

وكان أرباب المال واصحاب البضائع يرتحلون بعيداً عن مواطنهم للاطلاع على اماكن تجارتهم ومصادرها • فقد ذكر ابن بطوطة انه لقي محمد بن ظفار الحموض في ذية المهل ومحمد عبدالله الدوري في الهند وشاهد قوافل أهل غدامس في ليبيا تنقل انواع السلع الى بلاد النيجر ومالي والسودان•

ويحظى النشاط التجاري برعاية حكام البلاد وملوكها • فمن عادة سلطان ظفار ، والتجارة شغل أهل البلاد ، ان يرحب بالسفن القادمة من الهند وغيرها ويبعث بكسوة كاملة لصاحب المركب أو كيله والربان وكاتب المركب • ويؤتى اليهم بثلاثة أفراس يركبونها ، وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر الى دار السلطان • وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثاً ،

---

(٧٥) المصدر نفسه ، ص٦٥٨ .

(٧٦) المصدر نفسه ، ص٦٧٩ .

وبعدها يأكلون بدار السلطان . وهم يفعلون ذلك استجلاباً للراكب .[٧٧]

وكان للمسافرين في منازل مصر خان ينزله المسافرون بدوابهم ، وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منه المسافر مايحتاجه لنفسه ودابته .[٧٨]

ولكن التجارة وانتقال السلع بين بلد وآخر لم يكونا مجرد حركة عابرة تمر دون رسوم أو قيد ورد آنفاً ان دخول المسافرين وخروجهم الى الهند كان يخضع لقواعد معينة تختلف مع اختلاف البلدان وحكامها . وكذلك حال التجارة فانها تمثل نشاطاً إقتصادياً يجلب الخير والمال كلما ازداد واتسع . يقول ابن بطوطة بهذا الشأن إن قطيا (قطية) من المنازل المشهورة التي مر بها بعد خروجه من مدينة بلبيس . وهذه من مدن دلتا النيل على مسافة قصيرة شمال شرق القاهرة . وبقطيا تؤخذ الزكاة من التجار ، وتفتش أمتعتهم ، ويبحث عما لديهم أشد البحث ، وفيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ، ومجباها في كل يوم الف دينار من الذهب . ولا يجوز عليها أحد من الشام الا ببراءة من مصر ولا الى مصر الا ببراءة من الشام ، احتياطاً على أموال الناس .[٧٩] وقطيا قرية صغيرة تقع في شمال سيناء بين بئر العبد شرقا و القنطرة غرباً . وكثرة ما كان يجبى يدل على عظم التجارة بين بلاد الشام ومصر . ولم تكن زكاة التجار مما يعرقل حركة التجارة وانتقال السلع لان ذلك كان ينفق في أمور تحفظ أمن الطريق وسلامة المرور وتوفير الموافق والخدمات والسقاية . ولم يقتصر هذا الاجراء عى السلع التي تأتي بها القوافل بل يصدق هذا على ما تحمله السفن .

فقد كان في كوكو ملي (كاليكون) مسلحة لبلاد الهند وبها ماء عذب فاذا استعذبوا من هناك الماء أخذوا من المركب الصيني ألف درهم ومن غيرها عشرة

---

(٧٧) المصدر نفسه ، ص١٥١ — ١٥١

(٧٨) المصدر نفسه ، ص٥٠ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص٥٠ .

الى العشرين دينار وملي من بلاد الهند[80] ومن غير شك ان هـذه الضريبة العالية تدل على كبر حجم السلع التي تنقلها السفن وجودة نوعيتها وغلاء ثمنها مثل المنسوجات الحريرية والعطور والأواني الخزفية.

وكان التعامل التجاري وتبادل البضائع والسلع يتمان بوسائل مختلفة تارة بنقود من الذهب والفضة ، أو النحاس والقصدير ، وتارة يصبح نوع من الوَدَع نقداً يتداوله الناس في بيعهم وشرائهم كما هي الحال عند أهل ذيبة المهل • وكانت المقايضة ومبادلة السلعة بأخرى من الأمور الشائعة في كثير من الجهات لاسيما في تلك التي يعيش أهلها عيشة قتر وعزلة كما هي الحال في صحاري افريقية وهضابها الوعرة •

الصناعة : ـ

للصناعة حديث مسهب لاينفك ابن بطوطة عن ترديده كلما مر في بلد واستقام فيه • إذ غالباً مايذكر مايصنعه الناس لطعامهم ولباسهم وشرابهم وعطرهم وحوائج حياتهم • وهو في كل ذلك يتحدث ، في واقع الأمر ، عن خبرة الناس في استغلال موارد ثروتهم على تصنيعها والانتفاع بها • وقد تبلغ خبرة بعضهم من الدقة والجودة الى حد أن منتجاتهم اكتسبت شهرة خاصة يتناقلها الناس من بلد لآخر • ويذكر ابن بطوطة معلومات وافية عن هذه جغرافية الصناعة التي تميز بها القرن الثامن للهجرة • وتطبيقاً لمنهج البحث من الصناعات وتنوعها من بلد لآخر مما يتيح مجالاً للباحث ان يتبين بوضوح جغرافية الصناعة التي تميز بها القرن الثامن للهجرة • وتطبيقاً لمنهج البحث من الناحية العلمية يكن تصنيف هذه الصناعات على النحو الآتي : ـ

---

(٨٠) ابن الفقيه (ت.٢٩٠هـ) مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٣٠٢هـ ، ص١١ـ٢١ •

١ ـ الصناعات الغذائية : ـ

يشمل هذا النوع من الصناعة وسائل حفظ الفاكهة وادامة الاستفادة منها ، واستخراج الزيوت النباتية من الزيتون والسمسم وجوز الهند ، واستخلاص عسل الثمار الحلوة وصناعة الرب (المربى) والحلواء • ويمكن ان نضيف الى هذه صناعة الصابون والعطور والاصباغ لصلتها الوثيقة بصناعة أو اكثر مما سلف ذكره • ويلاحظ ان تصنيع الفاكهة من الامور الشائعة في كل بلد تكثر فيه ولا يتسع سوقها المحلي لاستهلاك ما ينتج منها طرياً • أي أن هذه الصناعة تصبح وسيلة لتسويق الفائض منها والحيلولة دون تدني اسعارها •

ويتوسع ابن بطوطة في هذا المجال في الحديث عن هذه الصناعات في بلاد الشام حيث تنفرد بتجمع صناعي ليس له ما يماثله في أي بلد آخر زاره شيخ الرحالين • اذ تكون معاصر زيت الزيتون وصناعة الحلواء والصابون والعطور والاصباغ كلاً متكاملاً تنتفع كل صناعة منها بوجودها قريبة من الأخرى • وعن هذا الامر يتحدث ابن بطوطة مبتدئاً بمدينة نابلس قائلاً : (وهي مدينة عظيمة كثيرة الاشجار ، من اكثر بلاد الشام زيتوناً ، ومنها يحمل الزيت الى مصر ودمشق ، وبها تصنع حلواء الخروب ، وتجلب الى دمشق وغيرها وكيفية عملها : أن يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذما يخرج منه الرب ، فتصنع منه الحلواء ، ويجلب ذلك الرب أيضاً الى مصر والشام) •[81] ونابلس مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين ، مستطيلة لاعرض لها ، كثيرة المياه ، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ •[82] وتقع اليوم عند الطرف الشمالي لجبل نابلس الى الشمال من مدينة رام الله والقدس عند مفرق الطرف الذي يؤدي الى جنين شمالا وطول كرم غرباً والقدس جنوباً • ولاتزال نابلس تشتهر بكثرة

(٨١) ابن بطوطة ، ص٥٦ ـ ٥٧ •

(٨٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، ج٥ ، ص٢٤٨ •

اشجار الزيتون ومعاصر الزيت وصناعة أنواع الحلوى . وتكثر زراعة اشجار الزيتون في أطراف مدينة سرمين وبها يصنع الصابون الاجري ويجلب الى مصر والشام ، ويصنع بها أيضاً الصابون المطيب لغسل الأيدي ، ويصبغونه بالحمرة والصفرة .(٨٣) ومن الغريب ان ابن بطوطة لا يأتي على ذكر صناعة الصابون في ديار اخرى .

وبعلبك مدينة حسنة قديمة من أطيب مدن الشام ، تحدق بها البساتين وتخترق أرضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية . وبها من حب الملوك (الكرز) ماليس في سواها ، وبها يصنع الدبس المنسوب اليها ، وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب ، ولهم تربة يضعونها فيه ،فيجمد وتكسر القلة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة ، وتصنع منه الحلواء ، ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمونها حلواء بالملبن ، ويسمونها أيضاً بجلد الفرس وهي كثيرة الألبان .(٨٤) وبعلبك في حاضرها من مدن لبنان المعروفة تقع في الطرف الشرقي من سهل البقاع ويصفها ياقوت بانها مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة قصور على أساطين الرخام لانظير لها في الدنيا ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل .(٨٥)

ويذكر ابن بطوطة وادي الفرات الاوسط في العراق ويصف خصب أرضه اذ يقول : (ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار ، ثم الى هيت ، ثم الى الحديثة ثم الى عانة،وهذه البلادمن أحسن البلادوأخصبها).(٨٦)

---

(٨٣) ابن بطوطة ، ص٦٣ ويقول ياقوت ان سرمين بلدة مشهورة من اعمال حلب ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢١٥ . وقوله من اعمال حلب اي انها كانت مركزاً ادارياً مالياً صغيراً .

(٨٤) المصدر نفسه ، ص٧٨ ـ ٧٩ .

(٨٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، ج١ ، ص٤٥٣ ـ ٤٥٤ .

(٨٦) ابن بطوطة ، ص٦٣٧ ـ ٦٣٨ .

ولكنه لايذكر شيئاً عن الصناعات الغذائية في هذه المدن رغم شهرتها فيها • فمدينة الزب ، كما يقول الادريسي ، مدينة عامرة ذات قرى وبساتين •(٨٧) وكانت تقع على الضفة اليسرى من نهر الفرات وتقوم في موقعها مدينة الشيخ حديد الحديثة مقابل مدينة الرمادي • ويقول الادريسي ان المسافة من الرب الى هيت ست وثلاثون ميلا • ويصف الانبار بأنها بلدة صغيرة مزدحمة ولها سوق ومعامل متنوعة •(٨٨) والناووسة من قرى هيت ويصفها الادريسي بأنها مدينة صغيرة متحضرة لها بساتين وفواكه كثيرة وخيرات • وهي في جزيرة يحيط بها الفرات ومنها الى آلوسة احد وعشرون ميلا •(٨٩) ويذكر الشابستي كروم ومعاصر وبستاتين عانات وشجرها •(٩٠) وكان انتاج هذه الفواكه والثمار من الوفرة بحيث لايمكن تسويقها محلياً وهي لاتزال غضة ، لذا عمد المنتجون الى تصنيعها بصورة أولية • ولعل اسم مدينة الرب قد جاء من كثرة مايصنع فيها منه • وكثرت معاصر عانات لكثرة انتاجها من الكروم • وكان قسم من الفاكهة يجفف ، وقد يطبخ وتصنع منه مادة حلوة • وكانت بعض المعاصر تستخدم لاستخراج زيت بعض الحبوب الصغيرة كالسمسم الذي تكثر زراعته في المنطقة •

وكثيراً مايتطلب الناس بماء الورد أو يستعمل في صناعة الصابون والحلواء • وفي هذا المجال يذكر ابن بطوطة صناعته في نصيبين الذي لانظير له في العطارة •(٩١)

---

(٨٧) الادريسي (ت/٥٦٠) نزهة الافاق اختراق الافاق ، منشورات معهد الدراسات الشرقية الايطالية ، بريل ، ١٩٧٠ ، ج٥ ، ص٦٥٦ .

(٨٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٤٤ .

(٨٩) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٦٥٦ .

(٩٠) ابو الحسن ، علي بن محمد المعروف بالشابستي (ت/٣٨٨هـ) تحقيق كوركيس عواد ، منشورات مكتبة المثنى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٦ ص٢٢٨ ــ ٢٢٩ .

(٩١) ابن بطوطة ، ص٢٣٠ .

وكان استخلاص عسل الفواكه والثمار صناعة شائعة في كثير من بلدان . إذ يصنع بالبصرة من التمر عسل يسمى السيلان ، وهو طيب كأنه الجلاب .(٩٢) وصناعة عسل التمر (الدبس) لاتزال معروفة في هذه المدينة . وتصنع الحلواء بمدينة رامز وحلواؤهم من رب العنب مخلوط بالدقيق والسمن .(٩٣)

ويكثر ابن بطوطة الحديث عن جوز الهند والصناعات الغذائية التي ترتبط به . وشجرته نخلة رشيقة تجود زراعتها في المناطق الحارة الرطبة مثل بلدان جنوب شرق آسيا التي زارها . وأشجار النارجيل (جوز الهند) شأنها عجيب ، وتمر النخل منها اثني عشر عذقاً في السنة ، يخرج في كل شهر عذق ، فيكون بعضها صغيراً وبعضها كبيراً وبعضها يابساً وبعضها أخضر ، هكذا أبداً ، ويصنعون منه الحليب والزيت والعسل ، ويصنعون من عسله الحلواء ، فيأكلونها مع الجوز اليابس منه . وهو من أقوات اهل ذيبة المهل مع السمك .(٩٤) اما كيفية صناعة العسل فان خدام النخل يجمعون ماء العذق بقدور صغيرة ويطبخونه كما يطبخ ماء العنب ، اذا صنع الرب منه ، فيصير عسلاً عظيم النفع طيباً فيشتريه تجار الهند واليمن والصين ويحملونه الى بلادهم ويصنعون منه الحلواء .

ولصنع الحليب منه يجرشون ما في باطن الجوزة . ثم يمرس ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب بياضاً ، ويكون طعمه كطعم الحليب ويتأدم به الناس . أما كيفية صنع الزيت ، فأنهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره ، فيزيلون قشره ويقطعونه قطعاً ، ويجعل في الشمس ، فاذا ذبل طبخوه في القدور ، واستخرجوا زيته ، وبه يستصبحون ، ويأتدمون به ، ويجعله الناس في شعورهم ، وهو عظيم النفع .(٩٥) وهذه طريقة لاتزال متبعة حتى يومنا هذا .

(٩٢) المصدر نفسه ، ص١٨٢ .
(٩٣) المصدر نفسه ، ص١٨٧ .
(٩٤) المصدر نفسه ، ص٥٦٢ .
(٩٥) المصدر نفسه ، ٢٦٥ .

فبعد أن ينضج الجوز يوضع في الشمس حتى يجف . والجوز الجاف يسمى تجارياً الكوبرا Copra . ويستخدم في صناعة الصابون والزيوت النباتية والشموع وغير ذلك من غسول الشعر .

٢ ـ السماكة : ـ

وهذه صناعة يزاولها سكان السواحل والانهار وتشمل صيد الاسماك ووسائل حفظها وتصديرها . ففي الابلّه يباع السمك في ظلال الاشجار مع الخبز والتمر واللبن والفواكه . ولما كانت البصرة مجمع البحرين الأجاج والعذب فان مصائد الاسماك فيها ميسرة .(٩٦) والسردين اكثر سمك معروف في ظفار وهو بها في النهاية من السمن . ومن العجائب ان دوابهم إنما علفها من هذا السردين ، وكذلك غنمهم،ولم يشاهد ابن بطوطة ذلك في سواها.(٩٧) ولاعيش لاهل جزيرة مصيرة الا من السمك . وهو طعام المسافرين في البحر في مراكبهم يحملونه من مرسى حاسك قبل سفرهم . والموز والسمك طعام الناس في جزيرة منبسي (مومباسا) .(٩٨)

ولايذكر ابن بطوطة شيئاً عن طرق صيد الاسماك الا مارآه في رأس دوائر . وهو مرسى على البحر الاحمر في السودان بين عيذاب وسواكن . فيقول : (رأيت بذلك المرسى عجباً ، وهو خور مثل الوادي يخرج من البحر ، فكان الناس يأخذون الثوب ويمسكون بأطرافه ويخرجون به وقد امتلا سمكاً كل سمكة منها قدر الذراع ، ويعرفونه بالبوري ، فطبخ منه الناس كثيراً واشتووا) .(٩٩) والبوري من انواع أسماك الخليج العربي واغلاها سعراً ويتناوله الناس عادة مشوياً .

---

(٩٦) المصدر نفسه ، ص١٨١ .
(٩٧) المصدر نفسه ، ص٢٥١ .
(٩٨) المصدر نفسه ، ص٢٤٩ .
(٩٩) المصدر نفسه ، ص٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

اما حفظ الاسماك فقد كان يتم بطــرق مختلفة واكثرها شيوعاً ان يترك بالشمس حتى يجف • وهي طريقة معروفــة لتجفيف الفواكه وقديد اللحم • وهذه ظاهرة معروفة في جنوب العــراق قبــل انتشار وسائل التبريد • بل أن بعض الاسماك لاتزال تعرض في الشمس علــى سواحل النونج حتى تجف • ويتبع الناس في ذية المهل طريقة أخــرى لحفظ الاسماك • يقول ابن بطوطة أن أكل أهلها سمك يسمونه قلــب الماس(*) ولحمه أحمــر ولازفر له ، انمــا ريحه كريح الأنعام ، واذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع ، وطبخــوه يسيراً ، ثم جعلوه في مكاتيل من سعف النخل ، وعلقوه للدخان ، فاذا استحكم يبسه أكلوه ، ويحمل منها الى الهند الصين واليمن •[١٠٠] ولعــل من الطريف ان طريقة التدخين لحفظ الاسماك لاتزال شائعــة في بعض المناطــق ولا سيما حيث يكثر سمك المسالمون •ولهذاالنوع من السمك Smoked Salmon سوق رائجة حيث يقبل الناس على شرائه •

٣ ـ صناعــة المنسوجــات : ـ

هذه صناعة تقليدية متوارثة فما من بلــد الاوفية نــوع منها • ويذكر ابن بطوطة انواعاً مختلفة من صناعة الثيــاب والمنسوجات ، تارة يقصرها على ذكر المادة الخام التي يكثر انتاجها في المنطقة • فيذكر مثلاً أن بوش ودلاص من اكثر بلاد مصر كتاناً ومنها يجلب الى سائر الديار المصريــة والى أفريقية • وتارة يذهب الى ذكر ما يصنع بها مثل ثياب الصوف الجيدة التي تصنع بمدينة بهنسا •[١٠١] ولعل هذه الصناعــة كانت من اسبــاب عمرانها وكثرة دخلها •إذ

---

(١٠٠) المصدر نفســه ، ص٥٦٢ •

(*) قلب الماس اقرب مايعرف بالبصرة بالقباب (الكنباب) • وهذه سمكة بحرية فضيــة اللون كبيرة الحجــم نسبيا يميــل لون لحمها الى الحمرة • ومــن الظريف ان هذا النوع كان يعد في مدينة الفاوبطريقة التدخين التي وصفها ابن بطوطة في جزر المالديف •

(١٠١) المصدر نفســه ، ص٤٣ •

يقول عنها ياقوت الحموي (بهنسا ، مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل وتضاف اليها كورة كبيرة وليست على ضفة النيل . وهي عامرة كثيرة الدخل .[١٠٢] ولا عجب في ذلك فان ثياب الصوف والكتان غالية الاثمان . وفي مدينة ماردين تصنع الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز . ولكن انتاج هذه المدينة من الثياب لايأتي على نسق واحد . فالى جانب الثياب الصوفية الغالية يصنع الخشن من ثياب الصوف الذي لاتبلغ قيمته عشرة دراهم . وهو لباس اهل الدين والورع والفضل وفقراء الناس .[١٠٣] وفي مدينة سرمين تصنع ثياب قطن حسان تنسب اليها . كما تصنع في بعلبك ثياب منسوبة اليها من الاحرام وغيره .[١٠٤] وفي أرزنجان تصنع ثياب حسان تنسب اليها . ويقول ابن بطوطة ان لباس أهل ظفار من القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند . ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جداً .[١٠٥] ويذكر ابن بطوطة مصدر القطن ولكنه لايذكر شيئاً عن البلاد التي يجلب منها الكتان والحرير . وأغلب الظن ان الكتان يجلب من مصر حيث يكثر انتاجه ، اما الحرير فلعله يأتي من الهند وغيرها من بلاد شرق آسيا . وقد سبقت الاشارة الى صناعة ثياب الحرير من النخ والكمخا وغيرها بنسابور . النخ ثوب حرير مذهب . وتصنع بمدينة الزيتون الصينية (نسا ــ تونج الحالية) ثياب الكمخا والاطلس ، وتعرف بالنسبة اليها ، وتفضل على الثياب الخنساوية والخنبالقية .[١٠٦] وفي الشاليات ، وهي من حسان مدن الهند ، تصنع بها الثياب المنسوبة لها .[١٠٧]

---

(١٠٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، ج١ ، ص٥١٦ .

(١٠٣) ابن بطوطة ، ص٢٣١ ــ ٢٣٢ .

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص٦٤ ، ٧٩ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، ص٢٥١ .

(١٠٦) المصدر نفسه ، ص٦٢١ .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ص٥٦٠ .

ويلاحظ ، رغم انتشار صناعة الثيـاب والمنسوجات في الغرب والشـرق والاطناب في ذكرها ، فقد اغفل ابن بطوطة مـرة ثانية ذكـر ما كان يصح في العراق على تعدد مراكز الثياب والمنسوجـات التي كانت تنسب الى اماكـن صناعتها . وان هنـاك توزيعـاً جغرافياً واضحاً لصناعة الثياب والمنسوجات يتفق ومناطق انتاج القطن والصوف والحرير والكتان أو حيث يسهل جلبها . كما ان تجارة هذه المنتجات ونقلها من مكان لآخـر يصاحب نوعيتها . فثياب الحرير تنقل الى بلاد بعيدة عن الصين والهنـد وينسابور لغلاء ثمنها وخفتهـا نسبياً ، في حين ان الثياب القطنية والصوفية لها تجـارة محلية محدودة الا ما غـلا ثمنه منهـا .

٤ ـ صناعـات مختلفـة .

هذه مجموعة صناعات يذكرها ابن بطوطة ليس لها سوى توزيع جغرافي محدود . بل انه احياناً يكتفي بالاشـارة اليها عرضاً كذكـره ثريات الزجاج العراقي التي كانت معلقة بزاوية حسنة بأنطاليا . ويبدو ان بعض المدن تجمع بين عدة صناعات . فالـى جانب صناعة الثيـاب تشتهر بعلبك بصناعة الاواني الخشبية والملاعق التي لانظير لها في البلاد .(١٠٨) ومثل ذلك يقال عن ارزنجان حيث تصنـع الثياب كما تصنـع فيها الأوانـي النحاسية والبياسيس لوجود النحاس فيها . والبيـسوس شبه المنارة من النحاس ، له أرجل ثـلاث ، وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس ، وفي وسطه أنبوب للفتيلة ويمـلأ من الشحم المذاب .(١٠٩) ومما أثار عجب ابن بطوطـة أطباق القصب (الدست) التي تصنع في مدينة الخنسا الصينية . وتصنع الأوانـي الفخارية في مدينـة كلان ، وهي مدينة صين الصين : اي اليابـان وكوريا ، كمـا تصنع في مدينة الزيتون التي مر ذكرها . ويبدو ان صناعة الزجاج كانت متقدمة في العراق والشام إذ يثير

(١٠٨) المصدر نفسـه ، ص٧٩ .

(١٠٩) المصدر نفسـه ، ص٢٧٦ .

ابن بطوطة الى صناعة أواني الزجاج العجيبة في دمشق .[110] وتزدهر صناعة القاشاني (الزليج) في العراق بما يفوق ما يماثله في المغرب فهو أشرق لوناً وأحسن نقشاً .[111]

الخاتمة : ـ

تناول هذا البحث تحليل توزيع الظواهر الجغرافية التي عرضها ابن بطوطة وهو يتنقل ، على مدى عشرين سنة أو يزيد ، بين بلدان ينتشر فيها الاسلام ديناً وتشيع فيها العربية لغة ولم تكن هذه الرحلة ، في مفهومنا الجغرافي المعاصر ، سوى دراسة ميدانية جاس خلالها ابن بطوطة في أوسع جهات قارتي اسيا وافريقية وبعض جهات أوربا ، وجمع مايتسر له من معلومات لم تكن بحد ذاتها غاية من غاياته ، ولذلك يصعب على الباحث الجغرافي ان يتقصى حيز الظواهر التي تحدث عنها شيخ الرحالين ويتتبع روابطها الاقليمية وفقاً لمتطلبات منهج البحث الجغرافي فقد جعل عالم القرن الثامن الهجري حيزاً متكاملا ووحدة مساحية جغرافية ذات اداء وظيفي عام يوحد بين اجزائها وجهاتها رابط الدين واللغة ، وتشد أطرافها سهولة الحركة والانتقال . ويزيد الأمر صعوبة ويحول دون رسم خريطة اقلمية نوعية الوحدات المساحية التي ذكرها ابن بطوطة . فهو يعرض سمات ظواهر ترتبط أحياناً ببلاد واسعة مثل الهند والصين والسودان ، واحياناً أخرى بدويلات مدن مثل ظفار في جنوب الجزيرة العربية ، وبرصا وانطاليا باسيا الصغرى . ولايجد الباحث حدوداً واضحة لهذه أو تلك ، مما يجعل من المستحيل اتخاذها واحدات مساحية areal usits تعكس صور التباين الاقليمي . ولذلك يجد الباحث نفسه ملزماً

(110) المصدر نفسه ، ص87 .
(111) المصدر نفسه ، ص172 .

بذكر التنوع العام ووصف صور التباين الاداري والاقتصادي والاجتماعي ضمن هذه المساحة الجغرافية والوقوف عند ذلك • وهذا بحد ذاته انجاز علمي لم يسبق ان عرض اليه الباحثون من دارسي الجغرافيا • أما المراكز لحضرية التي تحدث عنها ابن بطوطة والعلاقات المتبادلة بينها فاه اراد بها ، على مايبدو، ابراز الروابط التاريخية والصلات الاقتصادية التي تضفي على هذه المنطقة الواسعة سمة إقليم عام تتوزع الوظائف بين مختلف انحائه ولاتكون أجزاء منفصلة تعيش بعزلة عن الاخرى • ومن المستبعد ان يجد الباحث الجغرافي المعاصر في تضاعيف الرحلة مايفي بحاجته • ومع ذلك يمكنه ان يتبين عدة أقاليم كبيرة تتباين فيها ظواهر الادارة العامة وعادات الناس واتجاههم الزراعي والصناعي • ولعل من المناسب ان تسمى هذه الاقاليم باسماء الاقوام التي تسكنها وهي :

١ ـ الاقليم السوداني جنوب الصحراء الافريقية الكبرى لاسيما المنطقة الغربية (مالي والنيجر وغيرها) •

٢ ـ الاقليم العربي ، وتشمل الأرض العربية بما في ذلك الاندلس •

٣ ـ الاقليم الهندي ، ويتضمن شبه القارة الهندية والجزر القريبة منها مثل سرنديب (سري لانكا) وذيبة المهل (المالديف) وغير ذلك •

٤ ـ الاقليم الصيني بما في ذلك صين الصين (اليابان وكوريا) •

ويلاحظ ان ابن بطوطة قد جعل الجزيرة العربية سرة هذا العالم الفسيح وخصها بجزء غير يسير من مضمون مادته • بل أنه أنزل مكة المشرفة والمدينة المنورة منزلة خاصة وأفرد لهما صفحات مطولة وأطنب بذكر كل مايحيط بهما • فكل مافي مكة المشرفة لايداني ، وان ماأكلـه فيها من فاكهة لانظير له في الدنيا طيباً وحلاوة •

وان اللحوم بها سمان لذيذات الطعوم . ولاغرو في ذلك فانه قصد مكة حاجاً ومنها خرج مرتحلا واليها عاد .

وأشاد ابن بطوطة كذلك بالازدهار الاقتصادي والنشاط الصناعي اللذين كانا سائدين في الأرض العربية لاسيما العراق والشام ومصر . ففيها تصنع المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية والحريرية ، كما تصنع فيها العطور والصابون وبعض المواد الغذائية . والى هذه البلاد تنقل سلع الصين والهند . وينم عن إزدهارها التجاري كثرة الاسواق واتساعها مثل سوق حلب والموصل وغيرها ، وارتفاع واردات زكاة التجار . ويصاحب ذلك انتشار مراكز العلم والدراسة . أي ان الحضارة العربية ونشاط الأمة كان كثير الحركة والتوثب على عكس ماذكره احد الباحثين ممن سبقت الاشارة اليه .

ان هذه الدراسة تفتح أبواباً للبحث في مضامين هذه الرحلة والتعمق في أبعاد الواقع الجغرافي العربي عموماً ، او تفاصيل بعض الاقطار على انفراد . ولابد للباحث في هذا المجال ان يقف على احداث التاريخ ويحاول ان يستشف منها مايعنيه في دراسته .

والله الموفق

* * *

ديوان التحقيق الاسباني (*)
ومهمته في ابادة الأمة الأندلسية

بقلم اللواء الركن :
محمود شيت خطاب
عضو المجمع

أ- قام ديوان التحقيق (La Jnquisicon) في مطاردة الموريسكين باعظم دور ، وترك في مأساتهم أعمق الأثر ، لذلك يجدر التحدث عن تاريخ هذه المحاكم الشهيرة ، ونظمها واعمالها الرهيبة . (١)

ويرجع قيام محاكم التحقيق إلى فكرة الرقابة القديمة على العقيدة والتحقيق عن سلامتها ونقائها ، وقد ظهرت فكرة التحقيق على العقائد في الكنيسة الرومانية في عصر مبكر جداً ، وبدئ بتطبيقهــا منذ أوائل القــرن الثالث عشر ، فكان البابا يعهد الى الأساقفة وإلى الآباء الدومينكيين ، في تعقب الكفرة والمارقين ومعاقبتهم ، وطبق هذا النظام منذ البداية في إيطاليا وألمانيا وفرنســا ، وكان مندوبو البابوية يتجوّلون في مختلف الأنحاء ، لتقصّي أخبار الكفرة والقبض عليهم ومعاقبتهم ، وكانت تعقــد لذلك مجالس كنسيّة مؤقتة كانــت هي

(*) يطلق عليها خطأ : محاكم التفتيش ، وأسمها أعلاه هو الصواب .

(١) نفح الطيب (٢/٦١٦) ، وانظر أخبار العصر (٥٥) .

النواة الأولى لمحاكم التحقيق ، تعمل حيث يوجد الكفرة والملاحدة ، ثم تُحلّ متى تمت مهمة مطاردتهم والقضاء عليهم . . (٢)

ثم أنشئت بعد ذلك مراكز ثابتة لمحاكم التحقيق ، أقيم معظمها في أدياء الآباء الدومنيكيين والفرنسيسكانين ، ولم تك ثمة في هذه العصور سجون خاصة أو مركز ثابتة لمحاكم التحقيق ، وإنما كان يتخذ من اي مكان صالح مركزاً أو سجناً ، وكان الأساقفة يتولون رئاسة هذه المحاكم ، ولهم سلطة مطلقة، وكانت التحقيقات والمرافعات تجري بطريقة سريّة ، وتصدر الأحكام على المتهمين نهائية وغير قابلة (٣) للطعن ، وكان يسمح للنساء والصبيان والعبيد بالشهادة ضد المتّهم وليس له ويؤخذ الاعتراف من المتهم بالخديعة والتعذيب . وكان التعذيب يعتبر طبقاً للقوانين الكنسية وسيلة غير مشروعة للاعتراف ،ولكن البابوية لم تجد بأساً من إقرار هذه الوسيلة . وكانت السجون التي يستعملها ديوان التحقيق مظلمة رهيبة، يموت فيها الكثيرون من المرض والآلام النفسية . وكان السجناء يصفّدون عادة بالأغلال الثقيلة وكانت العقوبات الرئيسة هي السّجن المؤبّد والاعدام والمصادرة . وكانت السلطات الدينية والبابوية تحصل على أوفر نصيب من الأموال المصادرة ، وتحصل السلطات المدنية أيضاً على نصيبها منها . وافي

(٢) Dr Lea. Moriscos, P. 31, 151 - 152 ويبدو هذا الالتزام بسكنى المسلمين في أحياء خاصة في غرناطة وغيرها من المدن الأندلسية القديمة في كثير من المراسيم الملكية التي صدرت منذ منة ١٥٠٠ م مثال ذلك المرسوم الصادر بالاعفاء لأهل بسطة Arch. gen. P.R. 11 - 1.7 ، والمرسوم الصادر بالعفو عن حيّ المسلمين (Moreria) في غرناطة .

(٣) Archive general de simancas, P. R. Legajo. 8, Fol. 120 وانظر تفاصيل هذه الدراسة في نهاية الأندلس (٢٩٢ — ٣١٠) .

ديوان التحقيق ميداناً خصباً لمطاردة الألبيين (٤) وغيرهم من الملاحدة الذين ظهروا منذ أوائل القرن الثالث عشر في جنوبي فرنسا . وفي عهد لويس التاسع ملك فرنسا وضع أول قانون ينظم إجراءات هذه المحاكم الكنسيّة الجديدة وكان ديوان التحقيق في تلك العصور يصدر أيضاً أحكامه ضد الكتب المحرمة ، ويأمر بأحراقها ، ومن ذلك أحكام صدرت باحراق التلمود وبعض كتب ارسطو وغيرها من كتب الفلسفة من العهد القديم .

ثم اتسع اختصاص محاكم التحقيق بمضي الزمن ، فلم تبق مهمتها قاصرة على مطاردة الكفر والزيغ في العقيدة ، بل تعدته الى مطاردة السحر والسحرة والعرافة والعرّافين ، وشبّه هؤلاء بالكفرة . وجاء بعد ذلك دور اليهود فاتهموا بسب النصرانية وأخذت عليهم مزاولة الربا وتتبعهم ديوان التحقيق بالمطاردة والعقاب . على أنّ الديوان لم ينس دائماً انّ مهمته الأصلية تنحصر في مطاردة الكفر والزيغ ، والمحافظة على سلامة العقيدة الكاثوليكية ونقائها .

ب- تلك هي الظروف التي قامت فيها محاكم التحقيق الأولى ، في في مختلف أنحاء أوربا : في إيطاليا وألمانيا وفرنسا . ويرجع قيام ديوان التحقيق الاسباني الى البواعث الدينيه نفسها ولكنه نشأ مع ذلك نشأة مستقلة ، وأحاطت بقيامه ظروف خاصة . وقد أنشئت محاكم التحقيق في مملكة أراغون منذ أوائل القرن الثالث عشر ، ووضعت لها في سنة (١٢٤٢ م) إجراءات جديدة ، كان لها في ما بعد أكبر الأثر في صوغ نظم ديوان التحقيق الاسباني . وعرف هذا الديوان الأرغوني بالديوان القديم ، وعكف حيناً على مطاردة الألبيين وإخماد

(٤) نسبة إلى : (ألبي) ، وهي مدينة بجنوبي فرنسا ، وكانت من أهم مراكز هذه الطائفة الملحدة .

دعوتهم في أراغون ، ولم يلبث أن غدا سلطانه ، وغدت وسائله وإجراءاته مثار الرهبة والروع .

على ان هذه لم تكن سوى بداية محدودة لنشاط ديوان التحقيق الاسباني ذلك ان ظروف إسبانيا النصرانية في ذلك العصر واضطرام الصراع الأخير بينها وبين اسبانيا المسلمة ، ورجحان كفتها في ميدانى الحرب والسياسة ، كانت كلها تذكي النزعة الصليبية ، التي كانت تجيش بها إسبانيا دائماً وكانت الأمة الأندلسية قد استحالت منذ القرن الرابع عشر إلى طوائف كبيرة من المدجنين في مهاد عزها القديم ، في قشتالة واراغوان ، ولم تبق سوى بقية أخيرة تحتشد في مملكة غرناطة الصغيرة ، الذي كان مصيرها المحتوم يلوح قوياً في الأفق . وكان تفوق إسبانيا النصرانية ونصرها المضطرد، يذكي عوامل التعصب الديني الذي تبثه الكنيسة وترعاه ، وتتخذه اسبانيا الظافرة يومئذ شعارها المفضل في ميدان السياسة . وكانت موجة من التعصب تضطرم في هذا الوقت بالذات ، حول طوائف المتنصرين من يهود (Conioerson)، وكان أولئك المحدثون في النصرانية ، قد سما شأنهم ، ووصل كثير منهم الى المناصب الكنسية الكبيرة ، وإلى مجلس الملك ،وتبوأوا بأموالهم ونفوذهم مكانة قوية في الدولة والمجتمع ، وكان أحبار الكنيسة ينظرون إليهم بعين الريب ، ويعتبرونهم شراً من يهود الخلص أنفسهم ، ويتهمونهم بالالحاد والزيغ ، ومزاولة شعائرهم القديمة سراً ، ولما تفاقم الأتهام من حولهم، في سنة (١٤٦٥ م) في عهد الملك هنري الرابع ملك قشتالة ، أمر ملكيّ إلى الأساقفة بالاستقصاء والبحث في دوائرهم ، وتتبع هذا اللون من المروق والزيغ ، ومعاقبة المارقين ، وتلا ذلك موجة من الاضطهاد ، اتخذت صورة المحاكمات الدينية ، واحرق عدد من أولئك المتنصرين . ولكن قشتالة التي شغلت يومئذ بمشاكلها الداخلية ، لم تعن بأمر المتنصرين ولم

تزعجهم . وهنا تدخل البابا سكستوس الرابع ، وحاول ان يدخل نظام التحقيق في قشتالة ، فأرسل اليها مبعوثاً بابوياً مزوداً بكل السلطات للتحقيق والقبض على المارقين ومعاقبتهم .ولكن فرديناند وإيزابيلا وقفا في وجه هذه المحاولة حرصاً على سلطانهما ، وحداً من سلطان الكنيسة ، واغضت إيزابيلا مدى حين عن تحريض الأحبار على مطاردة ، الكبراء المتهمين الى أصل يهودي ، إذ كانت تثق بهم وبصادق نياتهم وغيرتهم في خدمة الدولة والعرش .

على انّ هذه المقاومة لم تلبث طويلاً ، ذلك لان كل الظروف كانت تمهد لظفر السياسة الكنسية ، فلم تلبث ان غلبت مساعي الأحبار ، وقبل الملكان إنشاء ديوان التحقيق في قشتالة ، ليضطلع في مثل المهمات الخطيرة التي يضطلع بها في أرغوان . وهنا يقال : إن الفضل في إقناع الملكة إيزابيلا بتحقيق هذه الفكرة يرجع الى القس توماس دى تركيمادا رئيس دير الآباء الدومنيكان في سانتا كروشا بشقوبية . وقد كان معترف الملكة وله عليها نفوذ قوي ، فقيل : إنه استطاع أن يحصل منها قبل اعتلائها العرش ، على وعد بانها متى ظفرت بالملك ، فانها تكرس حياتها لسحق الكفر وحماية الكثلكة ، وانه كان اكثر العاملين على إقناعها بالموافقة على إنشاء ديوان التحقيق . وفي سنة (١٤٧٨ م) أرسل فرديناند وإيزابيلا سفيريهما إلى البابا للحصول على المرسوم البابوي ، وصدر المرسوم بالفعل في (تشرين الثاني – نوفمبر ١٤٧٨م) بالتصريح بإنشاء ديوان التحقيق في قشتالة ،وتعيين المحققين لمطاردة الكفر ومحاكمة المارقين ، واتخذت الخاسمة لتنفيذ المرسوم في (أيلول سبتمبر ١٤٨٠ م) ، حيث ندب المحقّقون الثلاثة الأول ، وأنشئت محكمة التحقيق الأولى في إشبيلية . وهكذا بدأ ديوان التحقيق الأسباني نشاطه المروّع في قشتالة .

ج . وبدأ الديوان أعماله في إشبيلية بإصدار قرارات يحث فيها كلّ شخص أن يساعد الديوان ، في البحث عن الملحدين والكفرة ، وكلّ مَن في عقيدتهم

زيغ ، وفي جمع الادلة على إدانتهم ، وفي التبليغ عنهم بأية وسيلة . وانقضت العاصفة بالأخص على على يهود المتنصرين ، وكانت منهم طائفة كبيرة في إشبيلية ، فلم يمض عام حتى بلغت ضحاياهم ألوفاً أحرق منهم عدد كبير ، وعوقب الكثيرون بالسجن والغرامات الفادحة والمصادرة والتجريد من الحقوق المدنية .

وحاول كثير من المتنصرين النجاة بالفرار إلى ضياع الأشراف ، فصدر أمر ملكي بتسليم الفارين إلى محكمة التحقيق ، وهدد الأشراف بفقد وظائفهم والنفي من الكنيسة ، إذا تخاذلوا عن تنفيذ الأمر . وحاول بعض أكابر المتنصرين في الوقت نفسه تدبير مؤامرة لمقاومة محكمة التحقيق والفتك بأعضائها ، ولكن المؤامرة اكتشفت وقبض على كثير منهم ، وقضي بأعدام بعضهم حرقاً ، وبذلك سحقت كل مقاومة لنشاط الديوان الجديد . واتسع نشاط الديوان بسرعة واستصدر الملكان من البابا مرسوماً بتعيين سبعة من : « المحققين » الجدد (شباط — فبراير ١٤٨٢ م) ، وأنشئت على أثر ذلك محاكم التحقيق في قرطبة وجيان وشقوبية وطليطلة وبلد الوليد ، وشمل نشاط الديوان سائر أنحاء المملكة الأسبانية (قشتالة وأراغون) .

وكان فرديناند وإيزابيلا يرميان الى أن تسبغ الصفة القومية على ديوان التحقيق ، وأن يكون سلطانة مستمداً من العرش ، أكثر مما هو مستمد من البابوية . ولتحقيق هذه الغاية ، رؤي أن ينظم الديوان على أسس جديدة . وكان الديوان قد غدا في الواقع أداة مهمة مرهوبة الجانب ، ولابد لهذه الأداة من سلطة عليا تقوم بالتوجيه والأرشاد . ومن ثم فقد صدر المرسوم البابوي في سنة (١٤٨٣م) بأنشاء مجلس أعلى لديوان التحقيق (Soprema) له اختصاص مطلق في كل ما يتعلق بشؤون الدين . ويتألف من أربعة أعضاء ، منهم الرئيس ، وأطلق على منصب الرئيس : « المحقق العام » — (Jnquisitor General) وصدر

المرسوم البابوي في (تشرين الأول ـ أكتوبر ١٤٨٣ م) بتعين القس توماس دي تركيمادا معترف الملكين ، في هذا المنصب الخطير ، وخوّل في الوقت نفسه سلطة مطلقة في وضع دستور جديد للديوان المقدّس .

وكان القس تركيمادا شديد التعصب ، وافر العزم والبأس ، فبذل في تنظيم الديوان وتوطيد سلطانه جهوداً عظيمة ، وبثّ فيه روحاً من الصرامة . وكان جلّ غايته أن يجعل من ديوان التحقيق الأسباني أداة قومية تعمل وفقاً لحاجات إسبانيا ، وقد وفّق الى تحقيق هذه الغاية الى أبعد حدّ . وبُدئ بوضع دستور الديوان الجديد في سنة (١٤٨٥ م) على يد جمعية من المحققين العامين عقدت في إشبيلية ، ووضعت طائفة من القرارات واللوائح ، ثمّ عقدت بعد ذلك جمعية أخرى في بلد الوليد سنة (١٤٨٨ م) ووضعت عدّة لوائح جديدة ، وعقدت جمعية ثالثة في آبلة سنة (١٤٩٨ م) . وتولى المجلس الأعلى (السوبريما) بعد ذلك صياغة اللوائح وتنقيحها . وكان هذا التنظيم عظيم الأثر في تطور ديوان التحقيق الأسباني . ذلك أنه غدا من ذلك الحين محكمة قومية مستقلة ، وغدا سلطة يخافها أعظم العظماء في اسبانيا ، ويرتجف لذكرها الفرد العادي وأضحى نشاطها الرهيب وقضاؤها المدمر ، عنصراً بارزاً في التاريخ الأسباني ، يقوم بدوره الفعال في دفع إسبانيا إلى شفا المنحدر ، الذي لبثت تتردّى في غمرته زهاء ثلاثة قرون .

ولبث تُركيمادا في منصب المحقق العام حتى توفي في سنة (١٤٩٨ م) ، وفي عهده اشتد نشاط محاكم التحقيق واتسعت أعمالها . وكان هذا القس المتعصب بالرغم من تقشفه ، يعتبر بعد العرش أعظم سلطة في إسبانيا ، ويعيش في قصور باذخة ، وله حرس كبير من الفرسان والمشاة . وكان من جرّاء شدّته وعسفه ، أن ندب البابا سنة (١٤٩٤ م) إلى جانبه خمسة من المحققين العامين ، يتمتع

كل منهم بنفس سلطته . ولما توفي خلفه في منصب المحقق العام ديجو ديـــا أسقف جيان ، واستمر في منصبه حتى سنة (١٥٠٧ م) .

د. ونقدم الآن عرضاً موجزاً لأجراءات ديوان التحقيق ، وسنرى أنها بأصولها وتفاصيلها ، أبعد ما تكون عن مبادئ المنطق وأشد ما تكون عسفاً وقسوة وهمجيــة .

تبدأ قضايا الديوان أو محاكماته الفرعية ، بالتبليغ أو ما يقوم مقامه كورود عبارة في قضية منظورة تلقي شبهة على أحد ما . ولا فرق أن يكون التبليغ من شخص معين أو يكون غفلاً ، ففي الحالة الأولى يدعى المبلغ ويذكر أقواله وشهوده ، وتعتبر أقوال المبلّغ وشهوده « تحقيقاً تمهيدياً » . كذلك يمكن التبليغ بواسطة « الأعتراف » الذي يتلقاه القسس ، وإذا أن يبلغوا عما يقعون عليه في حالة الأشتباه في العقائد ، وذلك بالرغم مما يقتضيه الأعتراف الكتمان ، ويقسم المبلغون يميناً بالكتمان ، ولا توضح لهم الوقائع التي يسئلون عنها بل يُسئلون بصفة عامة عما إذا كانوا قد رأوا أو سمعوا شيئاً يناقض الدين الكاثوليكي أوحقوق الديوان . ويقوم الديوان في الوقت نفســه بأجــراء التحريات السرية المحلية عن المبلغ ضدّه ، ثم تعرض نتائج التحقيق التمهيدي على الأحبار المقرّرين ليقرّروا ما إذا كانت الوقائع والأقوال المنسوبة إلى المبلغ ضدّه تجعله مرتكبـــاً لجريمة الكفر أوتلقي عليه ارتكابها ، وقرارهم يحدّد الطريقة التي تتبع في سير القضية . ويقسم المقررون يمين الكتمان أيضاً ، وكان معظم أولئك المقررين مـــن القسس الجهلاء المتعصّبين . ومن ثم فقد كانت أخلاقهم وآراؤهم ، بل ذمتهم وشرفهم مثاراً للريب ، وكان رأيهم الأدانة دائمـــاً إلاّ في أحوال نادرة .

وعلى اثر صدور هذا التقرير ، يُصدر النائب أمره بالقبض على المبلّغ ضدّه وزجّه إلى سجن الديوان السري وكانت سجــون الديوان المخصصة لاعتقال

بالكفر أو الزيغ ، وهي المعروفة بالسجون السرّيّة ، غاية في الشناعة والروعة تتصّل مباشرة بغرف التحقيق والعذاب عميقة رطبة مظلمة ، تغصّ بالحشرات والجرذان ، ويصفد المتهمون بالأغلال(٥) ويقول لورنتي مؤرخ ديوان التحقيق الإسباني: إنّ أفظع ما في أمر هذه السجون هو أنّ مَنْ يزجّ إليها ، يسقط في الحال في نظر الرأى العام وتلحقه وصمة لا تلحقه من أىّ سجن آخر مدني أو دينيّ ، وفيها يسقط في غمار حزن لا يوصف وعزلة عميقة دائمة ، ولا يعرف ألى اي مدى وصلت قضيته ، ولا ينعم بتعزية مدافع عنه ، غير أنّ اورنتي ينفى تصفيد المتّهمين بالأغلال الثقيلة في أرجلهم وأيديهم وأعناقهم ، ويقول : إنّ هذا الاجراء لم يكن يُتبع إلاّ في أحوال نادرة (٦) . ويقول الدكتور لي : « كان القبض الذى يجريه ديوان التحقيق في ذاته عقوبة خطيرة ، ذلك أنّ أملاك السجين كلّها تصادر وتصفىّ على الفور ، وتقطع جميع علائقه بالعالم حتى تنتهي محاكمته ، وتستغرق المحاكمة عادة من عام الى ثلاثة ، لا يعرف السجين أو أسرته خلالها شيئاً عن مصيره ، وتدفع نفقات سجنه من ثمن أملاكه المصفاة ، وكثيراً ماتستغرقه المحاكمة (٧) ولا يخطر المتهم بالتّهم المنسوبة إليه ، ولكنه يمنح عقب القبض عليه ثلاث جاسات في ثلاثة أيام متوالية ، تعرف بجلسات الرأي أو الانذار ، وفيها يطلب إليه أن يقرّر الحقيقة ، ويوعد بالرأفة

(٥) Dr. Lea : History of the Jnquistion of Spain, V.1. Chap. IV.

(٦) Don. S.A.L. Lorente: Historia Critica de la Janquisicion de Es Pana (1815 - 1817).
وهو مؤلف نقدي ضخم ، ويمتاز بكون مؤلفه إسبانيّ ، وهو حَبْرٌ خدم ديوان التحقيق أعواماً طويلة ، وكان في آخر حياته يشغل فيه السكرتير العام.

(٧) . Dr. Lea the Moriscos of Spain

إذا قرر وفق ما ينسب إليه ، وينذر بالشدة والنكال أذا كذب أو أنكر ، لأن « الديوان المقدس » لايقبض على احد دون قيام الأدلة الكافية على إدانته ، وهي طريقة غادرة محيرة . فأذا أعترف المتهم بما ينسب إليه ولو كان بريئاً ، اختصرت الاجراءات ، وقضي عليه بعقوبة أخف ، ولكنه إذا اعترف بأنه كافر مطبق ، لاينجو من عقوبة الموت ، مهما كانت الوعود التي بذلت له بالرأفة والعفو . فأذا أبى المتهم الاعتراف بعد الجلسات الثلاث ، وضع له النائب قرار الاتهام طبقاً لما ورد في التحقيق من الوقائع ، وذلك مهما كانت الأدلة المقدمة من الركاكة والضعف بمكان . بيد أن أفضع ما يحتويه القرار ، هو إحالة المتهم على التعذيب ، وغالباً مايطالب النائب هذه الأحالة ، وذلك بالرغم من اعتراف المتهم بما ينسب إليه ، لأنه يفترض دائماً أنه أخفى أو كذب في اعترافه . وتصدر المحكمه قرار التعذيب مجتمعة بهيئة غرفة مشورة . وكان قرار التعذيب في العصور الأولى يصدر عقب الاشتباه والقبض فوراً . وقد استعمل التعذيب في محاكم التحقيق للحصول على الأعتراف ، منذ القرن الثالث عشر . وكان التعذيب في قشتالة إجراء يسوغه القضاء العادي ، وكان يعتبر وسيلة مشروعة لنيل الأعتراف ، فلم يكن غريباً أن يدمجه ديوان التحقيق في دستوره ، وقد نوه كثير من المؤرخين بروعة الأجراءات والوسائل التي كانت تلجأ إليها محاكم التحقيق في توقيع العذاب ، ويعلق عليه دون لورنتي بقوله : « لست أقف لأصف ضروب التعذيب التي كان يوقعها ديوان التحقيق على المتهمين، فقد رواها بما تستحق من الدقة كثير من المؤرخين . ولكني أصرح أن أحداً منهم لا يمكن أن يتهم بالمبالغة في ما روى . ولقد تلوت كثيراً من القضايا ، فارتجفت لها اشمئزازاً وروعاً ، ولم أر في المحققين الذين التجأوا إلى تلك الوسائل إلا رجالاً بلغ جمودهم حد الوحشية(٨)

---

(٨) Lorenta ibid ، انظر نهاية الأندلس (٣١٨) .

بيد أنّ مؤرخاً حديثاً لديوان التحقيق هو الدكتــور لى يرى في هذه الأقوال مبالغة ، ويقول لنا : إنّ ديوان التحقيق لم يكن في إجراءاته الخاصة بالتعذيب أكثر قسوة أو إرهاقاً من القضاء العادي ، وأنّ ديوان التحقيق الروماني ، كان في إجراءاته أشدّ قسوة وفظاعة من الديوان الأسباني (٩) ومن الواضح أنّ هذا الدفاع متهافت ، لأنّ دون لورنتى ليس متهماً بالنسبة لمسؤولي ديوان التحقيق ، فقد عمل فيه حتى نهاية حياته ، وقد عاش أحداثه فلا مجال للشك في أقواله أو الردّ عليه ، وهي تصف الواقع الذى لاغبار عليه .

وكانت معظم أنواع التعذيب المعروفة في العصور الوسطى تستعمل في محاكم التحقيق ومنها تعذيب الماء ، وهو عبارة عن توثيق المتهم فوق أداة تشبه السلم ، وربط ساقيه وذراعيه إليها ، مع خفض رأسه الى أسفل ، ثم توضع في فمه من زلّعة جرعات كبيرة ، وهو يكاد يختنق وقد يصل ما يتجرعه إلى عدّة ايترات . وتعذيب «الجاروكا » ، وهو عبارة عن ربط يدى المتهم وراء ظهره ، وربطه بحبل حول راحتيه وبطنه ، ورفعه وخفضه معلقا ، سواء بمفرده أو مــع أثقال تربط معه . وتعذيب الأسياخ المحمية للقدم ، والقوالب المحمية للبطن والعجز ، وسحق العظام بآلات ضاغطة ، وتمزيق الأرجل وفسخ الفك ، وغيرها من الوسائل البربرية المثيرة . ولم يك ثمة حدود مرسومة لروعة التعذيب وآلامه لما كان التعذيب يعتبر خطراً لاتؤمن عواقبه ، نظراً لاختلاف المتهمين في قوة البنية والاحتمال المادىّ والعقلىّ فأنه لم يك ثمة قواعد معينة تتبع في إجراء التعذيب بل كان الأمر يترك لتقدير القضاة وحكمتهم وضمائرهم (١٠) . ولا يحضر التعذيب سوى الجلاد والأحبار المحقّقون ، والطبيب اذا اقتضى الأمر ، ولا يخطر المتهم بأسباب إحالته على التعذيب ، ولايسئل ليقر روقائع معينة ، بل يعذب ليقرّر

---

(٩) Dr. Lea: the History of the Jquisition. V.III. Ch. VII.

(١٠) Dr. Lea : ibid ; V.III. P.22 .

مايشاء ، ويمكن الطعن في القرار بطريق الاستئناف أمام المجلس الأعلى (السوبريما) الا في احوال استثنائية ولكن الطعن لايقبل ولاينظر حيثما كان القانون صريحا في وجوب إجراء التعذيب . وقد يأمر الطبيب بأيقاف التعذيب اذا رأى حياة المتهم في خطر ، ولكن التعذيب يستأنف متى عاد المتهم إلى رشده أو جفّ دمه ، فأذا اعترف المتهم واعتبر القضاة اعترافه صحيحاً، بمعنى أنه يتضمن عنصر التوبة كفّ عن تعذيبه . وإذا استطاع المتهم احتمال العذاب وأصرّ على الأنكار لم يفده ذلك شيئاً ، لأنّ القضاة يتخذون غالباً من الوقائع المنسوبة للمتهم أدلةّ على الأدانة ويحكم عليه طبقاً لهذا الاعتبار . ويجب أن يؤيد المتهم ما قاله وقت التعذيب ، بأعتراف حر يقرره في اليوم التالي ، وذلك حتى يؤكد صحة الاعتراف فاذاأنكر او غيرّ شيئاً أعيد الى تعذيب ؛

وبعد انتهاء التعذيب ، يحمل المتهم ممزّقاً دامياً الى قاعة الجلسة ، فيجيب عن التهم التي توجهّ إليه لأولّ مرة ، ويسئل عند تلاوة كلّ تهمة عن جوابه عنها مباشرة ، ثم يسئل عن دفاعه . وكان مبدأ الدفاع أمراً مقرّراً من الوجهة النظرية ، فأن كان له دفاع ، اختارت له المحكمة محامياً من المقيدّين في سجلّ الديوان للدفاع عنه،وقد يسمح للمتهم بأختيار محام من الخارج في بعض الأحوال الاستثنائية ؛ ويقسم المحامي اليمين بأن يؤدي مهمته بامانة ، وألا يعرقل الأجراءات بسوء نية، وأن يتخلىّ عن موكلّه إذا تبين له في أية مرحلة من مراحل الدعوى، أنّ الحق ليس في جانبه على أن الدفاع لم يكن في الغالب سوى ضرب من السخرية ولم يكن عملاً مأمون العاقبة ، ولم يكن يسمح للمحامي أن يطلع على اوراق القضية الأصلية ، أو يتصل بالمتهمّ على انفراد ، بل تقدّم إليه خلاصة التحقيق مرفقة بقرار الأحالة وقرار الأتهام وكان المحامي الذي يبدي في تأدية مهمته غيرة خاصة يخاطر بأن يقع تحت سخط الديوان .

وبعد المرافعة واستجواب المتهم، تحال القضية على الأحبار المقررين ليبدوا فيها رأيهم من جديد. وكانت هذه خطوة حاسمة في الواقع، لأنها تمهيد إلى الحكم النهائي. ويصدر الاحبار المقررون قرارهم، وقلما كان يختلف عن القرار الأول. فإذا كان الحكم بالأدانة، كان للمتهم فرصة الاستئناف أمام المجلس الأعلى (السوبريما). بيد أنها كانت على الأغلب فرصة عقيمة، إذ قلما كان المجلس الأعلى ينقض حكماً من الأحكام. وكان للمتهم أيضاً أن يلتمس العفو من الكرسي الرسولي، وكانت الخزانة البابوية تغنم من هذه الالتماسات أموالاً طائلة، فكانت فرصة لايستفيد منها سوى ذوي الغنى الطائل وقلما يصدر حكم البراءة أو « الاقالة » إذ أن أقل شك في براءة المتهم براءة مطلقة، كان يوجب اعتباره مذنباً من النوع الخفيف (de Ldvi.)، وعندئذ تصدر عليه عقوبات تتناسب مع ذنبه، ويقضى عليه أن يتطهر من كل شبهة للكفر وفقاً لأجراءات معينة. وإذا يقضى بالبراءة وهو ما يندر وقوعه، أطلق سراح المتهم، وأعطيت له شهادة لطهارته من الذنوب، وهي كل ما يعوض به عما أصابه في شخصه وفي شرفه وماله، من ضروب الأذى والآلام.

وأما إذا قضي بالأدانة، فأن الحكم لايبلغ للمتهم إلا عند التنفيذ، وهو إجراء من أشنع الأجراءات الجنائية التي عرفت، فيؤخذ المتهم من السجن دون أن يعرف مصيره الحقيقي، ويجوز رسوم الأيمان (الأوتودا في Auto-da-Fl) وهي الرسوم الدينية التي تسبق التنفيذ، وخلاصتها أن يلبس الثوب المقدس؛ ويوضع في عنقه حبل وفي يده شمعة، ويؤخذ إلى الكنيسة ليجوز رسوم التوبة ثم يؤخذ إلى ساحة التنفيذ، وهناك يتلى عليه الحكم لأول مرة. وقد يكون الحكم في حالة التهم الخطيرة بالسجن المؤبد والمصادرة، أو بالأعدام حرقاً في حالة الكفر الصريح. وقد يكون في حالة الذنوب الحقيقية بالسجن لمدة محدودة أو بالغرامة

وهو ما يسمى حكم التوفيق . وكانت أحكام الأعدام هي الغالبة في عصور قضايا الكفر . وكان التنفيذ يقع في ساحات المدن الكبيرة ، وفي احتفال رسمي يشهده الأحبار والكبراء بأثوابهم الرسمية ، وقد يشهده الملك . وكان يقع على الأغلب جملة ، فينفذ حكم الحرق في عدد من المحكوم عليهم ، وقد يبلغ العشرات أحياناً ، وينتظم الضحايا في موكب (الأوتودافي) التي اشتهرت في إسبانيا منذ القرن الخامس عشر ، والتي كانت بالرغم من مناظرها الرهيبة من الحفلات العامة التي تهرع لشهودها جموع الشعب . ومما يذكر في ذلك . أن فرديناند الكاثوليكي ، كان من عشاق هذه المواكب الرهيبة ، وكان يسره ان يشهد حفلات الأحراق ، وكان يمتدح الأحبار المحققين كلما نظمت حفلة منها . (١١)

وكان قضاء محاكم التحقيق بطيئاً ، يبث اليأس في النفوس ، وكان الأمر يترك لهوى القضاة في تحديد مواعيد دعوى المتهم ، والسير بأجراءات الدعوى : وكانت الأجراءات والمرافعات تستغرق وقتاً طويلاً ، وقد تستغرق الأعوام أحياناً : وقد يموت المتهم في سجنه قبل أن يصدر الحكم في قضيته .

وكان دستور ديوان التحقيق ، يجيز محاكمة الموتى و الغائبين . وتصدر الأحكام في حقهم وتوقع العقوبات عليهم كالأحياء ، فتصادر أموالهم ، وتعمل لهم تماثيل تنفذ فيها عقوبة الحرق ، أو تنبش قبورهم وتستخرج رفاتهم ، لتحرق في موكب « الأوتوذافي » .

وكذلك يتعدى أثر الأحكام الصادرة بألأدانة من المحكوم عليه إلى أسرته وولده ، فيقضي بحرمانه من تولي الوظائف العامة ، وامتهان بعض المهن الخاصة ، وبذا يؤخذ الأبرياء بذنب المحكوم عليهم . (١٢)

---

(١١) Dr. Lea : ibid ; V.I .

(١٢) نهاية الأندلس (٣١٦ — ٣٢١) .

٥ — هذا استعراض موجز لأجراءات تلك المحاكم الكنسية الشهيرة التي سودت بقضائها المروّع صحف التاريخ الأسباني زهاء ثلاثة قرون، وقد بث ديوان التحقيق منذ قيامه بقضائه وأساليبه، حوله جواً من الرهبة والروّع. ولما ذاع بطشه وعسفه، عمد كثير من النصارى المحدثين من يهود ومسلمين إلى الفرار، حتى اضطرت الحكومة أن تصدر سنة (١٥٠٢ م) قراراً يحرّم على ربّان أية سفينة وأيّ تاجر، أن ينقل معه نصرانياً محدثاً دون ترخيص خاص، وقبض بهذه الصورة على كثير من النصارى المحدثين، في مختلف الثغور الأسبانية، واحيلوا إلى المحاكم التحقيق. وكان اعضاء محاكم التحقيق يتمتعون بحصانة خارقة، وسلطان مطلق، تنحني أمامه أية سلطة، وتحمى أشخاصهم وتنفذ أوامرهم بكل وسيلة. وكان من جراء هذه السلطة المطلقة، وهذا التحلل من كل مسؤولية، أن ذاع في هذه المحاكم الغسف وسوء استعمال السلطة، والقبض على الأبرياء دون حرج، بل كثيراً ما وجد بين المحققين رجال من طراز اجرامي، لايتورعون عن ارتكاب الغصب والرشوة وغيرها لملء جيوبهم، وكانت أحكام الغرامة والمصادرة أخصب مورد، لاختلاس المحققين والمأمورين وعمال الديوان وقضاته، وكانت الملكية ذاتها تغتنم مئات الألوف من هذا المورد، هذا بينما يموت أصحاب هذه الأموال الطائلة في السجن جوعا (١٣). وكان يبلغ من عسف الديوان أحياناً، أن يبسط حكم الأرهاب في بعض المناطق، وهذا ما حدث في قرطبة على يد المحقق العام لوسيرو، الذى يعتبر من أشدّ المحققين قسوة وإجراما. ففى عهده ذاعت جرائم النهب واغتصاب البنات والزوجات، وتعالت الصيحة بالشكوى من هذا العدوان الفضيع، الذى يجرى باسم الديوان المقدّس وفي ظله، والذى يضم اسم الديوان والحكومة، واستغاث كبراء قرطبة بالملك، وجرت في الموضوع تحقيقات طويلة، انتهت بالقبض على المحقّق العام وعزله (١٤)

(١٣) Dr. Lea : ibid, V.I. P. 190-129.

(١٤) Dr. Lea : ibid, V.I. P. 210.

وكان العرش يعلم بأمر هذه الآثام المثيرة التي تصم سمعة الديوان والمحققين ، ولا يستطيع دفعاً لها ؛ لما بلغه الديوان من السلطان الذى لايناهضه سلطان آخر ، ولأنّ العرش كان يرى فيه في الوقت نفسه أصلح أداة في تنفيذ سياسته في إبادة الموريسكيين. وفي الوصية التى تركها فرديناند الكاثوليكى عند وفاته في (كانون الثاني – يناير – ١٥١٦ م) ، لحفيـده شارل الخامس ، ما يلقي ضياءً على هذه الحقائق ، ففيها بحث عن حماية الكثلكة والكنيسة ، واختيار المحققين ذوي الضمائر الذين يخشون الله ، لكي يعملوا في عدل وحزم، لخدمة الله وتوطيد الدين الكاثوليكىّ ، كما يجب أن يضطرموا حماسة لسحق طائفة محمد (١٥) .

ولمـا توفي فرديناند ، كان المحقق العـام هو الكاردينال خمنيس مطران طليطلة ، الذين أبدى من الحماسة في مطاردة المسلمين وتنصيرهم ، مـا سبقت الأشارة إليـه . وقد حاول خمنيس أن يطهّر قضاء الديـوان وسمعته ، فعزل كثيراً من المحققين الذيـن لايرُغب فيهم ، ولكنه ولـم يعش طويلاً ليتـم خطته في الأصلاح ، فعادت المساوئ القديمة أشد مما كانت ، وسار الديوان في قضائه المدمر وأساليبه المثيرة ، لايلوي على شئ . ولما جلس شارل الخامس على العرش ، كتب إلى مجلس قشتالة يقول : إنّ سلام المملكة ، وتوطيد سلطانه ، يتوقفان على تأييده لديوان التحقيق ، ولم يرشارل بعد مدّة من التردّد ، إلا أن ينزل عند هذا النصح ، أن يفسح الطريق لسلطان الديوان القاهر ، وذهبت كل الجهود للحدّ من عسف الديوان وعيثه سدى ، وتوطدّ سلطان الديوان بقشتالة مدى قرون ثلاثة ، كانت في الواقع أخطر ما في حياة الشعب الأسبانيّ (١٦) .

---

(١٥) Dr. ibid ; cit. Mariana. - V.I. P. 215

(١٦) Dr. Lea ; ibid ; V.I. P. 250

و – وقد رأينا كيف أنشئ ديوان التحقيق الأسباني في الأصل ؛ لمطاردة الكفر وحماية الكثلكة من شبه المروق والزيغ ، وكان إنشاؤه في قشتالة قبل انهيار مملكة غرناطة بقليل ، وكان يهود الذين تمتعوا عصوراً بالحرية والأمن في ظل الحكم الأسلامي ، أول ضحايا سياسة الأرهاق والمحو التي رسمتها إسبانيا الجديدة . ذلك أنه ما كادت تسقط غرناطة في أيدى الملكيين الكاثوليكيين، وما كاد يهود ينتقلون الى الحكم الجديد ، حتى شهرت عليهم السياسة الأسبانية حربها الصليبية ، وأصدر الملكان قرارهما الشهير في (٣٠ آذار – مارس سنة ١٤٩٢ م) وهو يقضي بأن يغادر سائر يهود – الذين لم يتنصروا – من أيّ سن وظرف ، أراضي مملكة قشتالة في ظرف أربعة أشهر من تاريخ القرار ، وألاّ يعودوا إليها قط ، ويعاقب المخالفون بالموت والمصادرة ، ويجب ألايقوم أحد من سكان مملكة قشتالة على حماية وإيواء اي يهودي أويهودية سراً أو جهراً متى انتهى هذا الأجل، ولليهود أن يبيعوا أملاكهم خلال هذه المدة، وأن يتصرفوا فيها على وفق مشيئتهم(١٧). فأذعن كثير من يهود للتنصير إشفاقاً على الوطن والمال، وهلك كثير منهم في سجون الديوان المقدس ومحارقه . أو شرّدوا في مختلف الأقطار بعد التشريد والحرمان بل لم ينجُ للتنصرون منهم . من المطاردة والأرهاق لأقلّ الشبهة كما ذكرنا . ولقيت طوائف المدجّنين من بقايا الأمة الأندلسية ، وهي التي بقيت في بعض مدن قشتالة وأراغوان في ظلّ الحكم النصرانيّ ، نفس المصير المحزن . وبدأ ديوان التحقيق نشاطه في قشتالة منذ سنة (١٤٨٠ م) ، قبيل انهيار مملكة غرناطة بقليل ، وأقيمت محارقه الأولى في إشبيلية عاصمة المملكة . فلما سقطت غرناطة ، وطويت بسقوطها صفحة الدولة الأسلامية في الأندلس ، ووقع ملايين المسلمين في قبضة إسبانيا النصرانية ، ولما أكره المسلمون على التنصير . واستجابت بقايا الأمة الأندلسية

---

(١٧) Arachivo genaral de Simancas: P. R. Legajo 28; Fol. 6.

إلى طوائف الموريسكيين ،ألفى ديوان التحقيق في هذا المجتمع النصرانيّ المحدث أخصب ميدان لنشاطه ، وغدت محاكم التحقيق يد الكنيسة القوية في تحقيق غاياتها البعيدة . ذلك أنّ هذه المحاكم الشهيرة كانت تضطلع بمهمة مزدوجة دينية وسياسية معاً ، فكانت تعمل باسم الدين لتحقيق أغراض السياسة ، وكان للسياسة الأسبانية بعد ظفرها النهائى بأخضاع الأمة الأندلسية أمنية أخطر وأبعد مدى ، هي القضاء على بقايا هذه الأمة المسلمة ، وسحق دينها وكل خواصها الجنسية والاجتماعية ، وإدماجها في المجتمع النصرانيّ . ولم تشأ السياسة الأسبانية أن تترك تحقيق هذه الغاية لفعل الزّمن والتطوّر التاريخي ، بل رأت نزولاً على وحي الكنيسة وتوجيهها المباشر ، أن تعجّل بأجراءات التنصير والقمع ، وأن تذهب في ذلك إلى حدود الأسراف والغلو ؛ هى التي اسبغت على مأساة الموريسكيين أو العرب المتنصّرين صبغتها المفجعة ، كما أسبغت على السياسة الأسبانية المعاصرة وصمة عار ، لم يمحها إلى اليوم كرّ الأجيال والعصور ، وستبقى تلك الوصمة ما بقيت الحياة .

وقد اضطلع ديوان التحقيق الأسبانى بأعظم قسط من هذه الأجراءات الهمجية،التى أريد بها تنفيذ حكم الأعدام في أمة بأسرها،وأخضعت غرناطة لديوان التحقيق منذ سنة (١٤٩٩ م) أعنى مذ أكره المسلمون على التنصير ، ولكنها جعلت من اختصاص محكمة التحقيق في قرطبة ، وهكذا بدأ الديوان المقدس أعماله في غرناطة ، بحماس يذكيه احتشاد الضحايا من حوله . ولم تغفل الرواية الاسلامية أن تشير إلى محارق ديوان التحقيق ، أو إحراق المسلمين بتهمة المروق أو الزّيغ ، ولم يجد المسلمون الذين أثرو البقاء في الوطن القديم،وأكرهوا على التنصير واعتناق الدين الجديد ، ملاذاً أوعاصماً من الأضطهاد والمطاردة . ذلك أن الموريسكيين أو العرب المتنصرين لبثوا دائماً موضع البغض والريب ،

وأبت إسبانيا النصرانية بعد أن أرغمتهم على أعتناق دينها . أن تضمهم إلى حضيرتها ، وأبت الكنيسة الأسبانية أن تؤمن بأخلاصهم لدينهم الجديد ، ولبثت تتوجس من رجعتهم وحنانهم لدينهم القديم ؛ وترى فيهم دائماً منافقين مارقين وهكذا كانت السياسة الأسبانية . كما كانت الكنيسة الأسبانية، أبعد من أن تقنع بتنصير المسلمين الظاهري ؛ وإنما كانت ترمى إلى إبادتهم، ومحو آثارهم ودينهم وحضارتهم . وكلّ ذكرياتهم .

والواقع أنّ الموريسكيين لبثوا بالرغم من تنصرهم ؛ نزولاً على حكم القوّة والأرهاب ، مخلصين في سرائرهم لدينهم الأسلامي ولم تستطع الكنيسة بالرغم من جهودها الفادحة أن تحملهم على الولاء لدين قاسوافي سبيل أعتناقه ضروباً مروّعة من الآلام النفسية والاضطهاد المضني . وإليك مايقوله مورّخ إسبانيّ كتب قريباً من ذلك العصر ، وأدرك الموريسكيين ، وعاش بينهم حيناً في غرناطة : « كانوا يشعرون دائماً بالحرج من الدين الجديد ، فأذا ذهبوا إلى القدّاس أيام الآحاد، فذلك فقط من باب مراعاة العرف والنظام، وهم لم يقولوا الحقائق قط خلال الاعتراف . وفي يوم الجمعة يحتجبون ويغتسلون ويقيمون الصلاة في منازلهم المغلقة . وفي أيام الآحاد يحتجبون ويعملون . وإذا عمّد أطفالهم عادوا فغسلوهم سراً بالماء الحار . ويسمون اولادهم بأسماء عربية ، وفي حفلات الزواج متى عادت العروس من الكنيسة بعد تلقيّ البركة ، تنزع ثيابها النصرانية، وترتدى الثياب العربية. ويقيمون حفلاتهم وفقاً للتقاليد العربية(١٨)

وقد انتهت إلينا وثيقة عربية مهمة تلقي ضوءاً كبيراً على أحوال الموريسكيين في ظلّ التنصير، وتعلقهم بدينهم الأسلامي . وكيف كانوا يتحيلون لمزاولة شعائرهم الأسلامية خفية ، ويلتمسون من جهة أخرى سائر الوسائل والأعذار

---

(١٨) Marmal, ibid 11 ; Cor, I.

الشرعية التى يمكن أن تسوّغ مسلكهم ، وتشفع لهم عند ربهم ، مما يرغمون عليه من اتباعه من الشعائر النصرانية . وهذه الوثيقة هي عبارة عن رسالة وجهت من أحد فقهاء المغرب إلى جماعة العرب المتنصرين ممن يسميهم : « الغرباء » ، يقدم لهم بعض النصائح التى يعاون اتباعها على تنفيذ أحكام الأسلام خفية ، وبطريق التورية والتستر . وتاريخ هذه الرسالة هو غرّة رجب سنة (٩١٠هـ) = (٢٨ تشرين الثاني– نوفمبر ١٥٠٤ م) ، وإليك نص هذه الوثيقة : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر ، ممّن أجزل الله ثوابهـم ، فيما لقوا في ذاته ، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته ، الغرباء القرباء إن شـاء الله ، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته ، وارثو سبيل السلف الصالـح ، في تحمل المشاق ، وإن بلغت النفوس إلى التراق ، نسأل الله أن يلطـف بنا ، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه بحسن إيمان وصدق ، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كلّ ضيق مخرجا . بعد السلام عليكم، من كاتبه من عبيده الله أصغر عبيده ، وأحوجهم إلى عفوه ، ومزيـده ، عبيـد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوى ثم الوهرانى ، كان الله للجميع بلطفه وستره ، سائـلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء ، بحسن الخاتمة والنجاة من اهوال هذه الدار ، والحشر مع الذين انعم الله عليهم (F:2) من الأبرار ، و مؤكداً عليكم في ملازمة دين الأسلام ، آمرين به مَن بلغ من أولادكم . إن لم تخافوا دخول شـر عليكم من اعلام عدوكم بطويتكم ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وإنّ ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى ؛ فاعلموا أنّ الأصنام خشب منجور ، وحجر جلمود ، لايضرّ ولاينفع ، وأن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من أله ، فاعبدوه واصطبرو لعبادته : فالصلاة ولو بالأيماء ، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أورياء ؛ لأن الله لاينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم ؛ والغسل

من الجنابة ولو عوماً في البحور ، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار وتسقط في الحكم طهارة الماء وعليكم . بالتيمم ولو مسحاً بالأيدى للحيطان ، فأن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء (F. 1-3) والصعيد ألأ أن يمكنكم الأشارة اليه بالأيدى والوجه الى تراب طاهر أو حجر أو شجر مايتيمم به ، فاقصدوا بالأيماء ، نقله ابن ناجى في شرح الرسالة لقوله عليه السلام : فأتومنه ما استطعتم . وإن أكرهوكم في وقت صلاة الى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية ، وانووا صلاتكم المشروعة ، وأشيروا لما يشيرون اليه من صنم ، ومقصودكم الله ، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام ، وإن أجبروكم على شرب خمر ، فاشربوه لابنية استعماله . وإن كلفوا فيكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه ، وكذا إن أكرهوكم على محرّم . وإن زوّجوكم بناتهم فجائز لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على (F. 3-2) إنكاح بناتكم منهم ، فاعتقدو تحريمه لولا الأكراه ، وإنكم ناكرون لذلك في قلوبكم ، ولو وجدتم قوّة لغيرتموه . وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام . فافعلوه منكرين بقلوبكم . ثم ليس لكم إلاّ رؤس أموالكم ، وتتصدقون بالباقي ، إن تبتم الى الله تعالى . وإن أكرهوكم على كلمة الكفر . فأن أمكنكم التورية والألغاز فافعلوا ، وإلأ فكونوا مطمئنيّ القلوب بالأيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك . وإن قالوا : اشتموا محمداً ، فأنهم يقولوا له : مُحَمّد ، فاشتموا مُحَمّداً ، ناوين انهّ الشيطان أو مُحَمّد يهود فكثير بهم اسمه وإن قالو : عيسى ابن الله . فقولوها إن أكرهوكم وانووا إسقاط مضاف ، أى عبداللّه مريم معبود بحق . وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله ، فقولها أكراها . وانوا بالاضافة للملك كبيت الله لايلزم أن يسكنه أو يحل به ، وإن قالوا : مريم زوجة له . فانووا بالضميرا ابن عمتها الذى تزوّجها في بنى إسرائيل ثم فارقها قبل البناء . قاله السهيلي في تفسير

المبهم من الرجال في القرآن ، أو زوّجها الله منه بقضائه وقدره . وإن قالو عيسى توفى بالصلب ، فانووا بالتوفية والكمال والتشريف من هذه ، وإماتته وصلبه وإنشاد ذكره ، وأظهار الثناء عليه بين الناس ، وأنّ استوفاه الله برفعه إلى العلوّ ، وما يعسر عليكم فابعثوا (F. 4-1) فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به ، وانا أسأل الله أن يديل الكره الأسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من غير محنة ولا وجلة ، بـل بصدمة الترك الكرام . ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به . ولابدّ من جوابكم والسلام عليكـم جميعاً . بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسعمائة ، عرف الله خيره » .

« يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى » (١٩) .

ومن ثمّ فقد لبث الموريسكيون ، شغلاً شاغلاً للكنيسة وللسياسة الأسبانية ، فهم عنصر بغيض في المجتمع الاسباني ، وهـم خطر على الدونة وعلى الوطن ، وهم بالرغم من ردّتهم ما زالوا خونة مارقين ، وما زالوا أعـداء للدين في سريرتهم . وكان يذكي هـذا البغـض والتحامـل ضد الموريسـكيين كل تذمر من جانبهم . فلما دفعهم اليأس إلى الثورة في مفاوز البشرّات ، ولما آنست

---

(١٩) نهاية الأندلس (٣٢٥ – ٣٢٧) وقد عثر مؤلف الكتاب على هذه الوثيقة خلال بحوثـه في مكتبة الفاتيكان الرسونية بروما ، وهي تقـع ضمن مجموعة خطية من المخطـوطات البورجوانيـة (Bargiani) ، وقـد وصف هذا المخطوط في فهرست مكتبة الفاتيكان (فهرس دلافيدا) بأنه : « المقدمة القرطبية . وفي صفحة عنوانه بأنه: « كتاب نزهة المستمعين وتشغل هذه الوثيقة في المخطوط المشار إليه أربع صفحات (١٣٦–١٣٩) ولهذه الوثيقة ترجمة قشتالية ، انظر :

P. Longas : La Vida Religiosa de lea Moriscos (P. 305-307)

السياسة الأسبانية أنّ هذه البقية الممزقة من الأمة الأندلسية القديمة ما زالت تجيش برمق من الحياة والكرامة ، رأت أن تضاعف إجراءات القمع والمطاردة ، ضدّ هذا الشعب المهيض الأعزل ، حتى لا ينبض بالحياة مرة اخرى . وكانت ثورة البشرات نذير فورة جديدة من هجرة الموريسكيين إلى ماوراء البحر ، فجازت منهم إلى افريقيا جموع عظيمة ، ولكنّ الكثرة الغالبة منهم بقيت في الوطن القديم ، هدفاً للاضطهاد المنظم ، والقمع الذريع المدني والديني ، إلى جانب الأوامر الملكية بمنع الهجرة ، وحظر التصرف بالأملاك وحمل السلاح وغيرها من القوانين المقيدة للحقوق والحريات ، كان ديوان التحقيق من جانبه يشدّد الوطأة على الموريسكيين . ويرقب كل حركاتهم وسكناتهم ، ويغمرهم بشكوكه وريبه . ويتخذ من اقل الأمور والمصادفات ذرائع لاتهامهم بالكفر والزيغ ، ومعاقبتهم بأشد العقوبات وأبلغها . وقد نقل الينا الدون اورنتي مؤرخ ديوان التحقيق الأسباني . وثيقة من أغرب الوثائق القضائية . تضمنت طائفة من القواعد والأصول التي رأى الديوان المقدّس أن يأخذ بها العرب المتنصرين . في تهمة الكفر والمروق ، ومنه هذه الوثيقة الغريبة :

« يعتبر الموريسكي أو العربي المتنصر قد عاد إلى الأسلام ، إذا امتدح دين محمد أو قال : إن يسوع المسيح ليس الهاً ، وليس إلاّ رسول ، أو إنّ صفات العذراء أو اسمها لاتناسب أمهّ . ويجب على كل نصرانيّ أن يبلغ عن ذلك ، ويجب عليه ايضاً أن يبلغ عما أذا كان قد رأى أو سمع . بأن أحداً من الموريسكيين يباشر بعض العادات ألأسلامية . ومنها أن يأكل اللحم في يوم الجمعة . وهو يعتقد أن ذلك مباح ، وأن يحتفل بيوم الجمعة بأن يرتدي ثياب أنظف من ثيابه العادية ، أو يستقبل المشرق قائلاً بأسم الله . أو يوثق أرجل الماشية قبل ذبحها ، أو يرفض أكل تلك التي لم تذبح . أو ذبحتها امرأة ، أو يختن ألاوده .

أو يسميهم بأسماء عربية ، أو يعرب عن رغبته في اتباع هذه العادة ، أويقول : إنهّ يجب ألاّ يعتقد إلاّ في الله وفي رسوله محمد ، أو يقسم بأيمان القرآن ، أو يصوم رمضان ويتصدق خلاله ، ولايأكل ولايشرب إلاّ عند الغروب ، أو يتناول الطعام قبل الفجر (السحور) ، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، أو يقوم بالوضوء والصّلاة ، بأن يوجه وجهه نحو الشرق ويركع ويسجد ويتلو سوراً من القرآن . أو أن يتزوج طبقاً لرسوم الشريعة الأسلامية ، أو ينشد الأغاني العربية ، أو يقيم حفلات الرقص والموسيقى العربية ، أو أن تستعمل النساء الخضاب في ايديهنّ أو شعورهنّ ، أو يتبع قواعد محمد الخمس ، أو يملّس بيديه على رؤس أولاده أو غيرهم تنفيذاً لهذه القواعد ، أو يغسل الموتى ويكفنهم بأثواب جديدة ، أو يدفنهم في أرض بكر ، أو يغطي قبورهم بالأغصان الخضراء أو أن يستغيث بمحمد عند الحاجة ، منعتاً أياه بالنبيّ ورسول الله أو يقول : إنّ الكعبة أول معابد الله ، أو يقول إنه لم ينصّر إيماناً بالدين المقدّس ، أو : إنّ آباءه وأجداده قد غنموا رحمة الله ، لأنهم ماتوا مسلمين .....الخ» .(٢٠)

كانت هذه الشبه وأمثالها تتخذ ذريعة للتنكيل بالموريسكيين ، بالرغم من تنصرهم وانتمائهم الى دين سادتهم الجدد . ومن الطبيعي أن يكون موقف المسلمين الذين آثروا الاحتفاظ بدينهم أدقّ وأخطر ، وكانت قد بقيت منهم جماعات كبيرة في غرناطة وبلنسية وغيرها ، يعيشون في غمرة من الجزع الدائم . وكانت محارق ديوان التحقيق تلتهم الكثير من هؤلاء وهؤلاء ، لأقلّ الشبه والوشايات . ولقد كان الأسراف في مطاردة المسلمين والموريسكيين نذير السّخط والثورة ، ولكن الثورة . أخمدت ولم تعدل السياسة الأسبانية عن مسلكها ، وضاعفت

---

(٢٠) Don Antonio Loreate : Historia Critica de la Janquisicion de Espana.

وايضاً Dr. Lea : The Moriscos, P. 130 - 131.

محاكم التحقيق إجراءات القمع والتنكيل. وقد اتصل المسلمون في الأندلس بملوك مصر والمغرب والقسطنطينية، يستغيثون بهم ويستصرخونهم، ويطالبونهم بنصرة إخوانهم من ظلم إسبانيا النصرانية وديـوان التحقيق، وكانت اخبار مـا يعانيه المسلمون والعرب المتنصرون في إسبانيا النصرانية شائعة في الأقطار الأسلامية وفي غيرهـا، من دون أن يمد الحكام المسلمون العون لمسلمي الأندلس وللعرب المتنصرين، كأنّ الأمر لا يعنيهم من بعيد ولا قريب.

وقـد كتب المسلمون الاندلسيون رسائـل الى حكام المسلمين، فكانـت السياسة الأسبانية تتخذ من هذه الرسائل التى يوجهها العرب المتنصرون والمسلمون الى أخوانهم المسلمين في ما وراء البحر، كلما تفاقمت آلامهم ومحنتهم وازداد الضغط عليهم، ذريعة للاشتداد في مطاردتهم وعدهم خطراً على سلامة الدولة لأنهم يأتمرون بها مع ملوك الدولة الأسلامية أعداء اسبانيا النصرانية (٢١).

٤ـ ذروة الاضطهاد وثورة الموريسكيين

أ ـ لبث الموريسكيون في عهد فرديناند الخامس (الكاثوليكى) زهاء عشرين عاماً، يتراوحون بين الرجاء واليأس، ويرزحمون تحت وطأة المطاردة المنظمة. وكان هذا الشعب المهيض الذى تنصر قسراً، والذى انكرته مع ذلك إسـبانيـا سيدته الجديدة، وأنكرته الكنيسة التى عملت على تنصيره، يحاول أن يروض نفسه على حياته الجديـدة، وأن يتقبل مصيره المنكود بـإبـاء وجلد. ولكن إسبانيا النصرانية، لبثت ترى في هذه البقية الباقية من الأمة الأندلسية، عدوها القديم الخالد، وتتصوّر أنّ هذا المجتمع المهيض الأعـزل الذي أحكمت أغلالها فى عنقه ما يزال مصدر خطر دائم على سلامتها وطمأنينتها، ومن ثم كان هذا الأمعان في مطاردته وإرهاقه، بمختلف الفروض والقيود والمغانم. وفي

(٢١) نهاية الأندلس (٣١١–٣٣١). انظر : Predcott, G. T. Zurita (Bnales) ; ibid; P. 69 7 (notc).

انتهاك عواطفه وحياته ، وفي تعذيبه وتشريده ، وكان يلوح أن ليس لهذا الاستشهاد الطويل المؤثر من آخر سوى الفناء ذاته .

توفي فرديناند الكاثوليكي في (١٣ كانون الثاني – يناير ١٥١٦ م) بعد أن عانت بقية الأمة الأندلسية من غدره وعسفه ما عانت، وكانت زوجته الملكة إيزابيلا قد سبقته إلى القبر قبل ذلك بأحد عشر عاماً ، في (٢٦ تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٥٠٤ م) ، ودفنت تحقيقاً لرغبتها في غرناطة ، في دير سان فرانسيسكو القائم فوق هضبة الحمراء ، ودفن فرديناند الى جانب زوجته بالحمراء تحقيقاً لوصيته ، ثم نقل رفاتهما في ما بعد إلى كنيسة غرناطه العظمى ، التي أقيمت فوق موقع مسجد غرناطة الجامع في عهد حفيدهما الأمبراطور شالكان : وأقيم لهما فيها ضريح رخامي فخم ، ما يزال حتى اليوم في مقدمة مزارات غرناطة النصرانية . وفي دفن مستبعدي غرناطة الأسلامية في حرم غرناطة القديم ، مغزى خاص ينطوي على تنويه ظاهر بظفر إسبانيا ، وظفر النصرانية على الأسلام .

وقد كان الغدر والرياء ، أبرز صفات هذا الملك العظيم المظفر !! الذي أتيح له القضاء على دولة الأسلام بالاندلس . وقد نوه بهذه الصفة الذميمة أكابر المؤرخين المعاصرين واللاحقين ، ومنهم المؤرخون القشتاليون أنفسهم (٢٢) . فمثلاً يقول المؤرخ ثوريتا (Zurita) وهو من أكابر المؤرخين الأسبان في القرن السادس عشر في وصفه : « وكان مشهوراً ، لابين الأجانب فقط ،ولكن بين مواطنيه أيضاً ، بأنه لا يحافظ على الصدق ، ولا يراعي عهداً قطعه ، وأنه كان يفضل دائماً تحقيق صالحه الخاص على كل ما هو عدل وحق » (٢٢) . ويقول معاصره مكيافيللي فيه : « إن فرديناند الأرغوني غزا غرناطة في بداية حكمه ،

---

(٢٢) Don-Antonio-Loreate -: Historis Critica de lr Janquision de Espana.
Dr. Ler : The Moriscos, 130-131.

وكان هذا المشروع دعامة سلطانه . وقد استطاع بدال الكنيسة والشعب أن يمدّ جيوشه ، وأن يضع بهذه الحرب أسس البراعة العسكرية التي امتاز بها بعد ذلك ، وقد كان دائماً يستعمل الدين ذريعة ليقوم بمشاريع أعظم ، وقد كرّس نفسه بقسوة تسترها التقوى لأخراج المسلمين من مملكته وتطهيرها منهم ، وبمثل هذه الذريعة غزا إفريقية ، ثمّ هبط إلى إيطاليا ، ثم هاجم فرنسا ... » (٢٣) . وكانت سياسة فرديناند الكاثوليكي مثال الغدر المثير في جميع ما اتخذه نحو معاملة المسلمين عقب تسليم غرناطة ، وما تلاه من حوادث تنصيرهم قسراً ، ثم اضطهادهم : ومطاردهم بأقسى الوسائل ، وأشدّها إيلاماً لمشاريعهم وأرواحهم .

فلما توفي فرديناند ، وخلفه حفيده شارل أو كارلوس الخامس الأمبراطور (شارلكان) بعد مدة قصيرة من وصاية الكاردينال خمنيس على العرش تنفس الموريسكيون الصعداء ، وهبت عليهم ريح جديدة من الأمل ، ورجوا أن يكون العهد الجديد خيراً من سابقه . وأبدى الملك الجديد في الواقع شيئاً من اللين والتسامح نحو المسلمين والموريسكيين ، وجنحت محاكم التحقيق إلى نوع من الاعتدال في مطاردتهم ، وكفت عن التعرّض لهم في أراغون بسعي النبلاء والسادة الذين يعمل المسلمون في ضياعهم . ولكن هذه السياسة المعتدلة لم تدم سوى بضعة أعوام ، وعادت العناصر الرجعية في البلاط وفي الكنيسة ، فغلبت كلمتها ؛ وصدر مرسوم جديد في (١٢ آذار - مارس سنة ١٥٢٤) يحتمّ تنصير كلّ مسلم بقي على دينه ، وإخراج كلّ من أبى النصرانية من إسبانيا ؛ وأن يعاقب كلّ مسلم أبى التنصير أو الخروج في المهلة الممنوحة بالرقّ مدى الحياة ، وأن تقلب جميع المساجد الباقية إلى كنائس .

عندئذ استغاث المسلمون بالأمبراطور والتمسوا عدله وحمايته ، على يد وفد منهم بعثوه إلى مدريد ؛ ليشرح للمليك ظلامتهم وآلامهم (سنة١٥٢٦ م) ،

---

(٢٣) Machia Velli : The Priac (Eueryman), P. 177-178 .

فندب الأمبراطور محكمة كبرى من النواب والأحبار والقادة وقضاة التحقيق برئاسة المحقق العام ، لتنظر في ظلامة المسلمين ، ولتقرر بالأخص ما إذا كان التنصير الذي وقع على المسلمين بالأكراه ، يعتبر صحيحاً ملزما ، بمعنى يحتم عقاب المخالف بالموت أم يطبق عليهم القرار الجديد كمسلمين . وقد أصدرت المحكمة قرارها بعد مناقشات طويلة ن التنصير الذي وقع على المسلمين لاتشوبه شائبة ، لأنهم سارعوا بقبوله اتقاء ما هو شرّ منه ، فكانوا في ذلك أحراراً في قبوله . ويعلق المؤرخ الغربي النصراني على ذلك القرار بقوله : « وهكذا اعتبر التنصير الذي فرضه القوي على الضعيف ، والظافر على المغلوب ، والسيد على العبد ، منشئاً لصفة لا يمكن لأرادة معارضة أن تزيلها » (٢٤) . وعلى أثر ذلك صدر أمر ملكيّ بأن يرغم سائر المسلمين الذين نصّروا كرهاً ، على البقاء في إسبانيا ، باعتبارهم نصارى ، وأن ينصّر كلّ أولادهم ، فأذا ارتدّوا عن النصرانية ، قضي عليهم بالموت والمصادرة ، وقضى الأمر في الوقت نفسه أن تحوّل جميع المساجد الباقية في الحال إلى كنائس . فكان لهذه القرارات لدى المسلمين أسوأ وقع وما لبثت الثورة أن نشبت في معظم الأنحاء التي يقطنها المسلمون ، في سرقسطة وفي منطقة بلنسية وغيرهما ، وأخمدت هذه الثورات المحلية الضئيلة تباعاً . ولكن بلنسية كان لها شأن آخر ، ذلك أنها كانت تضم حشداً كبيراً من المسلمين ، يبلغ سبعة وعشرين ألف أسرة (٢٥) ، وكان وقوعها على البحر ، يمهد للمسلمين سبل الأتصال بأخوانهم في المغرب ، ومن ثمّ فقد كانت دائماً في طليعة المناطق الثائرة ، وكانت الحكومة الأسبانية تنظر إليها

---

(٢٤) راجع تاريخ De Marles الذي وضعها بالاقتباس من تاريخ كوندي :
Domination des Arabes Espogne; V.III. P. 389.
Hist de la

(٢٥) Lorenli; ibid

باهتمام خاص ؛ فلما فرض التنصير العام ؛ أبدى المسلمون في بلنسية مقاومة عنيفة ، ولجأت جموع كبيرة منهم إلى ضاحية (بني وزير Benaguacil) واضطرت الحكومة أن تجرّد عليهم قوّة كبيرة مزوّدة بالمدافع ، وأرغم المسلمون في النهاية على التسليم والخضوع ، وأرسل إليهم الأمبراطور إعلان الأمان على أن ينصّروا وعدّلت عقوبة الرق إلى الغرامة (٢٦) . وفي باقي ولاية أراغون ، أشفق السادة والنبلاء على مصالحهم وضياعهم من الخراب ، إذا اضطهد المسلمون ومزّقوا ، كما حدث في بلنسية ، فأوضحوا للأمبراطور خطأ هذه السياسة ، وأكدّوا له أنّ المسلمين في أراغون جماعة عاملة هادئة ذلولة ، لم ترتكب جرماً قط ، ولم تبدر منهم خطيئة دينية أو سياسية ومعظمهم زراع في أراضي الملك والسادة ، ومنهم صناع مهرة ، فأخراجهم من أراغون خسارة فادحة . ولا داعي لأرغامهم على التنصر ، لأنّ ذلك لا يعني إخلاصهم للدين الجديد ، ومن الخير أن يتركوا في سلام ؛ ولكن مساعي السادة والنبلاء في هذا السبيل ذهبت عبثاً ، وأصرّ الأمبراطور على أن يطبّق التشريع الجديد على جميع مسلمي أراغون ، وأصدر أوامره إلى ديوان التحقيق ، أن يقوم بتلك المهمة ، فأذعن المسلمون إلى التنصير راغمين ، وبذلك تم تنصيرهم جميعاً (سنة ١٥٢ م) . وتوالت الأوامر والقوانين المرهقة ، فصدر قانون يحظر على الموريسكيين بيع الحرير والذهب والفضة والحلي والأحجار الكريمة ؛ وحتم على كلّ مسلم بقي على دينه أن يحمل شارة زرقاء في قبعته ، وحظر عليهم حمل السلاح إطلاقاً ، وإلاّ عوقب المخالفون بالجلد ، وأمروا أن يسجدوا في الشوارع متى مرّ كبير الأحبار . وفي بلنسية صدر قرار بأن يغادر المسلمون الأراضي الأسبانية من طريق الشمال ، وحظر على السادة أن يبقوهم في ضياعهم ، وإلاّ عوقبوا بالغرامة الفادحة . فعاد المسلمون

---

(٢٦) Dr. Lea : The Moriscos; P. 91 - 92

في بلنسية إلى الثورة ، وقاوموا جند الحكومة حيناً ، ولكن الثورة ما لبثت أن أخمدت وتقدّم المسلمون خاضعين على يد وفد منهم مثّل في البلاط ، يعرضون الدخول في النصرانية ، على أن تحقق لهم بعض المطالب والظروف المخففة ، فلا يمتد اليهم قضاء ديوان التحقيق مدى أربعين عاماً ، لا في أنفسهم ولا في أموالهم ، وأن يحتفظوا خلال هذه المدة بلغتهم وملابسهم القومية ، وبعض حقوقهم في الزواج والميراث طبقاً لتقاليدهم ، وأن ينفق على مَن كان منهم من الفقهاء من دخل الأراضي التي وقفها المسلمون لأغراض البر ، ويرصد الباقي لأنشاء الكنائس الجديدة ، وأن يسمح لهم بحمل السلاح وتخفيض الضرائب (٢٧) . ولكن مجلس الدولة رأى أن يطبقً عليهم سائر الأوامر ، التي طبقت على الموريسكيين في غرناطة وغيرها ، وأن يسمح لهم بالاحتفاظ بلغتهم وأزيائهم مدى عشرة أعوام فقط ، وأن يمنحوا بعض الأمتيازات في ما يتعلق بالزواج ودفع الضرائب . وكانت هذه المنح أفضل ما يمكن نيله في هذه الظروف ، فأقبل المسلمون في منطقة بلنسية على التنصر أفواجاً ، ماعدا أقلية صغيرة آثرت المضي في المقاومة ، مزقها جند الأمبراطور بعد حين قليل ، والفت محاكم التحقيق غير بعيد ، في مجتمع الموريسكيين في بلنسية ميداناً خصباً لنشاطها .

وحذا الموريسكيون في غرناطة حذو إخوانهم في بلنسية ، فسعوا لدى البلاط في تخفيف الأوامر والقوانين المرهقة التي فرضت عليهم ، وانتهزوا فرصه زيارة الأمبراطور لغرناطة سنة (١٥٢٦ م) ، فقدموا إليه على يد ثلاثة من أكابرهم هم : الدون فرديناند بنجاس ، والدون ميشيل دراجون ، وديجو لويز بنشارا ، وهم من سلالة أمراء غرناطة الذين نصرّوا منذ الفتح ، مذكرة يشرحون فيها ظلامتهم ، وما يعانونه من آلام المطاردة والأرهاق المستمر ، ولا سيما من أعمال

P . Longa ; vida Religisa de Los Moriscos, P. XLII (٢٧)

القسس والقضاء الديني ، فندب الأمبراطور لجنة محلية للتحقيق في أمر الموريسكيين في سائر أنحاء غرناطة ، ثمّ عرضت نتائج بحثها على مجلس دينيّ قرّر ما يأتي : أن يترك الموريسكيون استعمال لغتهم العربية وثيابهم القومية ، وأن يتركوا استعمال الحمامات ، وأن تفتح منازلهم أيام الحفلات وأيام الجمع والسبت ، وألاّ يقيموا رسوم المسلمين أيام الحفلات ، وألا يتسموا بأسماء عربية ، ولكنّ تنفيذ هذه القررات أرجىء بأمر الأمبراطور ؛ ثم أعيد إصدارها ، ثم أرجىء تنفيذها مرة أخرى .

وصدرت عدّة أوامر ملكية بالعفو عن الموريسكيين في ما تقدّم من الذنوب ، فإذا عادوا طبّقت عليهم أشدّ القوانين والفروض ، فأذعن الموريسكيون لكلّ ما فرض عليهم ، ولكنهم افتدوا من الأمبراطور بمبالغ طائلة من المال ، حق ارتداء ملابسهم القومية ،وحقّ الأعفاء من المطاردة إذا اتهموا بالردّة (٢٨) .

وكان الأمبراطور شارلكان حينما أصدر قراره بتنصير المسلمين ، قد وعد بتحقيق المساواة بينهم وبين النصارى في الحقوق والواجبات ، ولكنّ هذه المساواة لم تحقق قط ، وشعر العرب المتنصرون منذ الساعة الأولى ، أنهم ما زالوا موضع الرّيب الاضطهاد ، وفرضت عليهم فروض وضرائب كثيرة لا يخضع لها النصارى ، وكانت وطأة الحياة تثقل عليهم شيئاً فشيئاً ، وتترى ضدهم السعايات والأتهامات ، وقد غدوا في الواقع أشبه بالرقيق منهم بالرعايا الأحرار . ولما شعرت السلطات بميل الموريسكيين إلى الهجرة ، وفشت فيهم هذه الرغبة ، صدر قرار في سنة (١٥٤١ م) يحرم عليهم تغيير مساكنهم . كما حرّم عليهم التروح إلى بلنسية ، التي كانت دائماً طريقهم المفضّل إلى ركوب البحر ، ثمّ

(٢٨) Dr. Lea The Moriscos; P. 214-215, P. Longas, ibid, P. XLIII.

صدر قرار بمنع الهجرة من أي الثغور إلاّ بترخيص ملكيّ نظير رسم فادح . وكانت السياسة الأسبانية تخشى اتصّال الموريسكيين بمسلمي الغرب ، وكان ديوان التحقيق يسهر دائماً على حركة الهجرة ، ويعمل على قمعها بمنتهى الشدّة ، ومع ذلك فقد كانت الأنباء تأتي من سفراء إسبانيا في البندقية وغيرها من الثغـور الأيطالية ، بأنّ كثيراً من الموريسكيين الفارين ، يمرّون بها في طريقهم إلـى إفريقية والعالم الاسلامي (٢٩) .

وخلال هذا الاضطهاد الغامر ، كانت السياسة الأسبانية في بعض الأحيان تجنح إلى شيء من الرّفق ، فنرى الأمبراطور في سنة (١٥٤٣ م) يبلّغ « المحققين العامين » ، بأنه تحقيقاً لرغبة مطران طليطلة والمحقق العام ، قد أصدر عفوه عن المسلمين المتنصرّين من أهل « مدينة ونكامبو » و « أريفالو » في ما ارتكبوه من ذنوب الكفر والمروق ، وأنه يكتفي بأن يطلب إليهم الآعتراف بذنوبهـم أمام الديوان « ديوان التحقيق » ، ثمّ تردّ إليهم أملاكهم الثابتة والمنقولة التي أخذت منهم إلى الأحياء منهم ويسمح لهم بتزويج أبنائهم وبناتهم من النصارى الخلص. ولا تصادر المهور التي دفعوها الى الخزينة بسبب الذنوب التي ارتكبوها ، بل تبقى هذه المهور للاولاد الذين يولدون من هذا الزواج ، وأن يتمتّع بهـذا الأمتياز النصرانيات الخلص اللاتي يتزوّجن من الموريسكيين ، بالنسبة للأملاك التي يقدّمها الأزواج الموريسكيون برسم الزواج أو الميراث (٣٠) . وهكذا لبثت السياسة الأسبانية أيـام الأمبراطور شارلكـان (١٥١٦ م – ١٥٥٥ م) إزاء الموريسكيين تتردّد بين الأقدام والأحجام واللين والشدّة بيد أنها على العموم كانت أقلّ عسفاً وأكثر اعتدالاً ، منها أيام فرديناند وايزابيلا ، وفي عهده نال

---

(٢٩) Dr. Lea : ibid; P. 187 - 189.

(٣٠) Arch gon de simancas; P. R. Leg 28 Fol 49.

الموريسكيون كثيراً من ضروب الأعفاء والتسامح الرفيقة نوعاً ؛ ولكنهم لبثوا في جميع الأحوال موضع القطيعة والريب ، عرضه للارهاق والمطاردة . وابثت محاكم التحقيق تجد فيهم دائماً ميدان نشاطها المفضّل .

ب . على أنّ هذه السياسة المعتدلة نوعاً ، لم يتح لها الاستمرار في عهد ولده وخلفه فيليب الثاني (١٥٥٥ هـ – ١٥٩٨ م) . وكان التنصير قد عمّ الموريسكيين يومئذ ، وغاضت منهم كلّ مظاهر الأسلام والعروبة ، ولكن قبساً دفيناً من دين الآباء والأجداد ، كان لا يزال يجثم في قرارة هذه النفوس الأبية الكليمة ، ولم تنجح إسبانيا النصرانية بسياستها البربرية في اكتساب شيء من ولائها المغصوب . وكان الموريسكيون يحتشدون جماعات كبيرة وصغيرة في غرناطة وفي بسائطها ، وفي منطقة البشرّات الجبلية ، تتوسطها الحاميات الأسبانية والكنائس . لتسهر الأولى على حركاتهم وتسهر الثانية على إيمانهم وضمائرهم ، وكانوا يشتغلون بالأخص في الزراعة والتجارة ، ولهم صلات تجارية واجتماعية وثيقة بثغور المغرب ، وهو ما كانت ترقبه السلطات الأسبانية دائماً بكثير من الحذر والريب . وكانت بقية من التقاليد والمظاهر القديمة ما زالت تربط هذا الشعب الذي زادته المحن والخطوب اتحاداً ، وتعلقاً بتراثه القومي والروحيّ ، وكانت الكنيسة تحيط هذا الشعب العاق ، الذي لم تنجح تعاليمها في النفاذ إلى أعماق نفسه ، بكثير من البغضاء والحقد . فلما تولى فيليب الثاني ألفت فرصتها في إذكاء عوامل الاضطهاد والتعصب ، التي خبت نوعاً في عهد أبيه شارل الخامس . وكان هذا الملك المتعصّب جداً في قرارة نفسه ؛ يخضع لوحي الأحبار والكنيسة . ويرى في الموريسكيين ما تصوّره الكنيسة والسياسة الرجعية : عنصراً بغيضاً خطراً دخيلاً على المجتمع الأسباني ، فلم تمض أعوام قلائل على تبوّئه الملك ، حتى ظهرت بوادر التعصب والتحريض ضد الموريسكيين

في طائفة من القوانين والفروض المرهقة . وكانت مسألة السلاح في مقدمة المسائل التي كانت موضع الاهتمام والتشدّد . وقد عنيت السياسة الأسبانية منذ البداية بتجريد الموريسكيين من السلاح ، واتخذت أيام فرديناند إجراءات لينة نوعا ، فكان يسمح بحمل أنواع معينة من السلاح المنزلي كالسكين ، وغيرها وذلك بترخيص ورسوم معينة . ولكنّ الحكومة خشيت بعد ذلك عواقب هذا التسامح ، فأخذت تشدّد في الترخيص ، وجُرِّد المسلمون في بلنسية من سلاحهم جملة ، وقيل لهم حينما اذعنوا للتنصير : إنهم سيعاملون كالنصارى في سائر الحقوق والواجبات ويردّ لهم سلاحهم ولكنّ الحكومة لم تفِ بعهدها . وفي سنة (١٥٤٥ م) صدر قرار بمنع حمل السلاح كافة ، ولكنه نفّذ بشيء من اللّين . وفي سنة (١٥٦٣ م) في عهد فيليب الثاني ، صدر قانون جديد يحرّم حمل السلاح على الموريسكيين إلاّ بترخيص من الحاكم العام ، وأحيط تنفيذه بمنتهى الشدّة ، فأثار صدوره سخط الموريسكيين ، وكان السلاح ضرورياً للدفاع عن أنفسهم في محلاّتهم المنعزلة النائية .

بيد أنّ قانون تحريم السلاح ، لم يكن سوى مقدمة لقانون أقسى وأشدّ إيلاما ، هو القانون الخاص بتحريم استعمال اللغة العربية ، وارتداء الثياب العربية ، على الموريسكيين . وقد لبثت اللغة والتقاليد العربية في الواقع للموريسكيين ، من أوثق الروابط بماضيهم وتراثهم ، وكانت عماد قوّتهم المعنوية ومن ثمّ كانت عناية السياسة الأسبانية ، بالعمل على محوها بطريق التشريع الصارم ، والقضاء بذلك على آخر الروابط التي تربط الموريسكيين ، بماضيهم وتراثهم القومي . وقد فكر بعض أحبار الكنيسة ، أن يتعلم القسس الذين يقومون بحركة التنصير اللغة العربية ، لكي يستطيعوا إقناع الموريسكيين بلغتهم ، والنفاذ إلى أعماق نفوسهم ، ولكن فيليب الثاني لم يوافق على هذا الرأي ، وآثر أن يتعلم القشتالية أبناء الموريسكيين منذ طفولتهم ؛ وكانت السياسة الأسبانية قد حاولت تنفيذ مشروعها

منذ عهد الأمبراطور شارلكان فصدر في سنة (١٥٢٦ م) قانون يحرّم على الموريسكيين التخاطب باللغة العربية وارتداء الثياب العربية ، واستعمال الحمامات ، وإقامة الحفلات على الطريقة الأسلامية ، ولكنه لم ينفذ بشدّة ، والتمس الموريسكيون في بلنسية وغرناطة وقف تنفيذه أربعين عاماً ، يحتفظون خلالها بلغتهم وثيابهم القومية ، وقرنوا ملتمسهم بمطالب أخرى تتعلق بتطبيق شريعتهم وتقاليدهم ، وتخفيف الضرائب عن كاهلهم ، وبالرغم من أنّ مطالبهم لم تُجب يومئذ كلها ، فان قانون تحريم اللغة والثياب القومية ، نظير ضريبة معينة ، أرجئ تنفيذه مرة أخرى ، وأجيز للموريسكيين استعمال اللغة والثياب القومية نظير تلك الضريبة المعينة ، واستمرّ هذا المنح سارياً حتى عهد فيليب الثاني وكان يجمع من هذه الضريبة مبلغ طائل . ولكن فيليب الثاني . كان ملكاً شديد التعصب ، كثير التأثر بنفوذ الأحبار ، وكانت الكنيسة ترى أنّ بقاء اللغة العربية من أشد العوامل لمنع تغلغل النصرانية في نفوس الموريسكيين ، وأنه لا بدّ من القضاء على ذلك الحاجز الصخري الذي تتحطم عليه جهود الكنيسة ؛ وكانت قد مضت فوق ذلك أربعون عاماً مذ صدر قانون التحريم في عهد الأمبراطور شارلكان ، ولم يبق للموريسكيين في ذلك حجة ولا ملتمس . وانتهت الكنيسة كالعادة بأقناع الملك بصواب رأيها ، فلم يلبث أن استجاب لتحريضها ، وأمر في (أيار مايو سنة ١٥٦٦ م) بأن يجدّد القانون القديم بتحريم الثياب العربية واللغة العربية ، وهكذا حاول بطريق التشريع أن يسدّد الضربة الأخيرة للغة الموريسكيين وتقاليدهم العربية ، فأصدر هذا القانون الهمجيّ الذي لم يسمح بصدور مثله في تاريخ المجتمعات المتمدنة . ويقضي هذا القانون . بأن يمنح الموريسكيون ثلاثة أعوام لتعلم اللغة القشتالية . ثم لا يسمح بعد ذلك لأحد أن يتكلم أو يكتب أو يقرأ العربيه أو يتخاطب بها ، سواء بصفة عامة أو بصفة خاصة ، وكل معاملات أوعقود تجري بالعربية تكون باطلة ولا يُعتدّ بها لدى القضاء أو غيره . ويجب أن تُسلم

الكتب العربية ، من أية مادة ، في ظرف ثلاثين يوماً إلى رئيس المجلس الملكي في غرناطة ، لتفحص وتقرأ ، ثم يردّ غير الممنوع منها إلى أصحابها لتحفظ لديهم مدى الأعوام الثلاثة فقط . وأما الثياب ، فيمنع أن يصنع منها كلّ جديد وأيّ جديد مما كان يستعمل أيام المسلمين ، ولا يصنع منها إلاّ ما كان مطابقاً لأزياء النصارى ، وحتى لا يتلف منها ما كان من زيّ المسلمين ، فإنه يسمح بارتداء الثياب الحريرية منها لمدة عام ، والصوفية لمدة عامين ، ثم لا يسمح باستعمالها بعد ذلك . ويحظر التحجب على النساء الموريسكيات ، وعليهنّ أن يكشفن وجوههنّ ، وأن يرتدين عند خروجهنّ المعاطف والقبعات على نحو ما تفعل النساء الموريسكيات في أراغون . ويحظر في الحفلات إجراء أية رسوم إسلامية ، ويجب أن يجري كلّ ما فيها طبقاً لعرف الكنيسة وعرف النصارى ، ويجب أن تفتح المنازل أثناء الاحتفال ، وفي أيام الجمعة وأيام الآعياد ، ليستطيع القسس ورجال السلطة أن يروا ما يقع في داخلها من المظاهر والرسوم المحرّمة . ويُحرّم إنشاد الأغاني القومية ، ولا يشهر الزّمر (الرقص العربي) أو ليالي الطرب بالآلات أو غيرها من العوائد الموريسكية ، ويحرم الخضاب بالحناء . ولا يسمح بالاستحمام في الحمامات ، ويجب أن تهدم جميع الحمامات العامة والخاصة . ويحرم استعمال الأسماء والألقاب العربية ، ومن يحملها يجب عليه المبادرة بتركها . ويجب أخيراً على الموريسكيين الذين يستخدمون العبيد السود ، أن يقدّموا رخصهم باستخدامهم للنظر في ما إذا كان حرياً بأن يسمح لهم باستبقائهم (٣١) .

هذه هي نصوص ذلك القانون الهمجي الذي أريد به تسديد الضربة القاضية لبقايا الأمة الأندلسية ، وذلك لتجريدها من مقوماتها القومية الأخيرة .

---

(٣١) Marmol; ibid; II Cop VI ، وانظر ايضاً :
P. Lognas; ibid; P. XLV-XLVI

وقد فرضت على المخالفين عقوبات فادحه ، تختلف من السجن إلى النفي والأعدام ، وكان احراز الكتب والأوراق العربية ولا سيما القرآن الكريم ، يعتبر في نظر السلطات من اقوى الأدلة على الردّه ، ويعرض المتهم لأقسى أنواع العذاب والعقاب .

وأعلن هذا القانون المروع في غرناطة في يوم (أول كانون الثاني – يناير سنة ١٥٦٧ م) ، وهو اليوم الذى سقطت فيه غرناطة ، واتخذته اسبانيا عيداً قومياً لها تحتفل به في كلّ عام ، وأمر ديسا رئيس المجلس الملكي بأذاعته في غرناطة ، وسائر انحاء مملكتها القديمة ، وتولى اذاعته موكب من القضاة شق المدينة ، ومن حوله الطبل والزمر ، وعلّق في ميدان باب البنود أعظم ميادينها القديمة ، وفي سائر ميادينها الأخرى ، وفي ربض البيازين ، فوقع لدى الموريسكيين وقع الصاعقة ، وفاضت قلوبهم الكسيرة سخطاً وأسى ويأساً . وأحيط تنفيذه بمنتهى الشدّة ، فحطمت الحمامات تباعاً . واجتمع زعماء الموريسكيين تباحثوا في ما يجب عمله إزاء هذه المحنة الجديدة ، وحاولوا أن يسعوا بالضراعة والحسنى لالغاء هذا القانون ، أو على الأقل لتخفيف وطأته ، ورفعوا احتجاجهم أولا إلى الرئيس ديسا عن يد رئيس جماعتهم مولاى فرنسيسكو نونيز ، فخاطب الرئيس ديسا ، وبيّن له ما في القانون من شدّة وتناقض ، وخرق للعهود ، وطلب إرجاء تنفيذه . وحمل رسالتهم إلى فيليب الثاني ، وإلى وزيره الطاغية الكاردينال أسبنوسا ، اسباني نبيل من أعيان غرناطة يدعى الدون خوان هنريكس . وكان يعطف على هذا الشعب المنكود ، ويرى خطر السياسة التى اتبعت لأبادته . وسار معه إلى مدريد اثنان من أكابرهم هما : خوان هرناندث من اعيان غرناطة . وهرناندو الحبقى من اعيان وادى آش ، والتمس الوفد إلى الملك إرجاء تنفيذ القانون ، كما حدث ايام أبيه ، وبعث الدون هنريكس بمذكرة إلى جميع أعضاء المجلس الملك يبين فيها ما يترتب على تنفيذ القانون ، وأنه أصبح أمراً واقعا . وكذا عرض المركيز دى مونديخار حاكم

غرناطة على الملك اعتراض الموريسكيين واوضح له خطورة الموقف ، وأن اليأس قد يدفعهم إلى الثورة ، وأنّ الترك قد أصبحوا في شواطئ المغرب على مقربة من إسبانيا ، وأنّ الموريسكيين شعب عدو لايدين بالولاء ، فلم تفد هذه الاعتراضات شيئاً ، وقيل إن الموريسكيين شعب جبان ، ولاسلاح لديه ولا حصون وهكذا حملت سياسة العنف والتعصّب في طريقها كل شئ ، ونفذت الأحكام الحديدة في المواعيد التى حددت لها ، ولم تبد السلطات في تنفيذها أيّ رفق أو مهادنة (٣٢) .

ولم يحظ بلمحة من الرفق سوى الموريسكيين في بلنيسية ، وكان زعيمهم كبير أشرافهم كوزمن بن عامر من المقربين إلى البلاط ، فسعى للتخفيف عنهم وكللت مساعيه بالنجاح في بعض النواحى . وهو أن يعامل الموريسكيون بالرفق في حالة اتهامهم بالردة . ولا تنزع املاكهم بتهمة المروق ، وذلك على أن يدفعوا إتاوة سنوية قدرها الفان وخمسمائة مثقال لديوان التحقيق . (٣٣)

واما في غرناطة ، فقد بلغ اليأس بالموريسكيين ذروته ، فتهامسوا على المقاومة والثورة ، والذود عن انفسهم إزاء هذا العسف المضني ؛ أو الموت قبل ان تنطفئ في قلوبهم و ضمائرهم آخر جذوة من الكرامة والعزة ، وقبل أن تقطع آخر صلاتها بالماضى المجيد والتراث العزيز ، وكانت نفوسهم ما تزال تضطرم ببقية من شغف النضال والدفاع عن النفس ؛ وكان يرون في المناطق الجبلية القريبة ملاذاً للثورة ، ويؤمّلون أن يصلوا بالمقاومة إلى إلغاء هذا القانون الهمجيّ

---

(٣٢) Marmol; ibid 11 Cop وانظر :
Preocott : Pailip 11 of Spain; V.III. P. 12-89 ، وانظر
Dr. Lea : The Morisco ; P. 150-151 and 230-240

(٣٣) Dr. Lea: ibid. P, 126

أو تخفيفه . وهنا يبدأ الصراع الأخير بين الموريسكيين وإسبانيا النصرانية ، ومن المؤسف أنه لم تذكر المصادر العربية عن هذا المرحلة شيئاً ، فهي تقف عند محنة التنصير الأولى عقب سقوط غرناطة ، فلا بد من الرجوع إلى المصادر النصرانية حول ذلك .

سرى إلى الموريسكيين يأس بالغ يزكيه السخط العميق ، فعوّلوا على الثورة ، مؤثرين الموت على ذلك الاستشهاد المعنوي الهائل ، ونبتت فكرة الثورة في غرناطة أولاً حيث يقيم أعيان الموريسكيين . وحيث كانت جمهرة كبيرة منهم تحتشد في ضاحية البيازين . وكان زعيم الفكرة ومثير ضرامها موريسكي يدعى : فرج بن فرج ، وكان فرج صباغاً بمهنته ، ولكنه حسبما تصفه الرواية القشتالية ، كان رجلاً جريئاً وافر العزم والحماسة ، يضطرم بغضاً للنصارى . ويتوق إلى الانتقام الذريع منهم ، ولا غرر فقد كان ينتسب إلى بني سراج ، وهم كما رأينا من أشراف غرناطة وفرسانها الأنجاد أيام الدولة الأسلامية . وكان ابن فرج كثير التردّد على أنحاء البشرات ، وثيق الصلة بمواطنيه ، فاتفق الزعماء على أن يتولىّ حشد قوّة كبيرة منهم ، تزحف سراً إلى غرناطة . وتجوز إليها من ضاحية البيازين ، ثمّ تفاجئ حامية الحمراء وتسحقها وتستولي على المدينة . وحددوا للتنفيذ « يوم الخميس المقدّس » ؛ من شهر نيسان – أبريل سنة (١٥٦٨ م) إذ ينشغل النصارى يومئذ باحتفالاتهم وصلواتهم . ولكنّ أنباء هذا المشروع الخطير تسرّبت إلى السلطات منذ البداية ، فاتخذت الاحتياطات اللازمة ، وعزّزت حامية غرناطة وحاميات الثغور ، واضطر الموريسكون إزاء هذه الأهمية أن يرجئوا مشروعهم إلى فرصة أخرى .

ووضع أديب من زعماء الثورة ، يدعى باسمه المسلم محمد بن محمد بن داود ، قصيدة ملتهبة ، يصف فيها آلام بني وطنه ، ويستمدّ فيها الغوث والعون

من الله ونبيه عليه الصلاة والسلام ، فضبطت معه في ثغر أدرة ، وأرسلت إلى البلاط مع ترجمتها القشتالية ، وهذه هي ملخص مـــا ورد في تلك القصيدة التي تعتبر صرخة ألـــم أخيرة لشعب شهيد : « تفتتح القصيدة بحمـــد الله والثناء عليه والتنويه بقدرته ، وخضوع جميع الناس والأشياء لحكمه ، ثم يقول : استمعوا إلى قصة الأندلس المحزنة ، وهي تلك الأمة العظيمة التي غدت اليوم ضعيفة مهيضة ، يحيط بها الكفرة من كلّ صوب ، وأضحى أبناؤها كالأغنام الذين لا راعي لهم . وفي كلّ يوم نسام سوء العذاب ، ولا حيلة لنا سوى المصانعة ، حتى ينقذنا الموت مما هو شر وأدهى . وقد حكموا فينا يهود الذين لا عهد لهم ولا ذمام ، وفي كلّ يوم يبحثون عن ضلالات وأكاذيب وخدع وانتقامات جـــديـــدة .

« ونرغم على مزاولة الشعائر النصرانية وعبادة الصّور ، وهي مسخ للواحد القهار ولا يجرؤ أحد على التذمرّ أو الكلام . وإذا ما قرع الناقوس ، ألقـــى القسّ عظته بصوت أجشّ ؛ وفيها يشيد بالنبيذ ولحم الخنزير ؛ ثم تنحنـــى الجماعة أمام الأوثان دون حياء ولا خجل . . .

« ومَن عبدالله بلغته قضي عليـــه بالهلاك ، ومَن ضبط ألقي إلى السجن عُذّب ليل نهار ، حتى يرضخ لباطلهم » .

ثمّ يصف وسائل إرهاقهم والتضييق عليهم ، من التسجيل والتفتيـــش وغيرها ، وما يفرض عليهم من الضرائب الفادحة ، وكيف تؤدىّ عن الحيّ والميت والكبير والصغير ، والغنيّ والفقير وكيف يرهقهم القضاة الظلمة ولا يفلت من ظلمهم كائن . وكيف يلقى بهم في السجن ، ويرغمون على التنصير بالاعتقال والتعذيب . وكيف تهشم أوصال الفرائس ، ثم تحمل إلى الميدان لتحرق أمام الجمع الحاشد . وكيف تكدّس المظالم على رؤوسهم تكديسا ويسومهم الخسف أصاغر النصارى وكلّ منهم يفتنّ في ضروب الأضطهاد .

ثم يقول : « ولقد علّقوا يوم العيد (عيد سقوط غرناطة) في ميدان باب البنود ، قانوناً جديداً ، وأخذوا يدهمون الناس في نومهم ، ويفتحون كلّ باب ، يزمعون تجريدنا من ثيابنا وقديم عاداتنا ، ويمزّقون الثياب ، ويحطمون الحمامات .

« ونحن إذ نيأس من عــدل الأنسان ، نستغيث بالنبيّ (عليــه الصلاة والسلام) ، معتمدين على ثواب الآخرة ، وقد حثنا شيوخنا على الصّلاة والصوم ، وأن نقصد وجه الله ، فهو الذي يرحمنا في نهاية الأمر » (٣٤) .

وضبط في الوقت نفسه مع ابن داوود خطاب موجه من أحد زعماء البيازين إلى زعماء المغرب ورؤسائهم وإخوانهم في الدين . وكان هذا الكتاب واحــداً من كتب عديدة وجهت خفية إلى أمراء الثغور في المغرب ، يطلبون إليهم الغوث والعون ، فحمل الكتاب إلى حاكم غرناطة ، وفيه يناشد كاتبه إخوانه بالمغرب ، ويستحلفهم الغوث بحق روابط الدين والدم ، ويصف ما قرره النصارى من إرغامهم على ترك اللغة ، وتركها فقد للشريعة ، وكشف الوجوه الحيية المحتشمة ، وفتح الأبواب ، وما أنزل بهم من محن السجن والأسر ونهب الأملاك ، ويطلب اليهم أن يبلغوا استغاثتهم إلى سلطان المشرق قاهر أعدائه ، ثم يقول : « لقد غمرتنــا الهموم ، واعداؤنا يحيطون بنا إحاطة النار المهلكة . إنّ مصائبنا لأعظم من أن تحتمل ، ولقد كتبنا لكم في ليالٍ تفيض بالعذاب والدّمع ، وفي قلوبنا قبس من الأمل ، إذا كانت ثمة بقية من الأمل في أعماق الروح المعذّب » (٣٥) .

---

(٣٤) أورد مارمول ترجمة قشتالية كاملة لهذه القصيدة ، والترجمة للاستاذ محمد عبدالله عنان نقلاً عن : نهاية الأندلس (٣٤٥ – ٣٤٦) ، انظر :
Marmol; ibid; III. Cap IX

(٣٥) أورد مارمول ترجمة قشتالية كاملة ، انظر :
Marmol, ibid, III, Cap. IX.

ولكن الحكومات المغربية كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية ، فلم يلبّ داعي الغوث سوى جماعة من المتطوعين ، الذين نفذوا سراً الى إخوانهم في البشرّات ، ومنهم كثير من البحارة المجاهدين ، الذين كانوا حرباً عواناً على الثغور والسفن الأسبانية في ذلك العصر .

واستمرّ الموريسكيون على عزمهم وأهبهم ، وأرسلت خطابات عديدة من ابن فرج وزملائه الى مختلف الأنحاء يدعون فيها إخوانهم الى التأهب واخطار سائر إخوانهم . وفي شهر (كانون الأول — ديسمبر ١٥٦٨ م) وقع حادث كان نذير الانفجار ، إذ اعتدى الموريسكيون على بعض المأمورين والقضاة الأسبانيين في طريقهم الى غرناطة ، ووثبت جماعة منهم في الوقت نفسه بشرذمة من الجند ، كانت تحمل كمية كبيرة من البنادق ، ومثلت بهم جميعاً . وفي الحال سار ابن فرج على رأس مائتين من أتباعه ، ونفذ الى المدينة ليلاً ، وحاول تحريض مواطنيه في « البيازين » على نصرته ، ولكنهم أبوا أن يشتركوا في مثل هذه المغامرة الجنونية . ولقد كان موقفهم حرجاً في الواقع ، لأنهم يعيشون إلى جانب النصارى على مقربة من الحامية ، وهم أعيان الطائفة ولهم في غرناطة مصالح عظيمه يخشون عليها من انتقام الأسبان ، بيد أنهم كانوا يؤيدون الثورة ويؤيدونها برعايتهم ونصحهم ومالهم ، فارتد ابن فرج على أعقابه ، واجتاز شعب جبل شلير (سيرا نفادا) إلى الهضاب الجنوبية في ما بين بلش والمرية ، فلم تمض بضعة أيام ، حتى عمّ ضرام الثورة جميع الدساكر والقرى الموريسكية في أنحاء البشرات ، وهرعت الجموع المسلحة إلى ابن فرج ، ووثب الموريسكيون بالنصارى القاطنين في ما بينهم ، ففتكوا بهم ومزّقوهم شر مزّق .

ج . اندلع لهيب الثورة في أنحاء الأندلس ، ودوّت بصيحة الحرب القديمة وأعلن الموريسكيون استقلالهم ، واستعدوا لخوض معركة الحياة أو الموت ، وبدأ الزعماء باختيار أمير يلتفون حوله ، ويكون رمز مُلْكهم القديم ، فوقع

اختيارهم على فتى من أهل البياز بن يدعى : الدون فرناندو دى كردوبا وفالور(٣٦) وكان هذا الاسم النصراني القشتالي ، يحجب نسبة عربية رفيعة . ذلك أن فرناندو دي فالور كان ينتمي في الواقع إلى بني أمية ، وكان سليل الملوك والخلفاء الذين سطعت في ظلهم الدولة الأسلامية في الأندلس ، زهاء ثلاثة قرون . وكان فتى في العشرين ، تنوه الرواية القشتالية المعاصرة بوسامته ونبل طلعته ، وكان قبل انتظامه في سلك الثوار مستشاراً ببلدية غرناطة ، ذا مال ووجاهة . وكان الأمير الجديد يعرف خطر المهمة التي انتدب لها ، وكان يضطرم حماسة وجرأة واقداماً ففي الحال غادر غرناطة سراً إلى الجبال ، ولجأ إلى شيعته آل فالور في قرية بردنار (Bezdar) فهرعت أليه الوفود والجموع من كل ناحية ، واحتفل الموريسكيون بتتويجه في (٢٩ كانون الأول — ديسمبر سنة ١٥٦٨ م) في احتفال بسيط مؤثر ، فرشت فيه على الأرض أعلام إسلامية ذات أهلة ، فصلى عليها الأمير متجهاً نحو مكة ، وقبل أحد أتباعه الأرض رمزاً للخضوع والطاعة ، وأقسم الأمير أن يموت في سبيل دينه وأمته ، وتسمى باسم ملوكي عربي هو : محمد بن أمية صاحب الأندلس وغرناطة ، واختار عمه المسمى : فرناندو الزغوير (الصغير) واسمه المسلم ابن جوهر قائداً عاماً لجيشه ، وقد كان صاحب الفضل الأكبر في اختياره للرياسة ، وانتخب ابن فرج كبيراً للوزراء ؛ ثم بعثه على رأس بعض قواته إلى هضاب البشرات ، ليجمع ما استطاع من أموال الكنائس ، واتخذ مقامه في أعماق الجبال في مواقع منيعة ، وبعث رسله في جميع الأنحاء ، يدعون الموريسكيين إلى خلع طاعة النصارى والعود إلى دينهم القديم (٣٧) .

---

(٣٦) كردوبا أي قرطبة ، وفالور قرية غرناطية تقع على مقربة من أجيجر .

(٣٧) Marmol; Ibid; IV, Car. VII

ووقعت نقمة الموريسكيين بادئ ذي بدء ، على النصارى المقيمين بين ظهرانيهم في أنحاء البشرات ، ولا سيما القسس وعمال الحكومة ، وكان هؤلاء يقيمون في محلات متفرقة سادة قساة ، يعاملون الموريسكيين بمنتهى الصرامة والزراية ، وكان القسس بالأخص سبب بلائهم ومصابهم ، ومن ثم كانوا ضحايا الثورة الأولى . وانقض ابن فرج ورجاله على النصارى في تلك الأنحاء ومزقوهم تمزيقاً وقتلوا القسس وعمال الحكومة ، ومثلوا بهم أشنع تمثيل . وكانت حسبما تقول الروايات القشتالية مذبحة عامة ، لم ينج منها حتى الأطفال والنساء والشيوخ . وذاعت انباء المذبحة الهائلة في غرناطة فوجم لها الموريسكيون والنصارى معاً ، وكل يخشى عواقبها الوخيمة ؛ وكان الموريسكيون يخشون أن يبطش بهم النصارى انتقاماً لأخوانهم ومواطنيهم ، وكان النصارى يخشون أن يزحف جيش الموريسكيين على غرناطة ، فتسقط المدينة بأيديهم ، وعندئذ يحل بهم النكال المروع . بيد أن الرواية القشتالية تصف هنا محمد بن أمية فتقول : إنه لم يحرض على هذه المذابح ، ولم يوافق عليها ، بل لقد ثار لها ، وحاول أن يحول دون وقوعها . وعزل نائبه ابن فرج عن القيادة ، فنزل راضياً واندمج في صفوف المجاهدين ، وهنا يختفي ذكره ولا يبدو على مسرح الحوادث من جديد (٣٨)

د . وكانت غرناطة في أثناء ذلك ترتجف سخطاً وروعاً ، وكان حاكمها المركيز منديخار يتخذ الأهبة اتقمع الثورة منذ الساعة الأولى . بيد أنه لم يكن

(٣٨) Prescott: Philip 11; V.III. Ch. 11. ، وكذلك Dr. Lea: The Moriscos; P. 237

يقدر مدى الأنفجار الحقيقي . فنصت غرناطة بالجند ، ووضع الموريسكيون أهل البيازين تحت الرقابة ، برغم احتجاجهم وتوكيدهم بأن لا علاقة لهم بالثائرين من مواطنيهم . وخرج منديخار من غرناطة بقواته ، في (٢ كانون الثاني ــ يناير سنة ١٥٦٩ م) تاركاً حكم المدينة لابنه الكونت تنديليا ، وعبر جبل شلير (سيرا نفادا) وسارتوا الى أعماق البشرات ، حيث يحتشد جيش الثوار . وكانت الثورة الموريسكية في تلك الأثناء ، قد عمت أنحاء البشرات الشرقية والجنوبية واضطرمت في أجيجر وبرجة وأدرة وأندرش ودلاية وأوشار ومرشانة وشلوبانية وغيرها من البلاد والقرى ، واستطاع الموريسكيون أن يتغلبوا بسهولة على معظم الحاميات الأسبانية المتفرقة في تلك الأنحاء ، بل لقد سرت الثورة إلى أطراف مملكة غرناطة القديمة ، حيث اندلع لهيبها في وادي المنصور وفي قراه ودماكره ، ولم يتخلف عن المشاركة في الثورة سوى رندة ومربلة ومالقة ، وكانت بها حاميات إسبانية قوية ، ونشبت الثورة في معظم أنحاء المرية ، وهكذا عمت الثورة الموريسكية معظم أنحاء الاندلس ، واشتد الأمر بنوع خاص في بسطة ووادي آش والمرية (٣٩) .

وكان محمد بن أمية متحصناً بقواته في أكام بوكيرا الوعرة . وكان الموريسكيون برغم نقص مواردهم وسلاحهم ، قد حذقوا حرب الجبال ومفاجآتها ، فما كاد الأسبان يقتربون حتى انقضوا عليهم ، ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة ، ارتد الموريسكيون على أثرها إلى سهول بطرنة ، وتخلف كثيرون منهم ولا سيما النساء ، ففتك الأسبان بهم فتكاً ذريعاً . وحاول منديخار أن

---

(٣٩) Marmol; ibid, IV, Cap XXXVI.

يتفاهم مع الثائرين على العفو ، وأن يخلدوا إلى السكينة ؛ وبعث إليهم بعض المسالمين من مواطنيهم . وكتب الدون ألونسو فنيجاس (بنيغش) سليل الأسرة الغرناطية القديمة إلى محمد بن أمية يعاتبه ، وأنه قد جانب العقل والحزم في القيام بهذه الحركة التي تعرّضه وتعرّض أمته للهلاك ، ونصحه بالتوبة والتماس العفو . وكان محمد بن أمية يميل إلى الصلح والتفاهم ، تبودلت بالفعل المكاتبة بينه وبين المركيز دي منديخار في أمر التسليم ولكنّ المتطرفين من أنصاره ولا سيما المتطوعين المغاربة رفضوا الصلح ، فاستؤنفت المعارك ، ورجحت كفة الأسبان ، وهزم الموريسكيون مرة أخرى ، وأعلن المركيزدي منديخار أن الأسرى الموريسكيين يعتبرون رقيقاً . وفرّ محمد بن أمية ، وأسرت أمه وزوجه وأخواته ؛ وأصيب الأسبان بهزيمة شديدة في آكام « واخاريس » ، وقتل منهم مائة وخمسون جندياً مع ضباطهم ، ولكن الموريسكيين آثروا الارتداد ، وقتل الأسبان مَن تخلف منهم أشنع قتل، وكان ممن تخلف منهم زعيم باسل يدعى « الزمار » أسره الأسبان مع ابنته الصغيرة وأرسلوه إلى غرناطة حيث عذّبوه عذاباً وحشياً ، إذ نزع لحمه من عظامه حياً ، ثم مزّقت أشلاؤه ، وهكذا كانت أساليب الأسبان النصارى ومحاكم التحقيق إزاء العرب المتنصرين

واختفى محمد بن أمية مدى حيناً في منزل قريبه « ابن هبو » ، وكان من أنجاد الزعماء أيضاً، وطارده الأسبان من دون أن يظفروا به . على أنّ هذه الهزائم لم تنل من عزم الموريسكيين ، فقد احتشدوا في شرق البشرات في جموع عظيمة ، وأخذوا يهدّدون ألمرية ، فسار إليهم المركيز « لوس فيليس » على رأس

جيش آخر ، ووقعت بين الفريقين عدّة معارك شديدة ، قتل فيها كثير من الفريقين ، ومزّق الموريسكيون ، وقتل الأسبان كعادتهم الاسرى ، وقتلوا النساء والأطفال قتلاً ذريعاً

ووقعت في الوقت نفسه في غرناطة مذبحة مروعة أخرى ، فقد كان في سجنها العام نحو مائة وخمسين من أعيان الموريسكيين ، اعتقلوا رهينة وكفالة بالطاعة فأذاع الأسبان أن الموريسكيين سيهاجمون غرناطة لأنقاذ السجناء ، بمؤازرة مواطنيهم في البيازين وعلى ذلك صدر الأمر بأعدام السجناء ، فانقض الجند عليهم وذبحوهم في مناظر مروّعة في سفك الدماء الفظيع .

وكان لهذه الحوادث الأخيرة أثر في إذكاء الثورة ، وكان نذيراً جديداً للموريسكيين بأنّ الموت في ساحة الحرب خير مصير يلقون ، فسرى إليهم لهب الثورة بأشدّ من قبل ، وطافت بهم صيحة الأنتقام ، فانتفضوا على الحاميات الأسبانية المبعثرة من أنحاء البشرّات ومزّقوها تمزيقاً ، وهزموا قوّة إسبانية تصدّت لقتالهم ، واحتشدت جموعهم مرة أخرى تملأ الهضاب والسهل ، وعاد محمد بن أمية ثانية إلى تبوىء عرشه الخطر ، والتفّ حوله الموريسكيون أضعاف ما كانوا ، وبعث أخاه عبدالله إلى القسطنطينية يطلب العون من سلطانها ، وأرسل في الوقت نفسه إلى أمير الجزائر وإلى سلطان مراكش الشريفي يطلب الأنجاد والغوث ، ولكن سلاطين القسطنطينية لم يلبوا ضراعة الموريسكيين بالرغم من تكرارها منذ سقوط غرناطة ، وأرسل أمير الجزائر مشجعاً ومعتذراً عن عدم إمكان إرسال السفن ، ووعد سلطان مراكش بالمساعدة والغوث ، ولكنّ هذا الصريخ المتكرر من الموريسكيين لم ينتج أثره المنشود ، ولم يلبه غير إخوانهم المجاهدين

في إفريقية ، فقد استطاعت بجموع جريئة مخاطرة ، أن تجوزا لى الشواطئ الأسبانية ، ومنهم فرقة من الترك المرتزقة ، وأن تهرع الى نصرة المنكوبين .

وهكذا عاد الجهاد إلى أشده . وخشي الأسبان من احتشاد الموريسكيين في البيازين ضاحية غرناطة ، فصدر قرار بتشريدهم في بعض الأنحاء الشمالية . وكانت مأساة جديدة مزقت فيها هذه الأسر التعسة ، وفُرّق فيها بين الأبناء والآباء والأزواج والزوجات ، في مناظر مؤثرة تذيب القلب ، وسار المركيز لوس فيلس في الوقت نفسه الى مقاتلة الموريسكيين ، في سهول المنصورة على مقربة من أراضي مرسية ، ونشبت بينه وبينهم وقائع غير حاسمة ، ولم يستطع متابعة القتال لنقص في الأهبة والمؤن ، وكان بينه وبين زميله مندبخار خصومة ومنافسة ، كانتا سبباً في اضطراب الخطط المشتركة . واتهم مندبخار بالعطف على الموريسكيين ، فاستدعي إلى مدريد ، وأقيل من القيادة ، واتخذت مدريد خطوتها الجديدة الحاسمة في هذا الصراع الذي لا رحمة فيه ولا هوادة .

وبينما كانت هذه الحوادث والمعارك الدموية تضطرم في هضاب الأندلس وسهولها ، وتجمل إليها أعلام الخراب والموت ، إذ وقع في المعسكر الموريسكي حادث خطر ، هو مصرع محمد بن أمية . وكان مصرعه نتيجة المؤامرة والخيانة وكانت عوامل الخلاف والحسد ، تحيط هذا العرش بسياج من الأهواء الخطيرة . وكان محمد بن أمية يثير بين مواطنيه بظرفه ورقيق شمائله كثيراً من العطف ، ولكنه كان يثير بصرامته وبطشه ، الحقد في نفوس نفر من ضباطه . وتقص علينا الرواية القشتالية سيرة مقتله فتقول : إنه كان ثمة ضابط من هؤلاء يدعى ديجو الجوازيل (الوزير) له عشيقة حسناء تسمى : زهرة ، فانتزعها منه محمد قسراً

فحقد عليه وسعى لأهلاكه بمعاونة خليته ، فزوّر على لسانه خطاباً إلى القائد العام « ابن عبو » يحرّضه على التخلص من المرتزقة الترك ، وكان ثمة منهم فرقة في المعسكر الموريسكي ، فعلم الترك بأمر الخطاب ، واقتحموا المعسكر إلى مقرّ ابن أمية وقتلوه ، بالرغم من احتجاجه وتوكيده براءته ، واستقبل الجند الحادث بالسكون . وفي الحال اختار الزعماء ملكاً جديداً هو ابن عبو ؛ واسمه الموريسكي : ديجولوبيث ، وهو ابن عمّ الملك القتيل ، فتسمى : بمولاي عبدالله محمد ، وأعلن ملكاً على الأندلس بنفس الاحتفال المؤثّر الذي وصفناه . وكان مولاي عبدالله أكثر فطنة وروية وتدبرا ، فحمل الجميع على احترامه ، وشُغل مدى حين بتنظيم الجيش ، واستقدم السلاح والذخيرة من ثغور المغرب ، واستطاع أن يجمع حوله جيشاً مدرّباً قوامه زهاء عشرة ، آلاف بين مجاهد ومرتزق ومغامر .

وفي أواخر (تشرين الأول – أكتوبر ١٥٦٩ م) سار مولاي عبدالله بجيشه صوب « أرجية » وهي مفتاح غرناطة ، واستولى عليها بعد حصار قصير ، فذاعت شهرته وهرع الموريسكيون من شرق البشرّات إلى إعلان طاعته ، وامتدّت سلطته جنوباً حتى بسائط رندة ومالقة ، وكثرت غارات الموريسكيين على فحص غرناطة (La Vega) ، وقد كان سقوطها ميدان المعارك الفاصلة بين المسلمين والنصارى ، وكان فيليب الثاني حينما رأى استفحال الثورة الموريسكية ، وعجز القادة المحليين عن قمعها ، قد عين أخاه الدون خوان قائداً عاماً اولاية غرناطة ، ولما رأى الدون خوان اشتداد ساعد الموريسكيين ، اعتزم أن يسير لمحاربتهم بنفسه في أواخر (أيلول – ديسمبر) على رأس جيشه ، وسار صوب وادي آش ، وحاصر بلدة « جليرا » ، وهي من أمنع مواقع الموريسكيين ، وكان يدافع عنها زهاء

ثلاثة آلاف موريسكيّ ، منهم فرقـة تركية ، فهاجمها الأسبان عـدّة مرات وصوبوا اليها نار المدافع بشدّة ، فسقطت بأيديهم بعد معارك هائلة ، أبدى فيها الموريسكيون والنساء الموريسكيات أعظم ضروب البسالة ، وقتل عدد من الأكابر الأسبان وضباطهم ، ودخلها الأسبان دخول الضواري الكواسر المفترسة ، وقتلوا كلّ مَن فيها من الرجال والأطفال والنساء ، وكانت مذبحة مروّعة (شـباط - فبراير - ١٥٧٠ م) ، وتوغل بعد ذلك الدون خوان في شـعب الجبال حتى سيرون الواقعة على مقربة من بسطة ، وكانت هناك قوّة من الموريسكيين بقيادة زعيم يدعى : « الحبقي » تبلغ بضعة آلاف ، ففاجأت الأسبان في سيرون ومزّقت بعض سراياهم ، وأوقعت الرّعب والخلل في صفوفهم ، وقتل منهم عدد كبير ، ولم يستطع الدون خوان أن يعيد النظام إلاّ بصعوبة ، فجمع شتات جيشه ، وطارد الموريسكيين ، واستمرّ في سيرة جنوباً حتى وصل إلى أندرش في (أيار - مايو سنة ١٥٧٠ م) .

وهنا رأت الحكومة الأسبانية أن تجنح إلى شيء من اللّين ، خشية عواقب هذا الجهاد الرائع ، فبعث الدون خوان رسله إلى الزعيم « الحبقي » يفاتحه بأمـر الصلح ، وصدر أمر ملكيّ بالوعد بالعفو التام عن جميع الموريسكيين الذيـن يقدّمون خضوعهم في ظرف عشرين يومـاً من إعلانه ، ولهـم أن يقدّموا ظلاماتهم ، فتبحث بعناية ، وكل مَن رفض الخضوع ، ما عدا النساء والأطفال دون الرابعة عشرة ، قضي عليه بالموت ، فلم يصغ إلى النداء واحد ، ذلك أنّ الموريسكيين أيقنوا نهائياً أنّ إسبانيا النصرانية لا عهد لها ولا ذمام ، وأنها لا تفي بوعودها ، فعاد الدون خوان إلى استئناف المطاردة والقتال ، وانقض الأسـبان على الموريسكيين محاربين ومسالمين ، يمعنون فيهم قتلاً وأسراً ، وسارت قوّة

بقيادة دون سيزا إلى شمال البشرات ، واشتبكت مع قوات مولاى عبدالله في معارك غير حاسمة . وسارت مفاوضات الصلح في الوقت نفسه عن طريق الحبقي ، وكان مولاي عبدالله قد رأى تجهم الموقف ، ورأى أتباعه ومواطنيه يسقطون من حوله تباعا ، والقوة الغاشمة تجتاح في طريقها كل شيء ، فمال إلى الصلح والمسالمة ، واستخلاص ما يمكن استخلاصه من براثين القوة القاهرة .

وتقدم للتوسط بين الثواروبين الدون خوان كبير من أهل وادي آش يدعى : الدون هرناندو دي براداس ، وكانت له صلات طيبة مع الموريسكيين قبل الثورة . وقد انتهت إلينا وثيقة مؤثرة هي عبارة عن خطاب كتبه مولاى عبدالله إلى دون هرناندو هذا يعرض استعداده للصلح والمفاوضة وفيه تبدو لغة الموريسكيين العربية في دور احتضارها ، ويبدو أسلوب اللهجة الغرناطية التي انتهى الموريسكيون إلى التحدث والكتابة بها بعد نحو ثمانين عاماً من الكتب والمطاردة . وإليك ما ورد في هذا الخطاب الذي ربما كان آخر وثيقة عربية عربية عثر بها البحث الحديث :

١ــ الحمد لله وحده قبل الكلم

٢ــ اسلم الكرمو على من اكرمهو الكرمــو سيديا وحبيبي وعزا سرعنديا دن هرنندو دنى نعلم جرمتكم ين

٣ــ اكن انت تقول يجى عند أخيكم وحيلك وتجى مطمن وكل ميجكم فمليا

٤ــ وذيمتى وكن أنت تريد تتزلل فذى المبرك مين سلح كل متعمل تعملو معى دنى

٥- نعمل معلك كل متريد بحق وبيل غدر وذهر لى مين الحبقى بن اشمكن بعمـل .
٦- معلمن وتطلعنى على حق لى ين اشم طلب طلب برحو وبنو ويسحبووبعد رعـى
٧- ودين انى نعرف بهذا شى وحرمتك أعمل الذى يذهر لكم وعمل ميسلح بتـر
٨- وبين وعسى يقذيا الله خير بينين وتكن حرمتكـم استبب فداشى وعملى فعد اكم بل اش
٩- كن معى من يكتب لى يل كينكن كتبت لكم أكثر وسلمـوا عليكم ورحمتو الله وبركتو الله
١٠- كتيب الكتب يوم التليث فشهر ويوفعم . . .

(ملاي عبدالله) (٤٠)

وكتب الـدون الونسودى فينجـاس (بنيغش) أيضـاً إلى مـولاي عبدالله يحثـه على المسالمـة ، والتنكب عن هـذا الطريق الخـطر ، ورد

(٤٠) نشـر هذا الخطاب وصورته الفوتوغرافية المستشـرق M. Alacron في مجموعـة بالأسبانيـة عنوانها :
Y. Textas Arales (Modrid 1915); P· 691
Misceloneo da Estudios ، وقد وجد هذا الخطاب في مجموعة المخطوطات الشرقية للمركيز بنيافلور Bena Flor ، وتحفـظ نسخة العربية فيها برقم ٢٤٦ ، وتحفظ ترجمته القشتالية برقم ٢٤٥ ، وقـد اورد مارمول ترجمته القشتالية في الكتاب التاسع الفصل التاسع . انظر نهاية الاندلس (٣٥٥) .

عليه عبدالله يلقى المسؤلية على اولي الأمر ، وعلى ما أحدثوه من بدع جعلت الحياة مستحيلة على الشعب الموريسكي (٤١) وجـرت المفاوضات بين الزعيم الحبقي قائد قوات الثورة ، وبين الدون هرناندو دى براداس ، واتفق في النهاية على أن يتقدّم الحبقي إلى الدون خوان بأعلان خضوعه ، وطلب العفـو لمواطنيه ، فيصدر العفو العام عن الموريسكيين ، وتكفل الحكومة الأسبانيـة حمايتها لهم أينما ارتأت مقامهم . وفي ذات مساء ، سار الحبقي في سرية فرسانه إلى معسكر الدون خوان في أندرش ، وقدّم له الخضوع ، وحصل على العفـو المنشـود

ولكن هذا الصلح لم يرضِ مولاى عبدالله وباقي الزعماء ، لأنهم لمحوا فيه نية إسبانيا النصرانية على نفيهم وترعهم عن أوطانهم ، ففيم كانت الثـورة إذن وفيم كان الجهاد ؟! لقد ثار الموريسكيون ، لأنّ إسبانيا أرادت أن تنزعهم لغتهم وتقاليدهم ، فكيف بها إذ تعتزم أن تنزعهم ذلك الوطن العزيز ، الـذي نشأوا في ظلاله الفيحاء . والذي يضمّ تاريخهم وكلّ مجدهم وذكرياتهم ؟ أنكر الموريسكيون ذلك الصلح المجحف ، وأرتاب مولاى عبدالله في موقـف الحبقي ، إذ رآه يروّج لهذه الصلح بكلّ قواه ، ويدعو إلى الخضوع والطاعة للعدو ، فاستقدمه لمعسكره ناكيلة ، وهناك أُعدم سراً .

ووقف الدون خوان على ذلك ، بعد أسابيع من الانتظـار والتريث ، وبعث رسوله إلى مولاى عبدالله ، فأعلن إليه أنه يترك الموريسكيين أحراراً في تصرفاتهم ، بيد أنه يأبى الخضوع ما بقي فيه عرق ينبض ، وأنه يؤثر أن يموت

(٤١) Marmol ; ibid ; VIII ; Cap. XXVII

مسلماً مخلصاً لدينه ووطنه ، على أن يحصل على مُلْكِ إسبانيا بأسره . والظاهر أنّ مولاى عبدالله ، كانت قد وصلته امدادات من المغرب شدّت من أزره وقوت أمله ، وعادت الثورة إلى اضطرامها حول رندة ، وأرسل مولاى عبدالله أخوه الغالب ليقود الثوّار في تلك الأنحاء ، وثارت الحكومة الأسبانية لهذا التحدي ، واعتزمت سحق الثوار بما ملكت فسار الدون خوان في قوّاته إلى وادي آش ، وسار جيش آخر من غرناطة بقياده دون ركيصا نصر إلى شمالي البشرات ، وسار جيش ثالث إلى بسائط رندة ، واجتاح الأسبان في طريقهم كلّ شيء ، وأمعنوا في التقتيل والتخريب . وعبثاً حاولت السرايا الموريسكية أن تقف في وجه هذا السيل ، فمزّقت تباعاً ، وهدم الأسبان الضياع والقرى والمعاقل ، وأتلفت الأحراش والحقول ، حتى لا يبقى للثائرين مثوى أو مصدر للقوت ، وأخذت الثورة تنهار بسرعة ، وفرّ كثير من الموريسكيين إلى إخوانهم في إفريقية ، ولم يبق أمام الأسبان سوى مولاى عبدالله وجيشه الصغير . بيد أن مولاي عبدالله ، لبث معتصماً بأعماق الجبال ، يحاذر الظهور أمام هذا السيل (وفي ٢٨ تشرين الأول - اكتوبر سنة ١٥٧٠م) أصدر فيليب الثاني قراراً بنفي الموريسكيين من مملكة غرناطة الى داخل البلاد ، ومصادرة أملاكهم العقارية ، وترك املاكهم المنقولة يتصرفون فيها ، ويقضي هذا القرار بأن الموريسكيين في غرناطة والفحص ووادى اكرين (الإقليم) وجبال بونتوفير حتى مالقة ، وجبال رنـدة ومربلة يؤخذون إلى ولاية قرطبـة ، ومن هناك يفرقون في أراضي ولايتي استراما دورة وجليقة . والموريسكيين في وادي آش وبسطة ووادي المنصورة يؤخذون إلى و جنجالة والبسيط ثم يفرقون في

أراضي قلعة رباح ومونتيل . والموريسكيين في ألمرية يؤخذون إلى ولاية إشبيلية . ونفذ القانون الجديد بمنتهى الصرامة والتحوط ، وجمع الموريسكيون ، المسالمون من غرناطة وبسطة وواي آش وغيرها ، وسيقوا إلى الكنائس أكداساً يحيط بهم الجند من كل مكان ، ونزعوا من أوطانهم وربوعهم العزيزة ، وشتتوا على النحو المتقدم في مختلف أنحاء قشتالة وليون (٤٢)

ووقعت أثناء تنفيذ هذا القرار مناظر دموية ، حيث جنح رجال الحكومة في بعض الأنحاء ولاسيما في رندة ، إلى نهب المنفيين ، والفتك بالنساء والأطفال ، ولما سمع الموريسكيون المعتصمون بالجبال هذه الأنباء ، انحدروا إلى السهل ، وقتلوا كثيراً من الجند المثقلين بالغنائم ، وكان مصير المنفيين مؤلماً ، إذ هلك كثير منهم من المشاق والمرض ، وعانى الذين سلموا منهم مرارة غربة جديدة مؤلمة ، ونص على وضعهم تحت الرقابة الدائمة ، وتسجيلهم وتسجيل مساكنهم في سجلات خاصة ، وعين لهم حيث وجدوا مشرفاً خاصاً يتولى شؤونهم ، وحرم عليهم أن يغيرو مساكنهم الا بتصريح ملكي ، وحرّم عليهم بتاتا أن يسافروا إلى غرناطة ، وفرضت على المخالفين عقوبات شديدة تصل إلى الموت ، وهكذا شرّد الموريسكيون في مملكة غرناطة أفضع تشريد ، وانهار بذلك مجتمعهم القومي المتماسك في الوطن القديم(٤٣) .

ولم يبق إلا أن يسحق مولاي عبدالله وجيشه الصغير ، وكان هذاا لامير المنكود يرى قواه وموارده تذوب بسرعة ، وقد انهار كل أمل في النصر او السلم الشريف ، بيد أنه لبث مختفياً في أعماق جبال البشرات بين آكام برشول وترفليس مع شرذمة من جنده المخلصين ، (وفي مارس – آذار – ١٥٧١ م) كشف بعض الأسرى سرّ مخبئه للاسبان ، فأوفدوا رسلهم إلى معسكره من

(٤٢) Marmol ; ibid ; X ; Car. VI.

(٤٣) Dr. Lea The Mariscos P. 256-257, 265

بعض المغاير ، وهناك استطاعوا إغراء ضابط مغربيّ من خاصته يدعى جونثالفو (الشنيش) ، وكان الشنيش يحقد عليه لأنه منعه من الفرار إلى المغرب ، وأغدق له الاسباب المنح والوعود ، وقطعوا له عهداً بالعفــو الشامل ، وضمان النفس والمال ، وأن تردّ إليه زوجته وابنته الأسيرتان ، اذا استطاع أن يُسلمهم مولاي عبدالله حياً أو ميتاً ، وكان الأغراء قوياً مثيراً ، فدبّر الضابط الخائن خطته لاغتيال سيّده ، وفي ذات يوم فاجأه مع شرذمة من أصحابه ، فقاوم مولاي عبدالله ماستطاع ، ولكنه سقط اخيراً مثخناً بجروحه ، فألقى الخونة جثته من فوق الصخور لكي يراها الجميــع ، ثــم حملها الاسبان الى غرناطه ، وهناك استقبلوها في حفل ضخم ، ورتبوا موكباً أسندت فيه الجثة إلى بغل ، وعليها ثياب بكامله كأنها انسان حي ، ومن ورائها افواج كثيرة من الموريسكيين الذين سلموا بعد مصرع زعيمهم ، ثم حملت الى القطع وأجري فيها حكم الإعدام ، فقطع رأسها ثم جرت في شوارع غرناطة مبالغة في التمثيل والنكّال ، ومزقت اربعاً ومزقت بعد ذلك في الميدان الكبير ، ووضع الرأس في قفص من الحديد ، رفع فوق سارية في ضاحية المدينة تجاه جبال البشرّات (٤٤) .

وهكذا انهارت الثورة الموريسكية وسُحقت ، وخبت آخر جذوة من العزم والجهاد في صدور هذا المجتمع الأبيّ المجاهد ، وقضت المشانق والمحارق والمحن المروّعة ، على كل نزعة إلى الخروج والنضال ، وهبت روح من الرهبة والاستكانة المطلقة ، على ذلك المجتمع المهيض المعذّب ، وعاش الموريسكيون لا يسمع لهم صوت ، ولا تقوم لهم قائمة ، في ظل العبودية المطلقة الشاملة ، والارهاق المطلق الثقيل حقبة أخرى (٤٥)

---

(٤٤) Marmol ; ibid, X Cap. VIII

(٤٥) نهاية الأندلس (٣٣٢ – ٣٥٩)

الفعل الماضي وحركات بنائه

بقلم الدكتور جميل ابراهيم علوش

يذكُرُ النحاةُ في معرضِ التمييز بينَ البناء والإعراب ، أنّ حركةَ البناء هي حركةٌ ثابتةٌ لازمةٌ ؛ في حين أنّ حركة الإعراب حركة عارضة متغيِّرة(١) ويضيفون الى ذلك أن حركةَ البناء لا علاقة لها بالعوامل الداخلة على اللفظة المبنيّة ؛ في حين تكون حركةَ الإعراب نتيجةً حتمية لتلك العوامل(٢) . ويُفهَم من هذا أن الكلمةَ لا تتأثر بما يدخُلُ عليها من عوامل ؛ في حين تكون اللفظة المعربة عُرْضة لمثلِ ذلك التأثير .

ومن المعروفِ أنّ الفعلَ الماضي يُبنى في الأصل على الفتحِ نحو جاء وحضَرَ وكتَبَ وقرأ .. (٣) وهذه حقيقة يعرفها كلُّ من كانَ له أدنى إلمام بعلم النحو. وما نظنُّ أنها تتضمن أيَّ التباس أو إشكال . أما الالتباسُ والإشكالُ فيكمنان في حقيقةٍ أخرى تُلازمها وتقترن بها ، وهي أنّ الفعلَ الماضيَ له حالتا بناءٍ أخريان :

(١) ابن الأنباري : أسرار العربية ص ٢٠ ، مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ١ /١٦ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصّل ٢ /٨٠ ، مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ، ٢ /١٦٧ .

(٣) علي بن سليمان الحيدره : كشف المشكل ١ /٢٤٨ ، جورج شاهين عطية : سلم اللسان ٤ /٢٣ .

الأولى – أنه يُبنى على الضمّ إذا اتصل بواو الجماعة نحو : حضرُوا ، كتبُوا ، قرأوا . . الخ (٤) .

الثانية – أنه يُبنى على السكون إذا اتصل بضميرِ رفعٍ متحرّك نحو : حضرْتُ وكتبْتُ وقرأْتُ . . الخ (٥) .

فهو يُبْنى اذن تارةً على الفتح وطوراً على الضمّ وطوراً على السُّكونْ . وهذا التغيرُ في حركاتِ بناء الفعْلِ الماضي قد يُوحي بأنه مُعربٌ لا مبني . وإلا فما معنى هذا التغيّرِ في حركةِ آخره ، ونحن نعلَمُ أنّ التغيير من دلائل الاعراب ؟ ألا يُمكنُ أن نجدَ في هذا التغيّر تسويغاً بل تفسيراً لما قد يتبادَرُ أحياناً الى أذهانِ بعضِ الدارسين من أنّ الفعلَ الماضيَ معربٌ لا مبْني ؟

يبدو أنّ الأمرَ كذلك . وإلاّ فما الفرقُ عندَ من لم يستحكم عودُهُ من الدارسين بين الفعْل الماضي الذي يَجيءُ آخرهُ مفتوحاً ومضموناً وساكناً ، والفعْلِ المُضارعِ الذي يجيءُ آخرهُ منصوباً ومرفوعاً ومجزوماً ؟ ومَن الكفيلُ بإيضاح ما بينَ الفتحِ والنّصْبِ والضمّ والرفعِ والسّكونِ والجزمِ من فروق ، وهيَ في ظاهرِها متشابهاتٌ متشاكلة ؟

لا أكتمُ القارىءَ أني أعذرُ جمهورَ الدارسين في هذا الالتباس ، بل إني أعدُّ من يلتبسُ الأمرُ عليه في هذه النقطة بعينها ممن يتمتعون بقسطٍ من الذكاء والفَهْم . ولولا ذلك ما التبسَ الأمرُ عليه ، لأنّ من تجرّدَ من الذكاء والفهم تتساوى عندَهُ الأمور ، فلا يشغَلُ نفسَه بمحكَمٍ ولا متشابِهٍ .

(٤) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ١٦٧/٢ ، علي رضا : المرجع في العربية ١١١/٣ .

(٥) جامع الدروس العربية ١٨٦/٢ ، المرجع ١١١/٣ .

وقد يكونُ في مصطلحاتِ النحاةِ وتسمياتِهم ما يُوقِعُ في مثلِ هذا الالتباس . فهم لا يفرقون في كتبهم بين المبني على الفتح والمنصوب والمبني على الضم والمرفوع والمبني على الكسر والمجرور . والدليل على ذلك أنهم يُسمُّونَ علامةَ النصبِ فتحةً وعلامةَ الرفع ضمةً وعلامةَ الجرِّ كسرة (٦) . ونحن نعلَمُ أنَّ الفتحَ والضمَّ والكسْرَ من ألقابِ البناءِ ، فكيفَ تكونُ الضَّمةُ والفتحةُ والكسْرةُ علاماتِ إعراب ؟

لقد خرَجَ بعْضُ جهابذة النحاة من هذا المأزقِ بتسميتهم علامةَ النصْبَ نصبةً أو حركةَ نَصْب وعلامةَ الرفع رفعةً أو حركَةَ رفع وعلامةَ الجرَّ جرةً أو حركةَ جر (٧) . كما جعلوا للجزْمِ علامة أخرى غيرَ السكون هي حـذف الحركة (٨) ، لأنَّ السكونَ علامةُ بناء . وهكذا يمكنُ التفريقُ بين ألقابِ البناء وألقاب الإعراب بأن نجعَلَ بينها حاجزاً منيعاً يبعدنا عن الالتباس والحيرة ويجنبنا التشابه والخلْط .

وقد ينبري لنا من يزعم أنَّ المناداةَ بالتمييزِ بين مصطلحات البناء ومصطلحات الإعراب هي ضربٍ من التزمُّتِ أو التعنتِ ، وأنَّ الموضوع لا يستحقُّ كلَّ هذه الحماسةِ والحرارة ، ما دامت المعاني مفهومةً والدلالاتُ واضحة . وليست القضيةُ قضيةَ فهمٍ ولا وضوحٍ ، بل قضيةُ دقةٍ وإتقان .

---

(٦) رشيد الشرتوني : مبادئ العربية ٤ /١١٧ ، جورج شاهين عطية : سلم اللسان ٤ / ١٤

(٧) (٢) محمد عبدالجواد أجمد : قواعد النحو البدائية ص ٣٤ .

(٨) ابن هشام : أوضح المسالك ١ /٢٨ وشذور الذهب ص ٣٦ ، علي بن سليمان الحيدرة : كشف المشكل ١ /٢٣٣

فلئن كان تفاوتُ العقولِ في القدرةِ على الإيضاحِ والإفهامِ عظيماً وجليلاً ، لتفاوتها في الإتقانِ والإحكامِ أعظم وأجلّ .

ويتضحُ مما سبقَ أنّ الالتباسَ بينَ الفتحِ والضمِ والسكون في الماضي ، والنصبِ والرفعِ والجزمِ في المضارعِ وارد ، إذا قسنا الأمورَ بالمقياسِ البصريِّ البحتِ ، إذ لا فرقَ من الناحيةِ الشكليةِ بينَ الفتحِ والنصبِ والضم والرفع والسكونِ وحذف الحركة . ولابدَّ بعد ذلك من حجةٍ عقلية بحتةٍ للتمييزِ بينَ ألقابِ البناءِ وألقابِ الإعرابِ منهما ، وبخاصةٍ أنّ مقياسَ الثباتِ والتغيُّرِ الذي أشرنا إليه في بدء هذا المقال ، لم يَعُدْ صالحاً للفصلِ في الموضوعِ ، بسببِ وقوعِ التغيُّر في الفعل الماضي الذي هو مبني في الأصل ، وتعرّضهِ لثلاثِ حالاتٍ بنائية هي الفتحُ والضمُّ والسكونُ ، دونما تأثر بعاملٍ سابقٍ ولأسبابٍ بنيوية بحتةٍ .

وإذا كان مقياسُ التغير لم يعدْ صالحاً للفصلِ في الموضوع ، فلا بدَّ إذن من الاعتماد على مقياسٍ آخرَ لا يمكن استبعادُه ، بأيةِ حالٍ من الأحوال ، وهو مقياسُ التأثرِ بالعواملِ السابقة .

فإذا كانت الحركاتُ ناجمةً عن عواملَ سابقةٍ كما هي في الفاعل نحو حَضَرَ زيدٌ ، والمفعول به نحو : قرأتُ الكتابَ ، والمجرور نحو : كتبتُ بالقلم : والمجزوم نحو : لم يقرأْ ، فهي حركاتُ إعراب . أما إذا لم تكن ناجمةً عن عواملَ سابقةٍ فهي حركات بناء نحو : حيثُ وأينَ وأمسِ وكم وقد أشارَ ابنُ مالك إلى هذه الحركات البنائية في قوله (٩) :

ومنه ذو فتحٍ وذو كسرٍ وضمّْ ... كأينَ أمسِ حيثُ والساكنُ كمْ

(٩) ابن عقيل : شرحه على ألفية ابن مالك ١ / ٤٠ .

وبهذا المقياس نستطيع أن نتبيّن أنّ الفعلَ الماضي لا يمكن أن يتأثر شكلاً بالعوامل السابقة. والعواملُ هي أدواتُ النصب والجزم في الأفعال، وحروف الجر والاحرف المشبّهةُ بالفعْل في الأسماء، وألفاظٌ أخرى ليسَ هنا مجال عرضها (١٠). فحين نقول: حضرزيدٌ، تكون الفتحةُ في (حَضَرَ) علامة بناء لأنها لم تكنْ ناجمةً عن عاملٍ سابق. وحينما نقول: لن يحضُرَ زيدٌ، تكونُ حركةُ النصب في الفِعْل المضارع ناجمةً عن عاملٍ سابق هو أداةُ النصب (لن) وهكذا دواليك. أما الرفعُ في المضارع فهو عاملٌ سلبيّ اذ هو ناجم عن التجرد عن العوامل اللفظية. ولذلك يُسميه النحاة عاملاً معنوياً.

فالفعلُ الماضي سواءٌ كان مبنياً على الفتح أو الضمّ أو السُكون لا يقَعُ في نطاقِ جاذبية العوامل السابقة (١١). وعدم وقوعه في نطاقِ تلك الجاذبية يجعلهُ بعيداً عن التأثر بها كالفِعْل المضارع. ولذلك كان مبنياً مهما تداولـه من حركات، ومهما اختلفت حالاتُ بنائِه. فهذا التغيرُ في الحركات الذي يطرأ على آخر الفِعْل الماضي، بحيثُ يمكننا أن نقول كَتَبَ، كتبوا، كتبْنا هو تغيرٌ بنائي لا تغيرٌ اعرابي، ولذلك كانت ألقابُ حركاتِه هي الفتحُ والضمُ والسكونُ على التوالي لا النصبُ والرفعُ وحذفُ الحركةِ كما يقعُ في الفعْـل المضارع.

وقد يُحاولُ بعض النحاةِ التقليلَ من أهمية الاختلاف في أواخر الفعل الماضي، فيُقرِّرُ أنّ الفعلَ الماضيَ مبنيٌّ على الفتح في جميع أحواله. أما حيـن يتصل بواو الجماعة أو بضمير رفع متحرك فيقدر فيه الفتح لاشتغال المحل بحركة المناسبة في الحالة الأولى، والسكون العارض في الحالة الثانية (١٢)

---

(١٠) ميشيل عاصي وغيره: المعجم المفصّل ٢/٨٠٩

(١١) جورج شاهين عطية: سُلّمُ اللسان ٤/١٤٥.

(١٢) رشيد الشرتوني: مبادئ العربية ٤/١٢٨.

وتفسيرُ ذلك في الحالةِ الأولى ؛ أنّ الفعلَ الماضي يُبنى على الفتح أصلاً ، فإذا اتصل بواو الجماعة أُبدلت الفتحة ضمةً مجانسة للواو في قولنا : كَتَبَ ، وكتبوا ، قياساً على تغير حركة الاسم المضاف الى ياء المتكلم في مثل قولنا: هذا كتابي . فلا شكَّ أنّ (كتابي) خبر المبتدأ . والخبر يجب أن يكون مرفوعاً فأين علامة الرفع ؟ والجواب هو أنّ علامةَ الرفعِ التي هي الضمة هنا أبدلت كسرة لمجانسة ياء المتكلّم(١٣) ولذلك قيل في إعراب كلمة كتابي : خبرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل الياء لاشتغال المحل بحركة المناسبة (١٤) . وقياساً على ذلك قالوا في اعراب كتبوا : فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدّر على ما قبل الواو لاشتغال المحل بحركة المناسبة (١٥) .

أمّا في الحالة الثانية وهي الفعل الماضي المسند الى ضمير رفع متحرك في مثل قولنا كتبْتُ ، فقد طرأ على الحرف الأخير من الفعل الماضي سكون عارض . وتفسير ذلك أنّ اللفظةَ العربيةَ يصعُبُ أن تتكرر فيها أربعة متحركات ، لأنّ الأصل في (كتبْتُ) بسكون الباء هي (كَتَبَتُ) بفتح الباء (١٦) . وكل ما حصل أن الحرف الثالث سُكّنَ لتيسير النطق وتحسين اللفظ ومراعاة ما يُسمّى بأقلّ الجهد في قوانين الصوت اللغوي (١٧) .

---

(١٣) رشيد الشرتوني : مبادئ العربية ٤ /١١٩ ، جورج شاهين عطية: سلم اللسان ٤ /١٤٣ .

(١٤) عبده الراجحي : التطبيق النحوي ص ٢٥ .

(١٥) رشيد الشرتوني : مبادئ العربية ٤ /٣٨٨ .

(١٦) علي الحيدرة : كشف المشكل ١ /٢٥٣ ، عبدالقاهر الجرجاني : المقتصد في شرح الايضاح ١ /٣٢٨ .

(١٧) ابراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .

وهذا يعني أنّ البناء على الضمّ عند اتصال الفعل بواو الجماعة هو حالة اضطرارية عارضة ، فرضها ما في واو الجماعة من قوة وجبروت . فالواو لا لا تقبل أن تجاورها فتحة" تمسكاً بقانون تلاؤم الأصوات وانسجامها في العربية(١٨). ولا يندُّ الواو في هــذه القوة والجبروت الا الياء . فهي تأبى أن يجاورهـا إلاّ كسرة ، لأنّ الحركات ابعاض الحــروف كما ذكر ابن جني في بعض ما قال (١٩) . فالفتحة بعض الألف والضمة بعض الواو والكسرة بعض الياء . وإذا كان الأمر كذلك فالياء لا تقبــل أن يجاورها إلاّ ابنتها الكسرة . ولذلك تقدر الحركات في جميع الأحوال على رأي (٢٠) ، وفي حالتي الرفع والنصب فقط على رأي آخر (٢١) ، على ما قبل الياء لاشتغال المحل بحركة المناسبة في الأسـماء المضافة الى ياء المتكلم نحو بلدي ، داري .

وهذا ما يحصل حينما يسند الفعل الماضي إلى واو الجماعة ، إذ إنّ قانون تلاؤم الأصوات وانسجامها يفرض استبدال الضمّ لاتصاله بواو الجماعة(٢٢) وعندئذ إما أن تقول : إنّ الفعل الماضي مبني على الضمّ لاتصاله بواو الجماعة ، وهو رأي ، وإما أن نقول : إنّ الفعل الماضي مبني على الفتح المقدّر على ما قبل

---

(١٨) ابراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ٢٠٩ ، الأصوات اللغوية ١٢٦ ، ١٨٢

(١٩) ابن جني : سر صناعة الاعراب ١/ ١٧ ، وأنظر نتائج الفكر للسهيلي ١١٢ .

(٢٠) جورج شاهين عطية : سلم اللسان ٤/ ١٤٣ ، وانظر الخصائص ٣/ ٥٩ .

(٢١) رضي الدين الاستراباذي : شرح الكافية ١/ ٣٤ ، وانظر شرح التصريح ١/ ٥٩ .

(٢٢) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ٢/ ١٦٧

الواو لاشتغال المحل بحركة المناسبة(٢٣) . وهو رأي آخر. وكلا الرأيين معقول ومقبول . ولا يتسع المجال لتغليب رأي على آخر .

.. أما حين يسند الفعل الماضي إلى ضمير رفع متحرك في مثل : كتبْتُ وحضَرْتُ ودرسْتُ ، فيسكن آخرُ الفعل تجنباً لتوالي الحركات ، لما في ذلك التوالي من ثقل على السمع كما أسلفنا ، وهي علة صوتية وجيهة تمتُّ بصلة وثيقة إلى قانون تلاؤم الحروف وانسجامها . ذلك أنّ الضمير تنزّل من الفعل منزلة الجزء كما يذكر ابن الأنباري (٢٤) . ولم يُعهَدْ في الأفعال توالي أربع حركات في فعل واحد فسُكِّنَ أحدُها للتخفيف

ولولا أنّ الفعْلَ والضميرَ تنزّلا منزلةَ الكلمة الواحدة ، لما جاز أن يدلَّ الفعْلُ الأجوفُ المسند إلى ضمائر الرفع في مثل : قُلْتُ وزُرْتُ ، على المضيَّ وهو على صورة الأمر . وهذا التشابه في الصورة والاختلافُ في المعنى بين الماضي والأمر ، مما يُوقع كثيراً من الطلبة في الوهم والحيرة . فهم لا يُصدّقون أنّ (زرْ) و (قلْ) في زرْتُ وقلْتُ فعلان ماضيان لعلمهم أنهما فعلا أمر . ولذلك نراهم حينَ يعربونَ يقولون : زارَ أو قال فعلٌ ماضٍ ويرفضون أن يقولوا : زرْ أو قلْ ، لثقتهما أنّ هذين وأمثالَهما أفعالْ أمر . والواقع أن (زرْ) و (قلْ) في حالة اتصالهما بضمائر الرفع المتحركة فعلانِ ماضيانِ مبنيانِ على السكون . وما سوى ذلك محضُ تكهن أو توهم .

بقي بعد ذلك أن نذكر بعضَ الحالات التي قلما ينتبه لها الدارسون عند إعراب الفعل الماضي ، أو التعرّض للحديث عن أحوال بنائه أو إسناده إلى ضمائر

(٢٣) رشيد الشرتوني : مبادىء العربية ٤ /١٢٨

(٢٤) ابن الأنباري : لمع الأدلة ص ٦٦ ، وانظر فاتحة الاعراب ص ١٦٦ .

الرفع الساكنة كالواو أو المتحركة كالتاء . وذلك من جراء بعض التغييرات التي قد تطرأ عليه إذا كانَ ناقصاً عند الإسناد فتجرّدُه من حرف العلة ويتأتى عما يطرأ من تغيير أن يعسُرَ إلا على القلة النادرة تبيُّنُ حركةِ البناء أو الاستدلالُ على موضعها مما سنحاول إيضاحه في ما يلي :

١ — لعلَّ من نافلة القول أن نذكُرَ أنَّ حركةَ البناء في الفعلِ الماضي الناقص بالألف تقدّر على الألف للتعذّر سواء كانت هذه الألف قائمة في نحو عدا وشدا ، أو بصورة الياء في نحو بنى وبكى . وقد زعم تاجُ الدين الاسفراييني أنَّ الفعلَ في هذه الحالة يكون مبنياً على السكون (٢٥) .

٢ — حينما تلحَقُ تاء التأنيث الفعلَ الماضي الناقص المنتهي بالألف في نحو رأت وبكت . تحذف هذه الألف دفعاً لالتقاء الساكنين ، فتقدر الفتحة على الألف المحذوفة (٢٦) .

٣ — حينما تتصل واو الجماعة بالفعل الماضي الناقص المنتهيَ بالألف في نحو عتا وسطا ، تُحذَفُ الألفُ دفعاً لالتقاءِ الساكنين ، ويبقى الحرْفُ الذي قبلَها مفتوحاً للتدليل على أنَّ الحرْفَ المحذوف ألف لا واو ولا ياء . وتقدر عندئذ حركةُ البناء وهي الضمة على الألف المحذوفة(٢٧) . وقد يُقال ان الحركة المقدرة في هذه الحالة هي الفتحة كما لو أن الفعل لم يسند الى واو الجماعة . وذلك لأنَّ الفعلَ الماضي المنتهي بالألف المقصورة ، سواء كانت قائمة مثل دعا أو بصورة الياء مثل بنى لا تقدّر عليه الضمة لأنَّ واو الجماعة لا تستطيع أن تؤثر في الألف المقصورة بحيث تجعلُ

---

(٢٥) تاج الدين الاسفراييني : كتاب الضوء في النحو ص ١١٤ .

(٢٦) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ٢ / ١٦٧ .

(٢٧) نفس المصدر والمكان .

فتحتها المقدرة ضمة . فنحن نقول حينما نسند الفعل الى ضمير المفرد (دعا) وحينما نسنده الى واو الجماعة نقول (دعاوا) ثم نحذف الألف دفعاً لالتقاء الساكنين فتصبح (دعَوْا) . فلا مجال إذن لأن تصبح الفتحة ضمة عند اسناد الفعل المنتهي بالألف المقصورة الى واو الجماعة ويبقى المشار إليه مبنياً على الفتحة المقدرة على الألف كما لو كان مسنداً الى ضمير المفرد المذكر .

٤ – حينما تتصل واو الجماعة بالفعل الناقص المنتهي بالياء في نحو نسِيَ ورضِيَ تسكن حركة الياء للتخفيف فيجتمع ساكنان هما الياء وواو الجماعة . وعندئذ تحذف الياء دفعاً لالتقاء الساكنين ، وتقلب كسرة ما قبلَ الياء ضمه مناسبة للواو فنقول نسُوا ورضُوا(٢٨) . وحينئذ نقول في اعراب ذلك : فعل ماضٍ مبني على الضمّ المقدّر على الياء المحذوفة دفعاً لالتقاء الساكنين .

٥ – حينما تتصل واو الجماعة بالفعل الناقص المنتهي بالواو في نحو نهُوَ وسرُوَ وهما فعلان نادران على وزن كرُم يحذف حرف العلة الذي هو الواو دفعاً لالتقاء الساكنين(٢٩) . فنقول حينئذٍ في إعرابه : فعل ماضٍ مبني على الضمّ المقدّر على الواو المحذوفة دفعاً لالتقاء الساكنين .

وليسَ في تعيين علامة البناء أو تحديد موقعها في الفعل الماضي الصحيح الآخرِ أي إشكال . أمـا إذا كان الفعل الماضي معتل الآخر بالواو أو بالياء وأسند الى واو الجماعة ، فإنّ تحديد علامة البناء ليسَ شيئاً يسيراً . ذلك لأنّ

---

(٢٨) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ٢ / ١٦٨ .

(٢٩) نفس المصدر والمكان .

حركة البناء أو الإعراب إما أن تكون ظاهرة أو مقدّرة . ولكنهما إذا حذف حرفها تكون عندئذ لا ظاهرة ولا مقدرة . وهنا يكمن الإشكال الكبير الذي يجرّ الى مزيد من الخلاف والبلبة وقد حاولنا في السطور السابقة أن نلقي ضوءاً على جذور هذا الالتباس الذي كثيراً ما يواجهه الدارسون والمدرّسون بالصمت والتجاهل .

* * *

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن (٥٧٧ هـ / ١١٨١م):

١ - أسرار العربية . تحقيق محمد بهجة البيطار . دمشق مطبعة الترقي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ؛ ١٩٨٧ م .

٢ - لمع الأدلة في أصول النحو . تحقيق عطية عامر . بيروت ؛ المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٣ م .

ابن جني ، أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م) :

١ - الخصائص . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٨٢ م .

٢ - سر صناعة الاعراب . تحقيق حسن هنداوي . دمشق، دار القلم ،ط /١ ١٩٨٥ م .

ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله العقيلي (٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ م) :

شرحه على الفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة مطبعة السعادة ، ط / ١٤ ، ١٩٦٤ م .

ابن هشام جمال الدين عبدالله بن يوسف (٧٧١ هـ / ١٣٦٠ م) .

١ - أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة النصر ، ط / ٤ ، ١٩٥٦ م .

٢ - شذور الذهب. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة، مطبعة السعادة ، ط /١ ، ١٩٦٥ م .

أحمد ، محمد عبدالجواد :

قواعد النحو البدائية للغة العربية . القاهرة ، ١٩٧٢ م .

الأزهري ، الشيخ خالد بن عبدالله (٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م) :
شرح التصريح على التوضيح . القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية (بلا تاريخ) .

الاسترابادي ، رضي الدين محمد بن الحسن (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م) :
شرح الكافية (نسخة مصوّرة) بيروت ، دار الكتب العلمية ط / ٢ ، ١٩٧٩ م

الاسفراييني ، تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد بن سيف الدين (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) :

١ — الضوء على المصباح . تحقيق عبدالمجيد عوض ابي الحاج (أطروحة دكتوراة مخطوطة) مقدمة إلى جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٦م

٢ — فاتحة الاعراب . تحقيق عفيف عبدالرحمن . عمان ، منشورات جامعة اليرموك ، ط / ١ ، ١٩٨١ م .

أنيس ، الدكتور ابراهيم :

١ — الأصوات اللغوية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، مطبعة لجنة البيـــان العربي ، ط / ٣ ، ١٩٦١ م .

٢ — دلالة الألفاظ . القاهرة مكتبة الانجلو المصرية مطبعة لجنة البيـــان العربي ط / ٢ ، ١٩٦٣ م .

الجرجاني ، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن (٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) :
المقتصد في شرح الايضاح . تحقيق كاظم بحر المرجان . بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢ .

الحيدرة ، علي بن سلمان (٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) :
كشف المشكل في النحو . تحقيق هادي عطية مطر . بغداد . وزارة الأوقاف ، مطبعة الارشاد ، ١٩٨٤ م .

الراجحي ، الدكتور عبده :
التطبيق النحوي . بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ م .

السهيلي ، عبدالرحمن بن عبدالله (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) :
نتائج الفكر في النحو . تحقيق محمد ابراهيم البنا . القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٤ م

الشرتوني ، المعلم رشيد :
مبادىء العربية . بيروت ، دار المشرق ، ط / ١٦ ، ١٩٨٦ م .

عاصي ، الدكتور ميشيل :
المعجم المفصل في اللغة والأدب . بيروت . دار العلم للملايين ، ط / ١ ، ١٩٨٧

عطية ، جورج شاهين :
سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان . بيروت ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، ط / ٥ ، (بلا تاريخ) .

علي رضا ، الشيخ :
المرجع في العربية نحوها وصرفها . حلب ، المطبعة السورية ، ١٩٦٢ م .

الغلاييني ، الشيخ مصطفى :
جامع الدروس العربية صيدا ـ بيروت ، المطبعة العصرية ، ط / ٨ ، ١٩٥٩ م .

اتمـام الوفاء في معجم القاب الشعراء

الدكتور سامي مكي العاني *

عرّف العرب بولعهم الشديد وشغفهم بالألقاب ، ومـن هنا تفنّنوا بها ، وتوسعوا في استعمالها ، فتعدوا في إطلاقها على الرجال الى الخيول والدواب ، والسيوف والرماح والحراب ، وكانوا يعتقدون أن الألقاب تنزل من السماء ، وأنها تدل على أصحابها ، فقال شاعرهم :

وقلما أبصرت عيناك من رجـل

إلا ومعناه إنْ فكّرتَ في لقبـه

وكان للشعراء النصيب الأوفر من هذه الألقاب ، فعُني بهـم المصنفون لكثرة ألقابهم وتنوعها وتعدد اسبابها ، وكتبوا المصنفات في ذلك ، وقد ضاع معظمها ، ووصل إلينا منها اثنان فقط ، هما رسـالـة صغيرة بعنـوان (ألقاب الشعراء) لمحمد بن حبيب ــ ت ٢٤٥هـ ــ حققهـا الأستاذ عبدالسلام هارون ضمن سلسلة « نوادر المخطوطات » في القاهرة ، والثاني بعنـوان (المذاكرة في ألقاب الشعـراء) لمجـد الديـن النشابي ــ ت ٦٥٧هـ ــ نشـره السيد شاكر العاشور في بغداد ، ولـم يستوف هـذان الكتابان ألقاب الشعراء أو أنواعها ، ولاأسبابها ، مما دفـع بي الى العناية بجمع ألقـاب الشعراء الكثيرة والمتنوعة ، فأصدرت كتابـي المعنون بـ (معجـم ألقاب الشعراء) عام ١٩٧١ بمساعدة المجمع العلمي العراقي ، وخلال عشر سنوات بعد صدور هذه الطبعة تجمع لدي عدد وافر مـن الألقاب زاد على المئتين والسبعين لقبـاً ، فأصدرتُ الطبعة الثانية من الكتاب عام ١٩٨٢ وهي طبعـة مزيدة ومنقحـة ، وكنت قد تناولتُ في الطبعتين المذكورتين القاب الشعراء الذين عاشوا قبل سقوط الدولة العباسية ، ووقفت عند منتصف القرن السابع الهجريّ .

وبعد صدور الطبعة الثانية تجمعت لدي القاب جديـدة لبعض الشعراء الذين عرضتُ ألقابهم في الطبعتين السابقتين ، وأضفتُ إليها ألقاب مَنْ عاش الى القرن العاشر الهجري ، فبلغ عدد هذه الألقـاب مئتين ، أرى من المفيد أن أطلع عليها القارىء الكريم ، لعل فيها فائدة ، وهي متنوعة وطريفة .

وقد كبتُ هذه التتمة بالطريقـة التي سلكتها في كتابـة (معجم ألقاب الشعراء)، وسرتُ على المنهج الذي نهجته هناك، ويتلخص هذا المنهج في أمور :

١ ــ حاولتُ ترتيب ألقاب الشعراء على حسب الحروف الهجائية ، غير معتدّ بآبْن وأبي وأل التعريف ، لتكو ن أسهل مأخذاً وأقرب تناولاً .

٢ ــ حرصتُ على ذكر اسم الشاعر الكامل وعصره ، وكل مـا توصلتُ إليه بشأن لقبه .

٣ ــ أثبت في الهوامش جميع المصادر التي رجعتُ إليها .

٤ ــ أهملتُ الاختلافات التي وردت في رواية الأشعار ، معتمداً رواية أقدم المصـادر . ومـن شاء معرفة الاختلافات ، يمكنه أن يرجـع الى ثبت مصادر البحث .

٥ ــ وجدتُ بعض الكنى ألقاباً لأصحابها ، وإن جاءت على صـورة الكنيـة ، فأثبتها ، وعددتها ألقاباً مثل « أبي شامة » .

٦ ــ استبعدتُ الشعراء الذين لُقِّبوا ، اتّباعاً لتقليد عـُرف في عصرهم مثل « الناصربالله » ، و « عميد الملك » .. الخ .

ووقفت كما ذكرتُ عند آخر القرن العاشر الهجري ، آمـل أن تسنح لي الظروف ، وتسعفني المصادر لاكمـال هذا المعجم و الوصـول به إلى ألقاب شعراء العصر الحديث .

ومن الله العون ، وبه التوفيق



الأبّـار : شاعر من القرن العاشر الهجري ، اسمه الشيخ عبد القادر بن محمد بن عثمـان الماردينى الحلبـي . لُقب بذالك لأنه كان يصنـع الابَرَ بحانوتٍ له(١) .

أبيض الوجه : شاعر مصري من القرن العاشر الهجري ، اسمه أبو المكارم شمس الديـن محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكـري ، لقب بذلك لتدينه ونقائه ، حتى سمي القطب البكري أيضاً(٢) .

الآثاري : شاعر عراقي من القـرن التاسع الهجـري ، اسمه زين الدين شعبان بن محمد بن داوود المَوْصِلي . لقب بذلك لإقامتـه في أماكن الآثار النبوية مدّة(٣) .

الأَحْوَص : شاعـر جاهلي ، اسمه عوف بن جعفـر بن كلاب . لقب بذالك لِحَوَصٍ كان في عينيه : وهو ضِيق في مُؤخرهما(٤) .

الأذرعي : شاعر من القرن الثامن الهجري ، اسمه شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالواحد ، ولد بأذرعات الشام ، فلُقّب بها(٥) .

الأزراري : شاعر من القرن التاسع الهجري ، اسمه أبو بكـر بن علي بن عبدالله الحموي . لقب بذالك لأنه اتخذ عَقْدَ الأزرار صناعة له في صِباه(٦)

أسَد البحر : شاعر نجديٌ ، من القرن التاسـع الهجري . اسمه شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد السعدي . لقب بذالك لأنه كان من كبار ربابنة

---

(١) الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة ٢٤١/١ .
(٢) النور السافر عن اخبار القرن العاشر ٤١٤ . وشذرات الذهب ٤٣١/٨ .
(٣) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ٣٠١/٣ وشذرات الذهب ١٨٤/٧ .
(٤) الموشح ٢٩٦ والاشتقاق ٤٣٧/١ .
(٥) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ١٢٥/١ والبدر الطالع ٣٥/١ .
(٦) الضوء اللامع ٥٣/١١ وشذرات الذهب ٢١٩/٧ .

العرب في البحار والخلجان ، وهو الذي أرشد (فاسكو ديغاما) في رحلته البحريه[٧] .

أسد الملوك : شاعر أندلسي من القرن الخامس الهجري • اسمه أبو عمرو عبّاد بن محمد بن اسماعيل بن عبّاد اللخمي ، مالك أشبيلية • كان شجاعاً حازماً ، فلقب بذالك[٨] .

الأشتري : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو بكر عبدالقادر ابن زنكي بن بنيمان • لقب بذالك نسبة الى الأشتر أحد رجال البلاد الجبلية[٩] .

الأشتري : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن أبي الفتح بن أبي بكر المصري • لقب بذالك لأنه كان يقول إنه من أولاد مالك الأشتر النخعي[١٠] .

الأصمّ : شاعر جاهلي • اسمه الحكَم بن المِقداد الفزاري • لقب بذالك لأنه كان أُطْرُوشاً[١١] .

ابنُ بنت الأعز : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه عبدالرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامي المصري • لقب بذالك لأن القاضي الأعز وزير الملك الكامل كان جده لأمه ، فعُرِف به[١٢] .

الأقطع : شاعر أمويّ ، اسمه خلف بن خليفة ، اتّهم بالسرقة في صباه ، فقطعت يده ، وكان له أصابع من جلد يلبسها ، فلقب بالأقطع[١٣] .

---

(٧) مجلة المجمع العلمي العربي ١/٢٨٠ و ٢٣/١٣٢ .
(٨) فوات الوفيات ١/١٩٩ والبيان المغرب ٣/٢٠٤ .
(٩) عقود الجمان في شعراء الزمان ٤/ الورقة ٢٢ .
(١٠) عقود الجمان ٧/ الورقة ٢٣٤ .
(١١) شرح الحماسة للتبريزي ١/٢٤٢ .
(١٢) فوات الوفيات ١/٢٥٦ ، والنجوم الزاهرة ٨/٨٢
(١٣) الشعر والشعراء ٤٤٦ .

الأقيشر : شاعر أموي ، اسمه عبدالله بن الأسود ، لقب بذالك لأنه كان أحمر الوجه أقشر ، وكان يغضب إذا دعوه الأقيشر ، ويخاصم[١٤] .

الأمومي : شاعر من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو الفرج محمدبن سعيد بن علي بن جعفر ، لقب بذلك نسبة الى قرية أموميّة ، تحت واسط بأربعة فراسخ[١٥] .

ابن أمير العرب : شاعر من القرن الثامن الهجري ، اسمه عزالدين جواد بن سليمان بن غالب . ينتسب إلى الأمير العربي النّعمان بن المنذر ، فلقب به[١٦] .

الباعشيقي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبدالله محمد ابن أحمد بن سعيد بن المبارك الأزري . لقب بذالك لأنه أقام بترية من قرى المَوْصِل تسمى (باعشيقا) بُرْهةً من الزمن[١٧] .

البديع : شاعر من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو محمد عبدالرزاق بن أحمد بن الخضر بن أحمد العامري الأطرابلسي ، لقب بذالك لأنه كان يأخذ نفسه بصِناعة الترَسّل والإنشاء الكتابي[١٨] .

البرجي : شاعر تونسي من القرن العاشر . اسمه أبو الفتح محمد بن محمد بن سلامة الزبغي ، لقب بذالك نسبة الى قرية من أعمال تونس[١٩] .

بَركة الوقت : شاعر من القرن السابع . اسمه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الرقي . كان عالماً كبيراً ، وواعظاً مشهوراً ، ومؤلفاً مكثراً ، وشاعراً معروفاً في وقته ، فلقب بذالك[٢٠] .

---

(١٤) المذاكرة في القاب الشعراء ٣٦
(١٥) عقود الجمان ٦/ الورقة ٨٣ .
(١٦) الدرر الكامنة ١/ ٥٤٠ .
(١٧) عقود الجمان ٧/ الورقة ٤٩ .
(١٨) م . ن ٤/ق٨٤ .
(١٩) شذرات الذهب ٨/ ٣٨٠ ، وبلاغة النصر ٣٩٧ .
(٢٠) الدرر الكامنة ١/ ١٤ ، وشذرات الذهب ٦/ ٧ .

البَشْتكي : شاعر مصري من القرن التاسع الهجري ، اسمه أبو البقاء محمد بن ابراهيم بن محمد الأنصاري ، لقب بذالك نسبة الى خانقاه (بَشْتك) بالقاهرة ، وكان أحد صوفيتها[٢١] .

التعجيزي : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه علاء الدين علي بن عمر الدمشقي . لقب بذالك لأنه حفظ كتاب التعجيز في الفقه لابن يونس ، فلقب به[٢٢] .

التقيّ : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو الحسن محمد بن إبراهيم المدستاني . لقب بذالك لأدبه وفضله ودينه[٢٣] .

ثعلب : شاعر من القرن الثالث الهجري . اسمه أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني . لقب بذالك لأنه كان إذا سُئل عن مسألة ، أجاب : من ها هنا وها هنا ، فشبّهوه بثعلب إذا أغار[٢٤] .

الجُبَيْري : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه محمد بن عبدالسلام الحصري الواسطي . لقب بذالك لأنه كان يذكر انه من ولد سعيد بن جُبير[٢٥] .

الجراحي : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه محمد بن إبراهيم بن بركة العبدلي الدّمشقي . اشتغل بالجراحة ، ثم تعانى النظم فمهر فيه ، فلقب بالجراحي[٢٦] .

الجزّار : شاعر مصري من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو الحسين جمال الدين يحيى بن عبدالعظيم بن يحيى ، كان جزّاراً بالفُسْطاط ، فلقب بذالك[٢٧] .

---

(٢١) الضوء اللامع ٢٧٧/٦ ، ومطالع البدور ٨٠/١ .
(٢٢) الدرر الكامنة ١٦٤/٢ ، والوفيات للسلامي ٢٦٣/٢ .
(٢٣) عقود الجمان ٤/ الورقة ١٩٩ . (٢٤) الكنى والالقاب ١٢٩/٢ .
(٢٥) الوافي بالوفيات ٢٥٥/٣ . (٢٦) الضوء اللامع ٢٥٠/٦ .
(٢٧) فوات الوفيات ٣١٩/٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٤٥/٧ ، وشذرات الذهب ٣٦٤/٥ .

الجَعْبَرِيّ : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه ابو سعد نصر بن يوسف بن نصر بن عبدالرزاق . لقب بذالك لأنه سكن قلعة جعبر ، وهي قلعة حصينة على طرف الفرات من البلاد الجزيرية[٢٨] .

الجمدار : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه علاء الدين علي بن بلبان بن عبدالله . كان يُلبِسُ السلطانَ أو الامير ثيابه . وأصله (جاماادار) ، فحذفت الألفان استثقالاً ، وهو مركب في الأصل من لفظتين فارسيتين : جاما ومعناها الثوب ، ودار ومعناها الممسك ، فصارت له لقباً[٢٩] .

الجَمّال : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبدالله محمد بن علي بن أبي بكر البغدادي النطوعي . لُقب بالجَمّال لأن جده كان جَمّالاً في طريق مكة ، وعُرِفوا به[٣٠] .

الحاجري : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه حسام الدين عيسى ابن سنجر الإربْلِيّ . لقب بذالك ، ولم يكن من حاجر الحجاز ، بل لكونه استعملها في شعره كثيراً ، بحيث صارت كالعلم عليه ، وقلما تخلو قصيدة إلا ويعرض بذكرها فيها[٣١] .

الحافي : شاعر من القرن الثالث الهجري ، اسمه أبو نصر بشر بن الحارث البغدادي ، كان من أهل المعازف والملاهي ، فاجتاز يوماً الإمامُ موسى الكاظم داره ببغداد ، فسمع الملاهي وأصوات الغناء تخرج من تلك الدار ، وخرجت جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الدرب . فسألها الإمام موسى الكاظم : ياجارية ، صاحب هذه الدار حر ؟ أم عبد ؟ فقالت : بل حر . فقال : صدقت ، لو كان عبداً خاف مولاه . فلما دخلت ، قال مولاها وهو على مائدة السكر :

---

(٢٨) عقود الجمان ٩/ق١ .
(٢٩) الوفيات للسلامي ٢٧٨/١ ، وصبح الاعشى ٤٥٩/٥ .
(٣٠) عقود الجمان ٧/ ق ١٧٧ .
(٣١) م . ن ٥/ ق ٢٤٠ .

ما أبطأك ؟ فقالت : حدّثني رجل بكذا وكذا ، فخرج حافياً حتى لقي الامام الكاظم . فتاب على يده واعتذر وبكى لديه استحياءً من عمله ، فلقب الحافي[٣٢] .

الجائك : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه إبراهيم بن خليل بن عمر بن محمد الزّبيري . لقب بذلك لصنعته في الحياكة[٣٣] .

حبّ الله من المحبة : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه عبدالوهاب بن أحمد بن محمد المحلي الحصري ، عرف بذلك لانه كان يردد هذه العبارة باستمرار[٣٤] .

الحَرْفُوش : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه أبو علي عبدالله بن سعدالله بن عبدالكافي المصري ، لقب بذلك لأن ثيابه كثياب الحرافيش ، وكلامه ككلامهم[٣٥] .

الحرمازي : شاعر من القرن الثالث الهجري . اسمه أبو علي الحسن بن علي ، لقب بذلك لأنه كان ينزل في بني حرماز ، وهو مولى لبني هاشم[٣٦] .

الحَطيم : شاعر جاهلي . اسمه نعمان بن مالك ، لقب بذلك لقوله :

سل (الحطيم) اليوم عن غمامه   خالمها(*) ، فرضيت خلامه

الحَصْكَفِي : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه معين الدين يحيى بن سلام بن الحسين بن محمد ، لقب بذلك نسبة الى حصن كيفا بديار بكر . ولد فيه وترعرع[٣٨] .

---

(٣٢) الكنى والألقاب ١٦٩/٢ .
(٣٣) عقود الجمان ١/ الورقة ٢٦٧ .
(٣٤) الضوء اللامع ٩٨/٥ .
(٣٥) الضوء اللامع ٢٠/٥ .
(٣٦) نور القبس المختصر من المقتبس ٢٠٨ ، (*) خالمها : صادقها .
(٣٧) المذاكرة في القاب الشعراء ٣٠ (٣٨) الكنى والألقاب ١٨١/٢ .

الحَصْكَفِي : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه شمس الدين محمد بن علي بن منصور المقدسي . ولد وتعلم بحصن كيفا من ديار بكر ، فلقب به[39] .

حَفَدة : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه أبو منصور محمد ابن أسعد بن محمد العطار النَّيْسابوري .

قال ابن خلكان : لا أعلم لِمَ سُمّي بهذا الاسم مع كثرة كشفي عنه . وفي اللغة : تعني الأولاد وضياع الوشي[40] .

الحُمامي : شاعر عباسي . اسمه أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم بن صالح . لقب بذالك لأنه مرّ به إنسان يبيع الحماحم، وهو لون من صبغ الشعر، فصاح به : ياحمامي : فلزمته ، ولقب بها[41] .

الحَوْفَزان : شاعر جاهلي . اسمه الحارث بن شريك بن عمرو الشيباني . لقب بذالك لأن قيس بن عاصم أدركه في بعض حروبه وحفزه بطعنة في وَرِكِه ، عرج منها[42] . وقيل : ان شاعراً قال فيه :

ونحن حفزنا الحَوْفَزانَ بطعنة ... سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

فجرى عليه هذا اللقب[43] .

خادم السُّنة : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه أبو الفضل محمد ابن محمد بن أبي بكر القُدْسيّ القاهري . لقب بذالك لأنه كان معنياً بالحديث النبوي ، وسَماعه والإفادة على شيوخه ، وكتابة أجزائه[44] .

---

(39) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢/٥٢٥ والضوء اللامع ٨/٢٢٠ .
(40) وفيات الاعيان ٣/٣٧٣ ، والنجوم الزاهرة ٦/٧٧ .
(41) معجم الشعراء ٣٨٣ .
(42) البرصان والعرجان ١١٤ والاشتقاق ٣٥٨ والاقتضاب ١٢٢ .
(43) الاقتضاب ١٢٣ .
(44) الضوء اللامع ٩/٦٢ .

الخازن : شاعر من القرن الرابع الهجري . اسمه أبو محمد عبدالله بن أحمد . كان خازن كتب الصاحب بن عبّاد ، فلقب بذالك[٤٥] .

الخازندار : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو المحاسن أسعد بن أحمد بن موسى بن منصور الإرْبِلي ، لقب بذلك لأنه تولى خزانة السلاح بإرْبل من قِبل الملك المعظم[٤٦] .

الخبّاز : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه اسماعيل بن ابراهيم بن صدقة الموصلي . قيل : إنه كان خبازاً في ابتداء أمره ، فصرف همّه الى الشعر والأدب ، فلازمه اللقب[٤٧] .

ابن خَبطة : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه أحمد بن محمد بن عبدالله القليوبي . لقب بذالك لأن بعض أجداده مرض فاختبط وصحّ ، فانتقل اللقب الى الأبناء[٤٨] .

ابن خطيب الرّيّ : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه ابو الفضل محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي . لقب بذالك لأن جده الحسين خطيب الرّيّ ، مع أنه مولود بمكة[٤٩] .

ابن الخطيب الثاني : شاعر اندلسي من القرن التاسع الهجري . اسمه أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغَرناطيّ ، شُبّه بابن الخطيب ، لأنه كان من بلغاء الكتّاب والشعراء ، وتولّى القضاء أيضاً[٥٠] .

---

(٤٥) يتيمة الدهر ٣/٣٢٥ ، ومعاهد التنصيص ٢/٢٠٦ .
(٤٦) عقود الجمان ١/ ق ٢٥٠ .
(٤٧) م . ن ١/ ق ٢٨١ .
(٤٨) الضوء اللامع ٢/١٣٤ .
(٤٩) عقود الجمان ٦/ ق ٥٤ .
(٥٠) ازهار الرياض ١/١٤٥ ، ونفح الطيب ٣/٤٠٤ .

الخُفافيّ : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه ابو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين السُلَمِيّ • لقب بذالك لأنه من ولد الشاعر خُفَاف بن نُدْبَة الصّحابيّ[٥١] •

الخِلَعِيّ : شاعر من القرن الخامس الهجري • اسمه أبو الحسن علي ابن الحسن بن الحسين القاضي • نُسِبَ الى الخِلَع ، لأنه كان يبيع بمصر الخِلع لأملاك مصر ، فاشتهر به[٥٢] •

الخَلّوف : شاعر تونسي من القرن التاسع الهجري • اسمه أحمد بن محمد بن عبدالرحمن • لقب بذالك لأنه تخلف عند أمه وجَدّتِه بالقاهرة[٥٣] •

الخِلاطي : شاعر من القرن السابع ، اسمه أبو الحسن علي بن احمد بن علي بن عبدالمنعم الحكيم البغدادي ، عرف بالخلاطي ، وليس خلاطياً على الحقيقة ، إلا انه رحل الى خِلاط (قصبة أرمينية الوسطى) وأقام دهراً طويلاً ، فنسب اليها[٥٤] •

ابن دقيق العيد : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه محمد بن علي بن وهب ابن مطيع القُشَيري ، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد ، نسبةً الى جده الذي كان عليه طيلسان شديد البياض في يوم عيد ، فقيل : كأنه دقيق العيد ، فلقب به[٥٥] •

الدّلاصيري : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصَّنْهاجي • كان أحد أبويه من بُوصير ، والآخر من دلاص فركبَ له لقباً منهما ، فقال : الدّلاصيري ، وله أشياء مثل هذا مركبة[٥٦] •

---

(٥١) عقود الجمان ١/ الورقة ١٠٠ . (٥٢) الكنى والالقاب ٢١٩/٢ .
(٥٣) الضوء اللامع ١٢٢/٢ ، و ١٧١/١١ . (٥٤) عقود الجمان ٤/ق ٢٠٢ .
(٥٥) الدرر الكامنة ٩١/٤ ، والطالع السعيد ٣١٧ .
(٥٦) الوافي بالوفيات ١١١/٣ .

الدهّان : شاعر من القرن الثامن . اسمه شمس الدين محمد بن علي بن عمر المازني الدّمشقي . كان يحترف صناعة الدهن ، فلقب بذالك[٥٧] .

ذو الدّولتين : شاعر من القرن الثامن . اسمه أبو العباس إبراهيم بن علي المريني من ملوك المغرب ، حكم المغرب مرتين ، الأولى عشر سنين وثلاثة أشهر ، وفي الثانية ست سنين وأربعة أشهر ، فلقب بذالك[٥٨] .

ذوالركبة : شاعر عبد ، اسمه السائل المثري . لقب بذي الركبة لقوله :

سخر الغواني إذْ رأين مُوَيْهِناً كالبو أكهب شاحب منهوك
والركبتان مفارق رأساهما والظهر أحدب والمعاش ركيك[٥٩]

ذو الركبة : شاعر عبد ، اسمه السائل المثري . لقب بذي الركبة لقوله : الخطيب السلماني . كان مصاباً بداء الأرق ، فتأول ذالك الكتّاب له بعمر ثان[٦٠] .

ذو القبرين : شاعر أندلسي . اسمه محمد بن عبدالله لسان الدين بن الخطيب السلماني . لقب بذالك لأنه قتل في سجنه خنقاً ، وأخرجوا شلوه من الغد فدفن ، ثم أصبح من الغد على شفير قبره طريحاً ، وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نار فاحترق شعره واسودّ بشره ، فأعيد الى حفرته ، فلقب بذي القبرين[٦١] .

ذو الميتتين : شاعر أندلسي . اسمه محمد بن عبدالله لسان الدين بن الخطيب السلماني . لقب بذالك للسبب المذكور نفسه[٦٢] .

---

(٥٧) فوات الوفيات ٢/٢٤٩ والدرر الكامنة ٤/٧٨ .
(٥٨) الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى ٤/١٣٣ والاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ٢/٦ .
(٥٩) المذاكرة في القاب الشعراء ٢٢٣ .
(٦٠) نفح الطيب ٦/٢٤٩ ، مقدمة ديوانه ص٥٤ .
(٦١) شذرات الذهب ٦/٢٤٧ . (٦٢) م . ن ٦/٢٤٧ .

الذّهبي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه نور الدين أبو الحسن علي بن عمر بن عمران القاهري الشافعي • لقب بذالك لأنه ولد بمنية الذيبة من الغربية بمصر بين سخا وسنهور[٦٣] •

الرافعيّ : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو القاسم عبدالكريم ابن محمد القزويني • لقب بذالك نسبة الى الصحابي الجليل رافع بن خديج رضي الله عنه[٦٤] •

الرّبضي : شاعر من الأندلس • اسمه أبو جعفر أحمد بن عبدالرحمن اللخمي • لقب بذالك لأنه كان يسكن الرّبض الشرقي من قرطبة[٦٥] •

الرسام : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أحمد بن علي المصري • لقب بذالك لأنه كان يعاني صناعة الرسم[٦٦] •

الرسّام : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو الفتح محمد بن أحمد الأزهري • لقب بذالك لأنه كان متميزاً في صناعة التجليد والتذهيب والكتابة وعمل المزهرات ، وكان القائم برسم برقع الكعبة المشرّفة[٦٧] •

الرّصاصي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عمرو عثمان بن ابراهيم بن علي بن أحمد بن محمد الاربلي • لقب بذالك لأنه كان يعمل في الرصاص[٦٨] •

الرويفعي : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه جمال الدين محمد ابن مكرم بن علي بن حمد الأنصاري الإفريقي • لقب بذالك لانه من ولد الصحابي الجليل رُويفع بن ثابت الأنصاري[٦٩] •

---

(٦٣) الضوء اللامع ٢٦٩/٥ .
(٦٤) طبقات الشافعية للاسنوي ٥٧١/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٦/٦ .
(٦٥) الوافي بالوفيات ٥١/٧ .
(٦٦) الضوء اللامع ٤٧/٢ . (٦٧) م٠ن ٦/٩ .
(٦٨) عقود الجمان ٤/ق١٤٤ . (٦٩) الوافي بالوفيات ٥٤/٥ .

الزّبْنيّ : شاعر تونسي من القرن الخامس ، اسمه عبد الخالق بن محمد ابن أبي المنهال ، كان أبوه قاضياً بقرية زينة من كورة رصفة من الساحل فلقب بها[٧٠] .

الزّراري : شاعر عباسي ، اسمه عبيدالله بن احمد بن محمد الكاتب ، قال : وإنما نسبت إلى زرارة جدّي من قِبَلِ أمي فاشتهرت به[٧١] .

الزّمزمي : شاعر من القرن العاشر الهجري ، اسمه عبدالعزيز بن محمد ابن عبدالعزيز البيضاوي ، لقب بذالك نسبة الى بئر زمزم ، لأن جده قدم مكة في سنة (٧٠٣هـ) عام قدمها الفيل من العراق في قصة ذكرها المؤرخون ، وكان يلي أمر زمزم[٧٢] .

الزّمزمي : شاعر من القرن التاسع الهجري ، إسمه إبراهيم بن علي الشمباري ، لقب بذالك لأنه كان يلي سقاية زمزم وأمرها[٧٣] .

الزّمكدم : شاعر من القرن الرابع الهجري ، اسمه أبو علي سليمان بن الفتح بن أحمد الأنباري ، لقب بذالك لأنه كان قوياً شديداً[٧٤] .

الزّوّاق : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري ، اسمه عبدالواحد ابن فتوح الكتمي ، لقب بذالك لأنه كان يتكلف تزويق شعره[٧٥] .

الزّيْن : شاعر من القرن التاسع الهجري ، اسمه عبدالرحمن بن محمد ابن اسماعيل القلقشنديّ الأصل ، المقدسيّ ، لُقب بذالك لفضله[٧٦] .

---

(٧٠) انموذج الزمان في شعراء القيروان ١١٥ .
(٧١) الكنى والالقاب ٢/٢٩٦ .
(٧٢) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٣/١٦٧ .
(٧٣) الضوء اللامع ١/٨٦ .
(٧٤) الوافي بالوفيات ١٥/٤١٨ .
(٧٥) ا نموذج الزمان ١٨٤ .
(٧٦) الضوء اللامع ٤/١٢٢ .

السائح : شاعر عباسي تأخر الى بداية القرن السابع الهجري • اسمه أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الـهَروي ، طاف الأرض ذات الطول والعرض، وهو القائل : سلكت القفار وطفت الديار ، وركبت البحار ، ورأيت الآثار ، وسافرت البلاد وعاشرت العباد ، لكل هذا لقب بالسائح(٧٧) •

السائح : شاعر نجديّ من القرن التاسع الهجري • اسمه شهاب الدين أحمد بن ماجد السعدي • لقب بذالك لانه كان من كبار ربابنة العرب في البحار والخُلْجان(٧٨) •

السّامريّ : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه سيف الدين أحمد ابن محمد بن علي ، أصله من سامراء في العراق ، فلقب بالسامرّي(٧٩) •

سُدَيف : شاعر من القرن الثاني الهجري • اسمه اسماعيل بن ميمون • لقب بذالك لسواد لونه ، فشبّه بالسَّدَف ، وهو الظلام(٨٠) •

السعودي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه أبو محمد مصطفى ، وقيل : محمد بن حسن بن سنان الحسيني الجنابي • لقب بذالك نسبة الى أستاذه أبي السعود المفسّر المعروف(٨١) •

السَّلاَمي : شاعر من القرن الرابع الهجري • اسمه أبو الحسن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمد القرشي المخزومي • لقب بذالك نسبة الى دار السلام بغداد(٨٢) •

ابن السوداء : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه قيصر بن عثمان بن يوسف الواسطي ، كانت أمه سوداء ، لايُعْرَف إلا بها(٨٣) •

---

(٧٧) تاريخ اربل ١/١٥١ •
(٧٨) مجلة المجمع العلمي العربي ١/٢٨٠ و٢٣/٢٠٤ •
(٧٩) فوات الوفيات ١/٦٥ •
(٨٠) المذاكرة في القاب الشعراء ٣٨ • (٨١) شذرات الذهب ٨/٤٤٠ •
(٨٢) الوافي بالوفيات ٣/٣١٧ • (٨٣) عقود الجمان ٦/ق١ •

الشاب الظريف : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه شمس الدين محمد بن سليمان بن علي التلمساني• لقب بذالك لأنه كان مترقفاً بشعره[٨٤]

شاعر البطحاء : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه بدر الدين حسين بن محمد بن الحسن بن عيسى الشراحيلي العدناني • كان متقدماً في فنون الأدب والشعر ، فلقب بذالك[٨٥] •

شاعر الدولتين : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه عبدالله بن علي ابن جعفر اليماني • لقب بذالك لأنه كان شاعر الدولة الاشرفية والمؤيدية في اليمن[٨٦] •

شاعر الصحابة : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو الحسين ابن أبي بكر بن الحسين الشروبي النسّاج الموصلي.• لقب بذالك لأنه استغرغ معظم أشعاره في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٨٧] •

الشافعي الصغير : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه عبدالله بن عمر ابن عبدالله ، كان مفتي اليمن وعلاّمته في عصره • فلقب بذالك[٨٨] •

أبو شامة : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي • لقب بذالك لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر[٨٩]

الشُحْرور : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه تاج الدين محمد ابن عبدالمنعم بن نصرالله بن جعفر التنوخي المَعَرّي كان الملك الناصر أطلق

---

(٨٤) فوات الوفيات ٢/٢١١ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٨١ .
(٨٥) الضوء اللامع ٣/١٥٥ .
(٨٦) العقود اللؤلئية في تاريخ الدولة الرسولية ١/.
(٨٧) عقود الجمان ٧/ ورقة ٩٥ .
(٨٨) النور السافر عن اخبار القرن العاشر ٢٧٨ ، وتاريخ الشعراء الحضرميين ١/١٥٧ .
(٨٩) ذيل الروضتين ص٣ .

له صفّة على نهر ثور ، فحسده جماعة من أضداده ، وسعوا في إزالتها من يده، فكتب الى الملك الناصر :

ما قدرُ داري في البناء ؟ فسعيهم ... في هدمها قد زاد في مقدارها
هَبْ أنها (ديوان كسرى) رفعةً ... أوَ ما بجودك كان أصل قرارها
فاكتب بأني لا أعارض كاتباً ... عصب يغض عليَّ في إنكارها
فالنص جاء عن النبي محمد الـ ... هادي : أقروا الطير في أوكارها .

فكان الشحرور لقباً له ، وهو يشير اليه في البيت الأخير[٩٠] .

شُرَيْح : شاعر عراقي من القرن السابع الهجري . اسمه عبدالرحمن ابن الحسين بن عبدالله ، أبو منصور النعماني . كان قاضي النيل والنعمانية ، فلقب بذالك تشبيهاً بالقاضي شريح[٩١] .

الشهاب : شاعر من القرن الثامن الهجري .اسمه شهاب الدين أبوالثناء محمود بن سلمان الحنبلي الحلبي .لقب بذالك اختصاراً لشهاب الدين الذي تلقب به[٩٢] .

الشهيد : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه محمد بن مكي العاملي الدمشقي ، قُتل في دمشق بفتوى ، فلقبه أبناء طائفته بالشهيد[٩٣] .

شيخ الرَّبْوَة : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي . لقب بذالك لأنه ولي مشيخة الرَّبْوة من ضواحي دمشق[٩٤] .

---

(٩٠) عيون التواريخ ٤١٤/٢٠ .
(٩١) عقود الجمان ٢٦٧/٣ .
(٩٢) فوات الوفيات ٢٨٢/٢ .
(٩٣) الكنى والالقاب ٣٧٨/٢ .
(٩٤) الوافي بالوفيات ١٦٣/٣ ، والدرر الكامنة ٤٥٨/٣ .

شيطان الشام : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو العزّ يوسف ابن النفيس الأربلي لقب بذالك لأنه كان يسلك في شعره مسلك ابن الحجاج في السّخف والهزل[٩٥] .

الشيناني : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه عبدالرحمن بن محمد ابن عبدالسميع الهاشمي الواسطي . لقب بذالك لأنه اجتمعت فيه سبعة شينات لم تجتمع في أحد سواه من ذوي الشرف . كان شيخاً في العلم والأدب ، شافعي المذهب . يلقب شرف الدين ، شريفاً ، شاعراً ، شروطياً شاهدا ، وقد نُظمت هذه الألفاظ ببيت شعر ، وهو :

شرفالدين شيخنا شافعيّ   شاعر شاهد شريف شُروُطي[٩٦]

صاحب الخال : شاعر من القرن الثالث الهجري . اسمه ناصرالدين الحسين بن زكرويه القِرْمِطِيّ كان ينتمي الى الطالبيين ، خرج على العباسيين، وأظهر خالاً في وجهه ، وزعم أنه آيته ، فلقب بذالك[٩٧] .

صاحب الشامة : شاعر عباسي . اسمه ناصر الدين الحسين بن زكرويه القِرْمِطي . كان ينتمي الى الطالبيين . خرج على بني العباس ، وأظهر شامة في وجهه ،وزعم أنها آيته[٩٨] .

الصفّار : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه أبو الفرج عبدالرحمن ابن علي بن محمد الجوزي. لُقب بذالك لأن أهله كانوا تجاراً في النحاس[٩٩].

الصّلاحي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو اسحاق إبراهيم ابن قصريا بن عبدالله الموصلي . لقب بذالك لأن أباه كان مولى صلاح الدين الأيوبي[١٠٠].

---

(٩٥) عقود الجمان ١٠/ق٢٦٤ ، والكنى والالقاب ٢/٣٧٥ .
(٩٦) م . ن ٣/٢٢٢ .   (٩٧) مرآة الجنان ٢/٢١٧ .
(٩٨) مرآة الجنان ٢/٢١٧ ، وتاريخ ابي الفداء ٥/٦١ .
(٩٩) ذيل الروضتين ٢١ .   (١٠٠) عقود الجمان ١/ ورقة ٤٢ .

الصيّاد : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه لؤلؤ بن عبدالله الرومي• كانت حرفته صيد السمك ، فلقب بذالك[١٠١] .

الطّليق : شاعر أندلسي من القرن السادس الهجري • اسمه الأصم القرطبي المرواني القرشي • لقب بذالك بسبب جده الذي أطلقه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقيل : إن جده كان طليق أبي عامر المنصور ؛ وان سبب الافراج كان نعامة ، فلذالك يعرف بطليق النعامة[١٠٢] .

الطنتدائي : شاعر مصري من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن زين بن محمد النحراوي ، أصله من طنطا ، وتسمّى « طنتداء » أيضاً ، ومنه جاء لقبه[١٠٣] .

الطُّهْوي : شاعر أموي • اسمه جندل بن المثنى التميمي •لقب بذالك نسبة الى جدته طُهَيّة[١٠٤] .

الطّولوني : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو بكر بن محمد ابن عبدالله التقي الحلبي • لقب بذالك لسكناه المدينة الطولونية في بيت المقدس[١٠٥] .

العالية : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي ، ترقى في لعبة الشطرنج حتى لقب العالية[١٠٦] .

العُتْبي : شاعر من القرن الثالث الهجري • اسمه أبو عبدالرحمن محمد ابن عبيدالله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، لقب بالعتبي نسبة الى جده عتبة[١٠٧] .

---

(١٠١) م • ن ١٠٥/٦ .
(١٠٢) تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ١٥٣ ، المعجب ص٢١٦ .
(١٠٣) الضوء اللامع ٢٤٦/٧ .
(١٠٤) سمط اللالىء ٦٤٤ .
(١٠٥) الضوء اللامع ٨٠/١١ .
(١٠٦) م • ن ١٥١/٦ .
(١٠٧) نور القبس ١٨٦ .

العثّ : شاعر جاهلي ، اسمه زيد بن معروف ، لقب بذالك لأنه كان أكولاً ، والعثّ يأكل الصوف والخشب وغيره[١٠٨] .

عدل الأصرّة : شاعر جاهلي ، اسمه امرؤ القيس بن الحمام ، لقب بذالك لان أمه ولدته في الإبل ، فلما راحت جعلت عدل الأصرّة على بعير من إبلها[١٠٩]

العراقي : شاعر من القرن التاسع الهجري ، اسمه أبو الفضل عبد الرحيم ابن الحسين بن عبدالرحمن الكودي الرازاني ، لقب بذالك انتساباً الى العراق ، وهو كردي الأصل[١١٠] .

العَروضي : شاعر من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو يعقوب إسحاق ابن مروان بن أبي السعادات الموصلي ، لقب بذالك لأنه كان بارعاً في العروض ، علّمه وألّف فيه ، وله شعر عجيب القوافي ، أتى فيه بالمعجز البديع[١١١] .

العزَفي : شاعر أندلسي من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو عمرو يحيى ابن عبدالله بن محمد اللخمي ، لقب بذالك نسبة الى بني أبي عزفة[١١٢] .

عزّوز : شاعر مغربي من القرن السابع الهجري ، اسمه عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، وقيل : عبدالواحد المازوزي . كان متهوراً . فصُغّر اسمه ، ولقب بذالك[١١٣] .

العطّار : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري ، اسمه عبدالله بن محمد الأزدي ، لقب بذالك لحسن شعره وديباجته ورونقه[١١٤] .

---

(١٠٨) المذاكرة في القاب الشعراء ٣٩ .
(١٠٩) م . ن ٤٨ . والأصرة : خيوط تشد على اخلاف الابل اذا قلت البانها لئلا ترضعها فصلانها .
(١١٠) الضوء اللامع ٤/١٧١ .
(١١١) عقود الجمان ١/ الورقة ٢٤١ .
(١١٢) الدرر الكامنة ٤/٤٢٠ ، وازهار الرياض ٢/٣٧٧ .
(١١٣) الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ٤/٤٩ .
(١١٤) انموذج الزمان ١٦١ .

العفيف التلمساني : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه سليمان بن علي بن عبدالله الكومي التلمساني ، كنيته عفيف الدين ، ولقب العفيف اختصاراً(١١٥) •

العَلَم : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن سليمان الحَمَوي • لقب بذالك لأنه كان شيخاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً فاضلاً أديباً شاعراً حسن العشرة فهو علم في كل ذالك(١١٦) •

العَلَمي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أحمد بن عثمان بن العفيف العلوي • لقب بذالك لأنه كان يكنى علَم الدِّين(١١٧) •

العِمْراني : شاعر يماني من القرن التاسع الهجري • اسمه بهاءالدين محمد بن أسعد بن محمد بن موسى • لقب بذالك نسبة الى جد له اسمه عمران(١١٨) •

عَنْتَرة : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري • اسمه حسين التميمي التونسي • لقب بذالك تشبيهاً بالشاعر عنترة بن شدّاد ، لِسواد لونه(١١٩) •

العَوْفي : شاعر مصري من القرن العاشر الهجري • اسمه أبو الفتح محمد بن محمد بن علي • لقب بذالك لأنه من سلالة عبدالرحمن بن النعمان ابن عوف(١٢٠) •

العُيُوني : شاعر من القرن السابع الهجري • اسه أبو عبدالله علي بن مقرب • لقب بالعيوني نسبة الى موضع بالبحرين يقال له العيون(١٢١) •

---

(١١٥) فوات الوفيات ١٧٨/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٩/٨ •

(١١٦) الوافي بالوفيات ١٣٦/٣ • (١١٧) الضوء اللامع ٤/٢ •

(١١٨) العقود اللؤلئية ٢٩١/١ •

(١١٩) انموذج الزمان ٢٥٢ •

(١٢٠) الكواكب السائرة ١٤/١ ، وشذرات الذهب ٣٠/٨ •

(١٢١) عقود الجمان ٥/ الورقة ١٢٧ •

غبار الحلبة : شاعر تونسي من القرن الخامس ، اسمه عمر بن يعمر الفارسي ، جاء لقبه من نوع من الخط كان يكثر ذكره في شعره[١٢٢] .

الغريب : شاعر جاهلي ، اسمه نعيم بن سليم ، لقب بقوله :

اسمي نعيم وأنا الغريب إسما كريم بهما أُحَبَّبُ[١٢٣] .

الفاتك : شاعر عباسي ، اسمه عبدالله بن الحسن ، لقب بذلك لفتكه في الحروب[١٢٤] .

الفار : شاعر من القرن الثامن الهجري ، اسمه أحمد بن محمد بن أحمد الشهاب الشطرنجي ، كان غالياً في الشطرنج ، فلقب بذلك[١٢٥] .

فارس الحصّاء : شاعر من القرن الأول الهجري ، اسمه حزن بن مرداس السلمي ، لقب باسم فرسه[١٢٦] .

فارس خِذام : شاعر إسلامي ، اسمه حاتم بن حياش من بني الأعور بن قشير ، لقب باسم فرسه[١٢٧] .

فارس دعلَج : شاعر جاهلي ، اسمه عبد عمرو بن شريح بن الأحوص ، لقب باسم فرسه[١٢٨] .

فارس سَكاب : شاعر جاهلي ، اسمه عبيدة بن ربيعة بن قحفان التميمي ، لقب باسم فرسه[١٢٩] .

فارس صِدام : شاعر جاهلي ، اسمه زفر بن الحارث من بني نُفيل بن عمرو بن كِلاب ، لقب باسم فرسه[١٣٠] .

---

(١٢٢) أنموذج الزمان ٢٤٧ .

(١٢٣) المذاكرة في ألقاب الشعراء ٣٠ .

(١٢٤) م ، ن ٤٢ .

(١٢٥) الوافي بالوفيات ٣٥٩/٧ .

(١٢٦) أسماء خيل العرب وفرسانها ٦١ .

(١٢٧) م ، ن ٦٦ . (١٢٨) م ، ن ٦٥ .

(١٢٩) م ، ن ٤٨ . (١٣٠) م ، ن ٦٩ .

فارس عُمير : شاعر جاهلي ، اسمه حنظلة بن سيّار العِجْلي ، لقب باسم فرسه[١٣١] .

فارس قُديد : شاعر جاهلي ، اسمه عيسى بن حُدار من بني وائل بن صعصعة ، لقب باسم فرسه[١٣٢] .

فارس منهب : شاعر جاهلي ، اسمه عوية بن سُلمي الضبي ، لقب باسم فرسه[١٣٣] .

فارس الميّاح : شاعر جاهلي ، اسمه عتبة بن سالم الهزاني ، لقب باسم فرسه[١٣٤] .

فارس نَحلة : شاعر جاهلي ، اسمه سبيع بن الخطيم التيمي ، لقب باسم فرسه[١٣٥] .

الفارقي : شاعر من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو عبدالله محمد بن قريش بن مسلم الأسدي ، ولد بماردين . ونشأ بِمَيّافارقين ، فلقب بذالك[١٣٦] .

الفَخاري : شاعر من القرن التاسع الهجري ، اسمه محمد بن علي بن عبدالرحمن الدَّمنْهوري ، لقب بذالك نسبة الى بيع الفخار[١٣٧] .

الفرْكاج : شاعر من القرن السابع الهجري ، اسمه تاج‌الدين أبو محمد عبدالرحمن بن ابراهيم بن سباع المصري ، لقب بذالك لاعوجاج في رجليه[١٣٨] .

---

(١٣١) أسماء خيل العرب وفرسانها ٨٦ .
(١٣٢) م ، ن ٦٨ .
(١٣٣) م ، ن ٤٦ .
(١٣٤) م ، ن ٧١ .
(١٣٥) م ، ن ٤٥ .
(١٣٦) عقود الجمان ٦/ق ١٤٩ .
(١٣٧) الضوء اللامع ١٨٧/٨ .
(١٣٨) طبقات الشافعية للأسنوي ٢٨٧/٢ .

فقيد ثقيف : شاعر جاهلي • اسمه عمرو بن عبدالله ، عشق امرأة أخيه سفيان ، وكتم أمره ، ولم يعرف الأطباء داءه ، فقال الحارث بن كلدة الثقفي : هو شاعر عاشق ، فدعا بشراب فصبّه في فيه حتى سكر ، فأنشأ يقول :

أهيج وأهيج ، و حزناً ما أكونه
ألما بي على الأبيات بالخيف ازرهنه
غزالاً ما رأيت اليوم في دور بني وكنّه
غزالاً أحور العين وفي منطقه غنّه

فقال الحارث : قد عرّض ولم يُبِنْ ، فزاده في الشراب ، وعرض عليه نساء العرب ، فلما مرّت به امرأة أخيه أنشأ يقول :

أهل ودي ، ألا اسلَمُوا وقِفُوا كي تكلّموا
أخذ الحيّ حظّهم من فؤادي ، وأنعموا
فهمُ في كثيرة وفؤادي متيّم
وأخو الحب جسمه أبَدَ الدهر مسْقم
طلعت مزنة من البحر رَيّا تحمحم
هي ما كنّتي ، وأز عمُ أنّي لها حَمْ

فلما أفاق من سكره ، عرف ما قاله ، فاستحيًا من أخيه ، فذهب على وجهه ، فلا يُدرى أين توجّه ، فلقب فقيد ثَقيف(١٣٩) •

الفقيه : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه تغري برمش سيف الدين الجلالي الناصري المؤيدي • لقب بذلك لأنه كان من فقهاء الحنفية في عصره(١٤٠) •

---

(١٣٩) عيون الأخبار ١٣١/٤ ، والمذاكرة في القاب الشعراء ٤٣ •
(١٤٠) الضوء اللامع ٣٣/٣ •

الفُقّاعي : شاعر من القرن العاشر الهجري ، اسمه علي بن محمد بن مليك الحَمَوِي الدمشقي ، لقب بذالك لانه كان يبيع الفقاع قرب (باب الفراديس) ، ثم تركه وانصرف للعلم ونظم الشعر(١٤١) .

الفُنْدقي : شاعر من القرن السابع الهجري ، أسمه أبو العباس أحمد بن عبدالدائم بن نعمه المقدسي ، لقب بذالك لأنه ولد بفندق ألشيوخ من جبل نابلس(١٤٢) .

القادري : شاعر من القرن التاسع الهجري ، اسمه أبو الفضل محمد بن أبي بكر بن عمر الأنصاري السعدي ، عرف بذالك لأنه كان متصوّفاً على الطريقة القادرية(١٤٣) .

قاضي الركب : شاعر من القرن التاسع الهجري، اسمه أبو عبدالله محمد ابن عبدالله بن يحيى بن عثمان المغربي ، لقب بذالك لأنه كان قاضي ركْب حجّاج المغاربة سنين(١٤٤) .

قاضي الشطرنج : شاعر من القرن التاسع الهجري ، اسمه محمد بن أحمد بن كمال الشمس الدّجوي القاهري ، كان كثير التردد على لعب الشطرنج ، فائقاً فيه : ولذالك لقب بقاضي الشطرنج(١٤٥) .

القَصْري : شاعر أندلسي من القرن السابع الهجري ، اسمه نجم الدين الفتح بن موسى بن حماد الأموي ، ولد بالجزيرة الخضراء بالأندلس ، ونقله والده الى قصر ابن عبدالكريم وعمره خمس سنوات ، فنسب إليه(١٤٦) .

---

(١٤١) الكواكب السائرة ٢٦١/١ .
(١٤٢) الوافي بالوفيات ٣٤/٧ .
(١٤٣) الضوء اللامع ١٨٨/٧ .
(١٤٤) م . ن ١٦٦/٨٠ .
(١٤٥) م ن ٣٨/٧ .
(١٤٦) عيون التواريخ ٢٣٨/٢٠ .

القُصيري : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه محمد بن عمار الحديثي ، لقب بذالك لأنه من موضع يُعرف بـ (القصَيْر) من نواحي (الحديثة) في (العراق)[١٤٧].

القُطْرُسي : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه أبو العباس أحمد ابن عبدالغني بن أحمد اللخمي . لقب بذالك نسبة الى جدته قطرس ، وقيل : لأنه كفله شخص من مصر ، يقال له القطرس ، وربّاه فلا يُعرف إلا به[١٤٨] .

قلمُ الله في أرضه : شاعر من القرن الخامس الهجري . وهو الخطاط أبو الحسن علي بن هلال البغدادي . لقب بذالك لأنه كان معجزةً في حسن الخط[١٤٩] .

القَلَم : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري . اسمه عمر بن معمر الفارسي ، له خط حسن ، وولوع بذكر القلم حتى لقب بذالك[١٥٠] .

ابن القُنَيْصي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبدالله محمد ابن أبي الوفاء بن أحمد بن طاهر العدوي الموصلي . لقب بذالك لأن أصله من قرية من أعمال الموصل تدعى (القُنَيصيّة) شرقي الموصل[١٥١] .

كاتب كرامة : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري . اسمه أبو طاهر إسماعيل بن علي ، كتب لكرامة بن عدّة العزيز بالله ، فلقب بذالك[١٥٢] .

الكُثَيريّ : شاعر عباسي . اسمه إبراهيم بن إسماعيل بن عبدالرحمن القرشي المدني . لقب بذالك لأنه من ولد كُثَير بن الصلب السهمي[١٥٣] .

---

(١٤٧) عقود الجمان ٦/ ق ١٣٩ .
(١٤٨) عقود الجمان ١/ ق ٧٦ ، والوافي بالوفيات ٧٢/٧ .
(١٤٩) معجم الادباء ٤٤٥/٥ ، ووفيات الأعيان ٣٧٦/١ وتلخيص مجمع الآداب ٧٣٤/٤/٤ .
(١٥٠) أنموذج الزمان ٢٤٧ .
(١٥١) عقود الجمان ٦/ ق ٢٣٤ .
(١٥٢) أنموذج الزمان ٧٧ .
(١٥٣) الوافي بالوفيات ٣٢٦/٥ .

الكحّال :شاعر موصلي من القرن الثامن الهجري • اسمه شمس الدين محمد بن دانيال الخزاعي • كان له دكان كحل في داخل (باب الفتوح) بالقاهرة ، فلقب بذالك[١٥٤] .

الكَفْعَمِي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن الحارثي العاملي • لقب بذالك نسبة الى قرية (كفرعيما) بجبل عامل[١٥٥] .

كلب العجم : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو الفضل عبدالرحمن بن حسن بن حمزة الحلبي • لقب بذالك في القاهرة لأنه كانت له معرفة بالتركية والعجمية ونظم بهما مع العربية ، ولأنه تقرّب من الدويدار الكبير تقرباً زائداً وكتب له[١٥٦] .

الكيّا : شاعر من القرن السادس الهجري • اسمه أبو الحسن علي بن محمد بن علي الهرّاسي • وفي اللغة العجمية هو الكبير القدر ، المقدّم في الناس . وكان كذالك ، فلقب به[١٥٧] .

اللبّان : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو الثناء محمود بن أبي منصور بن أبي طاهر بن الحسن بن أسد الموصلي • لقب بذالك لأنه كان له دكان بالموصل يبيع بها اللبن وما يُعمل منه ، ومعه ، فاشتهر بهذا اللقب[١٥٨]

ماميّا : شاعر شامي من القرن العاشر الهجري • اسمه محمد بن أحمد بن عبدالله • لقب بذالك بلغة الروم ، لأنه كان رومي الأصل[١٥٩] .

---

(١٥٤) فوات الوفيات ١٩٠/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢١٥/٩ .
(١٥٥) روضات الجنات ٧/١ ، واعيان الشيعة ٣٣٦/٥ .
(١٥٦) الضوء اللامع ٧٢/٤ .
(١٥٧) وفيات الاعيان ٢٨٦/٣ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٤٧ .
(١٥٨) تاريخ اربل ١٢٦/١ .
(١٥٩) الكواكب السائرة ٨٣/٣ ، وشذرات الذهب ٤١٣/٨ .

المَتْبولي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو الفتح أحمد بن موسى بن أحمد بن عبدالرحمن القاهري الحسيني• عرف بذالك نسبة الى شيخه البرهان المتبولي الذي صحبه ، فعُرِف به(١٦٠) •

المترجم : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن داوود البغدادي .• لقب بذالك لبراعته في حل المترجم(١٦١) •

المتيّم : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه عبدالله بن خضر بن عبدالرحمن الحريري .• لقب بذالك لأنه أكثر من الحب والغزل(١٦٢) •

المجلّد : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن سليمان بن كمشتكين الموصلي • كانت صنعته في ابتداء أمره تجليد الكتب والدفاتر ، ثم تركها وصار يكتب القصص ، ويقول الشعر ، فلقب بذالك(١٦٣)

المجنون : هو أبو عطاء سعيد ، أو سعدون البصري • كان من عقلاء المجانين وحكمائهم ، صام ستين سنة فخفّ دماغه ، فسمّاه الناس مجنوناً ، عاش في القرن الثالث الهجري(١٦٤) •

المحيوي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه علم الدين أيدمر بن عبدالله • كان من الموالي ، أعتقه بمصر محيي الدين محمد بن ندى ؛ فنسب إليه(١٦٥) •

المخلوع النصري : شاعر أندلسي من القرن الثامن الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن محمد الفقيه بن نصر من بني الأحمر • كان ثالث ملوك الدولة النصرية ، فاتفق أخوه مع أنصاره فقتلوا الوزير ، ودخل عليه بعض الفقهاء وهو مقعد في قصره • فأشهدهم بخلع نفسه ، فلقب بذالك(١٦٦) •

---

(١٦٠) الضوء اللامع ٢/٢٢٨ .

(١٦١) الوافي بالوفيات ٧/١٤٠ . (١٦٢) م • ن ٧/٣١ .

(١٦٣) عقود الجمان ٧/ ق ٣٠ . (١٦٤) الوافي بالوفيات ١٥/١٩١ .

(١٦٥) فوات الوفيات ١/٧٦ ، مقدمة ديوانه المطبوع .

(١٦٦) الدرر الكامنة ٤/٢٣٤ ، واللمحة البدرية ٤٧ .

المذّلق : شاعر جاهلي • اسمه أوس بن عبّاد بن عبد ودّ لقب بذالك لأن سنانه كان لايطعن به شيئاً الا أنفذه(١٦٧) •

المراوحي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه محمد بن سليمان بن فرج بن المنير الكندي • كان يضيق رزقه فيعمل المراوح بيده ، ويأكل من ثمنها ، فلقب بالمراوحي(١٦٨) •

مريزيق الغواني : شاعر اسلامي مُقلّ • اسمه مريزيق بن صالح اللبيني القشيري • لقب بذالك لأنه كان يردّد اسم محبوبته (سُعْدى) في أكثر شعره(١٦٩) •

ابن المُسَجِّف : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه بدرالدين عبدالرحمن بن أبي القاسم الكناني العسقلاني • لقب بذالك لأن أباه كانت صنعته تسجيف الفِراء(١٧٠) •

المَشْبَدَي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو بكر بن علي ابن عبدالله البرمكي الإرْبِلِيّ • لقب بذالك لأنه ولد بالقرب من مشهد الحسين بالقاهرة(١٧١) •

المُعيد : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه محمد بن محمود الخوازمي المكي • لقب بذالك لأنه كان معيداً بدرس يَلْبُغا السالمي الظاهري الحنفي بمكة المكرمة(١٧٢) •

---

(١٦٧) المذكراة في القاب الشعراء ٤٣ .
(١٦٨) الوافي بالوفيات ١٣٨/٣ .
(١٦٩) التعليقات والنوادر / ورقة ٣٧ .
(١٧٠) فوات الوفيات ٢٥٧/١ .
(١٧١) الضوء اللامع ٥٢/١١ .
(١٧٢) الضوء اللامع ٤٥/١٠ .

المُفضَّل : شاعر جاهلي ، اسمه عامر بن معشر بن أسحم بن عَدِيّ بن شيبان ، لقب بقوله في قصيدته المنصفة :

فأبكينا نساءَهُمُ ، وأبكوا   نساءً مايَسُوغ لهن ريق [١٧٣]

الملحن : شاعر من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو عبدالله محمد بن عثمان بن محمد النقجواني ، كان حاذقاً في صنعة الغناء والألحان ، فلقب بذالك [١٧٤] .

الملك المكين : شاعر من القرن الخامس الهجري ، اسمه أبو فاتك جيّاش بن نجاح الحبشي ، لقب بذالك لشجاعته ودهائه ، ملك تهامة اليمن طوال حياته إلى أن توفي [١٧٥] .

المنجّم : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري ، اسمه محمد بن يوسف ، غلب عليه التنجيم كأبيه ، فلقب بذالك [١٧٦] .

المنجّم : شاعر من القرن السادس الهجري ، اسمه أبو الفضل موفق الدين محمد بن محمد بن الحسن ، لقب بذالك لأنه كان رأساً في صناعة النجامة في العراق [١٧٧] .

المنهاي : شاعر مصري من القرن التاسع الهجري ، اسمه عبدالرحمن بن سليمان بن داوود القاهري ، لقب بذالك لأنه ولد بمناوهل من الغربية ، فلقب بذالك [١٧٨] .

---

(١٧٣) المذاكرة في القاب الشعراء ٢٦ .
(١٧٤) عقود الجمان ٧ / الورقة ٤٦ .
(١٧٥) بلوغ المرام في شرح مسك الختام ١٦ .
(١٧٦) أنموذج الزمان ٣٢٧ .
(١٧٧) الوافي بالوفيات ١٢٥/١ .
(١٧٨) الضوء اللامع ٨٠/٤ .

المواهبي : شاعر تونسي من القرن العاشر الهجري • اسمه أبو الطيب ابراهيم بن محمود بن أحمد ، أخذ التصوف عن الشيخ محمد أبي المواهب التونسي ، فنسب اليه(١٧٩) •

الموصلي : شاعر من القرن الثالث الهجري • اسمه أبو محمد اسحق بن ابراهيم المغني • لم يكن من الموصل ، ولكنه سافر الى الموصل في طلب الغناء ؛ فلما رجع بعد سنة قال إخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتى الموصلي ، فلجّت عليه(١٨٠) •

المياهي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه زين الدين عبد الكريم ابن عبداللطيف بن علي القادري • كان يتسبب ببيع المياه المستخرجة ، فلقب بذالك(١٨١) •

المهذّب : شاعر من القرن السادس الهجري • اسمه أبو الفرج عبدالله بن أسعد بن علي بن الدهان الموصلي • كان أديباً فاضلاً ، ونحوياً ، وشاعراً ، وعالماً بفنون كثيرة ، لكن غلب عليه الشعر • ولعلمه الغزير بهذه الفنون الكثيرة لقب بالمهذّب(١٨٢) •

نجم الكتّاب : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو بكر محمد ابن عبدالوهاب القرشي • لقب بذالك لأنه كان من أماثل أهل دمشق في الفضل والكتابة ، يتعاطى مذهب الحريري صاحب المقامات في كتاباته وأقواله(١٨٣) •

النحّال : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه إبراهيم بن خلف بن تاج الدين البلبيسي • كان يشتغل بتربية النحل والتجارة في ما يخرجه الله منها ، فلقب بذالك(١٨٤) •

---

(١٧٩) النور السافر ٤٩ . (١٨٠) نور القبس ٣١٦ .

(١٨١) الكواكب السائرة ١٧٨/٢ .

(١٨٢) طبقات الشافعية للاسنوي ٢/ ٤٤٠ وانظر مقدمة ديوانه بتحقيق د . عبدالله الجبوري .

(١٨٣) عقود الجمان ٧/ الورقة ١٥٨ . (١٨٤) الضوء اللامع ٤٧/١ .

النشّابي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو المجد أسعد بن إبراهيم بن الحسين الإرْبِلِيّ • كانت صنعته في ابتداء عمره عمل النشاب ، فلذالك لايُعرف إلا به(١٨٥) •

النعماني : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه برهان الدين ابراهيم ابن علي بن أحمد بن بركة • عرف بذالك نسبة الى شيخ كان يُعرف بابن نعمان(١٨٦) •

النقّاش : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو علي أحمد بن بوران الدهّان • لقب بالنقّاش لأنه كان من الأذكياء في صناعة التزويق والنقش ، وتصوير الكتب وتذهيبها(١٨٧) •

نُقَيش : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه علي بن اسماعيل بن حسن الحلبي الشافعي • لقب بذالك لطلوع جُدَرِي في وجهه ، بقي أثره فيه(١٨٨) •

النهروالي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد الحنفي • لقب بذالك نسبة الى قرية (النهروالة) في (الهند) لا الى (النهروان) المعروف(١٨٩) •

النواجي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان • لقب بذالك نسبة الى (نواج) من غربية مصر(١٩٠)•

---

(١٨٥) عقود الجمان ١/ الورقة ٢٦١ •
(١٨٦) الضوء اللامع ١/٧٨ •
(١٨٧) عقود الجمان ١/ ورقة ٢١١ •
(١٨٨) الضوء اللامع ٥/١٩٣ •
(١٨٩) البدر الطالع ٢/٥٧ ، والاعلام بأعلام بيت الله الحرام ١٦ •
(١٩٠) الضوء اللامع ٧/٢٢٩ ، والبدر الطالع ٢/١٥٦ .

الهادي : شاعر من القرن العاشر الهجري . اسمه أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد السودي اليماني . لقب بذالك لأنه كان متصوّفاً يهدي إلى طريقته(١٩١) .

الهادي إلى الحق : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه عزالدين بن الحسن بن علي المؤيّد . برع في علوم الدين ودعا الى نفسه بالإمامة ، وتلقب بالهادي الى الحق(١٩٢) .

الهيتمي : شاعر من القرن العاشر الهجري . اسمه شهابالدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري . لقب بذالك نسبة الى (محلة أبي الهيتم) من إقليم الغربية بمصر(١٩٣) .

الوصّابي : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه أحمد بن عبدالرحمن ابن عمر . لقب بذالك نسبة الى وصابٍ كحَذامِ ، وهو جبل محاذٍ لزَبِيد(١٩٤) .

الوفائي : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه أبوَ البقاء أبو بكر بن عبدالله بن محمد البدري المصري . يقال انه لقب باسم أحد مؤلفاته ؛ وهو (شروط الوفاء في أنباء أبْناء الخلفاء)(١٩٥) .

ابن الوكيل : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه ابو عبدالله صدر الدين محمد بن عمر بن مكي . عرُف بذالك لأن أباه كان وكيل بيت المال(١٩٦) .



(١٩١) النور السافر ١٥٥ .   (١٩٢) البدر الطالع ٤١٥/١ .
(١٩٣) النور السافر ٢٥٨ .
(١٩٤) العقود اللؤلؤية ١٣٩٨/٢ ، وهدية العارفين ١١٢/١ .
(١٩٥) الضوء اللامع ٤١/١١ .
(١٩٦) فوات الوفيات ٢٥٣/٢ ، ومطالع البدور ١٦٤/١ .

مصادر البحث

- ازهار الرياض ـ المقري . القاهرة ١٣٦١ .
- الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى ـ السلاوي . الدار البيضاء ١٩٥٤ .
- اسماء خيل العرب وفرسانها ـ ابن الأعرابي . عالم الكتب بيروت 1987 .
- الاشتقاق ـ ابن دريد . القاهرة ١٩٥٨ .
- الاعلام باعلام بلد الله الحرام ـ النهروالي ـ القاهرة ١٣٠٥
- الأعلام بمن حل مراكش والأغمات من الاعلام ـ المراكشي المغرب . فاس ١٩٣٦ .
- اعيان الشيعة ـ العاملي . بيروت ١٩٦٠ .
- الاقتضاب ـ البطليوسي . بيروت ١٩٠١ .
- الانس الجليل بتاريخ القدس والخيل ـ العليمي . النجف ١٩٦٨ .
- انموج الزمان في شعراء القيروان . القيرواني تحقيق المطوي والبكوش . دار الغرب الاسلامي .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ـ الشوكاني . مط السعادة القاهرة .
- البرصان والعرجان ـ الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . بغداد .
- بغية الطلب في تاريخ حلب ـ ابن العديم . دمشق ١٩٨٨ .
- بلوغ المرام في شرح مسك الختام ـ العرشي ـ مصر ١٩٣٩ .
- تاريخ أربل ـ ابن المستوفي تحقيق الصفار . بغداد ١٩٨٠ .
- تاريخ الشعراء الحضرميين ـ السقاف . مصر ١٣٥٣هـ .
- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ـ ابن صاحب الصلاة . بغداد ١٩٧٩ .
- تلخيص مجمع الاداب في معجم الألقاب ـ ابن الفوطي . بتحقيق د . مصطفى جواد . دمشق
- الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة . العسقلاني . تحقيق جادالحق . القاهرة .
- ذيل الروضتين ـ المقدسي . القاهرة ١٣٦٦ .
- روضات الجنات ـ الخوانساري . طبعة حجرية ١٣٤٧ .
- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ـ ابن معصوم . القاهرة ١٣٢٤ .
- سمط اللآلىء ـ البكري . القاهرة ١٩٣٦ .
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ ابن العماد الحنبلي . القاهرة ١٣٥٠ .
- شرح ديوان الخنساء ـ ثعلب تحقيق د . شويلم . عمان ١٩٨٨ .
- شرح الحماسة ـ التبريزي . القاهرة . حجازي .

- الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة . بيروت ١٩٦٤ .
- صبح الأعشى في صناعة الانشا ـ القلقشندي . القاهرة ١٩٦٣ .
- الضوء اللامع لاهل القرن التاسع . السخاوي القاهرة ١٣٥٣ .
- الطالع السعيد الجامع لاسماء الفضلاء والرواة باعلى الصعيد ـ الادفوي مصر ١٩١٤ .
- طبقات الشافعية ـ الاسنوي تحقيق د . عبدالله الجبوري . بغداد .
- عقود الجمان في شعراء الزمان ـ ابن الشعار ـ مخطوطة مصورة عن معهد المخطوطات والجزء الثالث طبع في الموصل ١٩٩٣ .
- عيون التواريخ ـ ابن شاكر الكتبي تحقيق نبيلة عبدالمنعم . بغداد .
- فوات الوفيات ـ ابن شاكر الكتبي . القاهرة ١٩٥٣ .
- الكنى والالقاب ـ القمي . النجف ١٣٦٧ .
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ـ المناوي القاهرة ١٩٩٨ .
- الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة . الغزي . بيروت .
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية . ابن الخطيب . القاهرة ١٣٤٧ .
- المختصر من تاريخ البشر ـ ابو الفداء . القاهرة ١٣٢٥ .
- المذاكرة في القاب الشعراء . النشابي تحقيق العاشور . بغداد ١٩٨٨ .
- المستفاد من تاريخ بغداد ـ ابن النجار . بيروت ١٩٨٦ .
- مطالع البدور في منازل السرور ـ الغزولي . القاهرة ١٣٠٠ .
- معاهد التنصيص ـ العباسي . القاهرة ١٣٦٧ .
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ـ المراكشي . القاهرة ١٩٤٩ .
- معجم ما استعجم . البكري القاهرة ١٣٧١ .
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ـ المرزباني . القاهرة ١٣٤٣ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي . القاهرة ١٣٦١
- نفح الطيب ـ المقري . مصر . مط السعادة .
- النور السافر عن أخبار القرن العاشر ـ العيدروسي بغداد ١٩٣٤ .
- نور القبس المختصر من المقتبس ـ اليغموري . فيسبادن ١٩٦٤ .
- الوفيات ـ السلامي ، تحقيق د . بشار عواد وصالح مهدي . بيروت ١٩٨٢
- وفيات الاعيان ـ ابن خلكان مط النهضة القاهرة .
- يتيمة الدهر في محاسن شعراء العصر ـ الثعالبي . تحقيق محيي الدين عبدالحميد القاهرة ١٩٥٦ .

* * *

كتب عبد الله بن طاهر الى اخيه عبد العزيز يستدعيه اما ترى اليوم

قد رقت حواشيه * وقد دعانا الى اللذات داعيه * وجاء

بالقطر حتى خلت انا لم النار ناه فما نفكر ما فيه فاركب

الينا ولا تمضي فقلقنا * حتى نوفي ما كنا نوفيه السرور الرفا

قد فانتصب مع صروف الدهر والنوب * واجمع بكاس كسر شمل

اللهو والطرب * اما ترى الغيم قد قامت عساكره في الشرق

تنشر اعلاما من الذهب * والجو يختال في حجب ممسكة كانما

القلب * ومنها قلب ذي شجن جرت في حلبة الاهواء

مجتهدا * وكيف اقصر والايام في طلب * وقرح بكاس

تمل الحادثات به * فالكاس تاج يد المولى من الادب

ابن الحجاج جنى السقاة لي وردة احسن من الجانه

وعدى فقال والحمرة في كاسها بكفه ازكى من الندى انى

هنيئا لكم يا عاشقي ومن يكن على خديه * تم كتاب اللطف

واللطايف ونسال الله ان ينجنا من جميع الاهوال والمخاوف بجاه

محمد خير خلق الله من كل ساع وطايف وكم الحقير المذنب الراجي عفو ربه

ومغفرته [illegible] مصطفى البالكسري وقع الفراغ من نسخه ليله

السابع عشر من ذي القعدة سنة اربع وخمسين والف

انموذج الورقة الاخيرة من المخطوطة المعتمدة

لطائف الكتب ومحاسنها

صنفه

أبو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي

المتوفى سنة ٤٢٩هـ

حققه

هلال ناجي

المقدمة

بين يدي المخطوط

لا أحد ممن ترجم للثعالبي قديماً نسبَ لـه كتاباً باسم « لطائف الكتب ومحاسنها » ، كذلك الدارسون المعاصرون لم ينسبوا له كتاباً بهذا العنوان ، وحتى القائمة التي صَدَّرْتُ بها كتاب « الأنيس في غرر التجنيس »(١) واحصيت فيها تصانيف الثعالبي المطبوعة والمخطوطة والمفقودة — وهي أوسع القوائم التي أحصت تآليفه على الاطلاق — ، خلت من ذكر هذا الكتاب .

وحين هَذَّبْتُ هـذه القائمة في مقدمة نشرتنا لكتاب الثعالبي « التوفيق للتلفيق » (٢) ، فانه لم يرد في هذا التهذيب شيءٌ عن مخطوطتنا هذه :

لقد كان الظفر بهذه المخطوطة وليد صدفة ، فحين كنت أعدّ نشرة علمية لكتاب الثعالبي « لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء » ، الذي اضطرب

---

(١) نشر هذا الكتاب بتحقيقنا في الجزء الاول من المجلد ٣٣ من مجلة المجمع العلمي العراقي — كانون الثاني ١٩٨٢ .

(٢) نشر هذا الكتاب بتحقيق هلال ناجي وزهير زاهد — مطبوعات المجمع العلمي العراقي — بغداد ١٩٨٥ — انظر صفحة ص ٣٥ من الكتاب المذكور .

عنوانه واختلف في مخطوطاته المتناثرة عبر دور الكتب في العالم ، بعد أن أجمع المختصون على أنّ نشرة د . قاسم السامرائي لهذا الكتاب بطريقة تصوير مخطوطة لايدن لاتُعَدُّ تحقيقا علميا للكتاب ، مادامت قد أغفلت بقية مخطوطاته (٣) .

كما ان نشرة د. عمر الاسعد للكتاب ذاته بعنوان « لطائف اللطف » هي الاخرى غير علمية لاعتماده مخطوطة واحدة هي مخطوطة جامعة برنستون ، مؤكداً في مقدمته انه لم يعثر على نسخة ثانية لهذه المخطوطة في ما اطلع عليه من مؤلفات الثعالبي المخطوطة والمطبوعة (٤) ! . وهو كلام مخالف للواقع إذ توجد من الكتاب – على حدّ علمي ومصوراتها في خزانتي – ست نسخ اخرى مخطوطة لم يقف عليها د. عمر الاسعد . وهكذا بات ضرورياً نشر هذا الكتاب نشرة علمية تعتمد جميع نسخ الكتاب ومعارضتها ببعضها واثبات اختلافاتها وتنقيتها من التصحيف والتحريف توصلا الى النص الكامل السليم .

في نَشْرَتَي السامرائي والاسعد اورد الثعالبي في مقدمته ثبتا بابواب الكتاب ذاكراً ان عدة ابواب كتابه اثنا عشر بابا هي : الباب الاول : في لطائف الصحابة والتابعين . الباب الثاني : في لطائف الملوك المتقدمين . الباب الثالث : في لطائف ملوك الاسلام وامرائه . الباب الرابع : في لطائف الوزراء والكبراء .

---

(٣) صدرت نشرة السامرائي سنة ١٩٧٨ عن مؤسسة بريل في لندن . وعنوان المخطوطة في الاصل « كتاب لطائف الصحابة والتابعين وفيه أحاسن كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء » . واختار ناشرها عنوانا مقتبساً من مقدمة الكتاب وكان موفقا في ذلك .

(٤) لطائف اللطف ص ١٠ .

الخامس : في لطائف البلغاء والادباء . السادس : في لطائف القضاة والعلماء . السابع : في لطائف الاطباء والفلاسفة . الثامن : في لطائف الجواري والنساء الحسان . التاسع : في لطائف المغنين والمطربين . العاشر : في لطائف الظرفاء من كلّ طبقة وفن . الحادي عشر : في لطائف الشعراء نثرا . الثاني عشر : في لطائف الشعراء نظما .

غير اني وأنا امضي صُعُداً في تحقيق النص بدراسة كافة مخطوطاته فوجئتُ بباب أقحم ضمن أبواب مخطوطة (جستربتي) عنوانه : في لطائف الكتب ومحاسنها . وبه اصبحت عدة ابواب هذه المخطوطة ١٣ بابا. وإقحام هذا الباب يبدو واضحاً إذ لا ذكر له في مقدمة المخطوطة عند تعداد الابواب ، كما يضيف باباً جديداً لا وجود له في كلّ مخطوطات الكتاب المتناثرة في باريس وبرمنغهام ودمشق وليدن وبرنستون والاتحاد السوفييتي . ومخطوطة جستربتي ذاتها قد حددت ابواب الكتاب باثنى عشر بابا ذُكرت في مقدمتها تفصيلا وليس من بينها هذا الباب المقحم . وثبتها مطابق لابواب الكتاب في بقية مخطوطاته .

بات من الثابت عندنا ان هذا الباب قد اقحم على كتاب الثعالبي إقحاماً يدل على ذلك امران : ١ــ ان كافة مخطوطاته ــ عدا مخطوطة جستربتي ــ قد خلت من هذا الباب . ٢ــ ان مقدمة مخطوطة جستربتي ذاتها تخلو من ذكره عند تعدادها ابواب الكتاب .

واذا كان أمر إقحام هذا الباب على الكتاب قد بات مؤكداً لدينا بالدليل المادي العلمي ، فقد ثار أمرٌ له خطورته وهو : كيف نتوصل الى مصنف هذا الباب على وجه القطع واليقين ، لا على وجه التخمين

ان دراسة هذا الباب من الداخل تؤكد امرين اثنين : اولهما : انّ اسلوبه يماثل اسلوب الثعالبي في مصنفاته الاخرى . وثانيهما : انه ليس بين من نقل عنهم المصنف أو وردت اسماؤهم في النص من هو متأخر تاريخا عن الثعالبي .

كان الدليل العقلي يؤكد ان هذا الباب المقحم هو للثعالبي . لكن الامر الضروري هو الظفر بالدليل النقلي الذي يعضد الدليل العقلي . والمراد بالدليل النقلي هو وجود نص من هذا المخطوط نسبه الثعالبي الى نفسه صراحة في كتاب من كتبه . ومن اجل ذلك جلنا جولة واسعة عبر جميع المطبوع من تراث الثعالبي بحثاً عن هذا الدليل . وكان من توفيق الله – جلّ وعلا – لمحقق هذا النص ، أن ظَفَرَ بنصٍ من المخطوط في كتاب « اللطائف والظرائف » الذي جمع فيه الامام ابو نصر احمد بن عبدالرزاق المقدسي بين كتابين للثعالبي هما : اللطائف والظرائف في الاضداد واليواقيت في المواقيت . فعلى الصفحتين (٢٦–٢٧) من الكتاب المذكور ورد النص التالي [وقال مؤلف الكتاب : حدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ كتاباً فيه مآثر غطفان . . . . إلى نهاية أبيات ابن طباطبا العلوي] .

فهذا النص الذي نسبه الثعالبي الى نفسه صراحة في كتابه اللطائف والظرائف موجود في مخطوطتنا حرفيا ، نسبه مؤلف المخطوطة الى نفسه . فالمؤلف واحد في الكتابين . وهكذا تظافر الدليلان العقلي والنقلي على تأكيد نسبة هذه الرسالة الى الثعالبي .

من صنّف في هذا الباب : ربّما كان الجاحظ اسبق المصنفين الى التأليف في هذا الموضوع ، فله رسالة معروفة في « مدح الكتب والحث على جمعها » نشرها صديقنا د . ابراهيم السامرائي (١) .

ولابن طباطبا كتاب في تقريظ الدفاتر (٢) – والدفاتر هي الكتب – وهذا الكتاب مفقود ، لكننا نعتقد ان المقطعات ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ في مجموع شعره (٣) وكلها في مدح الكتب ، هي من بقايا هذا الكتاب .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد الثامن ١٩٦١ – ص ٣٣١ – ٣٣٤ .

(٢) ارشاد الاديب ٦/ ٢٨٥ .

(٣) شعر ابن طباطبا بتحقيق جابر الخاقاني – بغداد ١٩٧٥

وعلى الرغم من اسبقية الجاحظ ، فان رسالة الثعالبي هذه – رغم اقتباسها فقراً مهمة من رسالة الجاحظ – تنماز باضافات كثيرة جديدة خلت منها رسالة الجاحظ . وقد حاولت تخريج نصوصها جهد طاقتي .

لن اترجم للثعالبي – مصنف هذه الرسالة – إذ سبق أن وَفَّيْتَهُ حقّه في مُقَدّمتَيْ كتابيه « الانيس في غرر التجنيس » و « التوفيق للتلفيق » .
لكن من امانة العلم أن أضيف هنا كتباً للثعالبي صدرت بعد الكتابين المذكورين ، فلم اذكرها في قائمتي المحصية لآثاره ولا في ذيلها ، المشار اليهما في صدر هذه المقدمـــة . وبعض هذه المصنفات نشر اول مرة ، وبعضها كان منشوراً نشرة غير علمية ، فحقق ونشر نشرة علمية . وهي :

١– اللطف واللطائف ، نشر بتحقيق د . محمود الجادر في الكويت .

٢– لباب الآداب ، نشر بتحقيق د . قحطان التميمي في بغداد .

٣– اليواقيت في المواقيت ، نشر بتحقيق محمد جاسم الحديثي في بغداد .

٤– آداب الملوك ، نشر بتحقيق جليل ابراهيم في بيروت .

٥– ديوان الثعالبي ، نشر بتحقيق د . محمود الجادر في بغداد .

والمخطوطة ضمن مجموع محفوظ في مكتبة جستر بتي في دبلن بارلندة . تشغل منه الصحائف ٢٨٧–٢٩١ ناسخها مصطفى اليابكسرى (كذا) . وقع الفراغ منها ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة سنة اربع وخمسين والف . وقد اثبت الى جانب النص صورة آخر ورقة في المجموع وفيها اسم الناسخ وتاريخ النســخ .

خاتمة : لأبي منصور الثعالبي في رقاب التراثيين العرب دَيْنان : دين حفظه أدب القرن الرابـــع الهجري وشطراً من الخامس ، شعراً ونثرا ، بما صنّف وألف ، حتى كانت تصانيفه تاريخا ادبياً لهذه الفترة المهمة من تاريخنا .

وَدَيْنُ حُبُّه العميق لامتنا العربية والذي عَبَّــر عنه أصدق تعبيــر بقوله : « انّ من أَحَبَّ الله أَحَبَّ رسوله المصطفي صلى الله عليه وسلم ، ومن أَحَبَّ النبيَّ العربــيَّ أَحَبَّ العرب ، ومن أَحَبَّ العرب أَحَبَّ اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ،ومن أَحَبَّ العربية عُني بهاوثابر عليها وصرف هِمَّتَهُ إليها ، ومن هداهُ الله للاسلام ، وشرح صدره للايمان ، وآتاه حسنَ سريرة فيه ، اعتقد انّ محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل ، والاسلامَ خير الملــل ، والعربَ خير الامم ، والعربية خير اللغات والالسنة ، والاقبال على تفهمها من الديانة . إذْ هي أداء العلم ، ومفتاح التَفَقُّه في الدين وسبب اصلاح المعاش والمعاد ثم هي لاحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة وسائر انواع المناقب ، كالينبوع للماء والزند للنار (١) .. » ،

ولعــلّ مواصلتنا احياء آثاره الدفينة سدادٌ لبعض الدين الذي في رقابنا « ورحم الله أبا منصور الذي صنّف فاتحف ، وكتب فانصف »

والحمدلله على توفيقه انه نعم المولى ونعم النصير

هــلال ناجــي

(١) فقة اللغة ص٢ـ٣

[النـــــص]

[بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم]

في لطائف الكتب ومحاسنها وفوائـــد اقتنائها ومـــا في ذلك من الفرائد والفوائـــد .

إعلم انه لاجار أبرُ ، ولاخليطاً أنصف ، ولارفيقاً أطوع ، ولا أقلَّ جناية ولا أقل إبراما ولا إملالا ، ولا أقلَّ خلافاً واجراماً ، ولا أقلَّ غيبة (١) ، ولا أكثر اعجوبة وتصرفا ، ولا أقلَّ صلفاً ولا تكلفا، ولا ازهد في جدال (٢) ، ولا أكف عن قتال من كتاب (٣) .

ولا اعلم قرضاً أحسن مواتاة ، ولا اعجل مكافأة ، ولا أحضى معونة (٢٨٧) ولا اخف مؤونة . (٤) ولا شجرة اطول عمرا ، ولا اجمع أمرا ، ولاأطيب ثمرة ولا اقرب مُجتنىً ، ولا أسرع إذكارا (٥) ، ولااوجد في كلِّ إبانٍ من كتاب . ولا أعلَمُ نتاجاً في حداثة سنِّه ، وقُرْبِ ميلاده ، ورُخْص ثمنه ، وامكان موجوده (٦) . يجمع من (٧) التدابير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار

(١) النص للجاحظ في رسالته ص ٢٣٧ مـع اختلاف كبير وفيها : « وَعبتَ الكتاب ولا اعلم جاراً أبَرَّ ، ولاخليطاً انصف ، ولارفيقا اطوع ، ولا معلما اخضع . ولاصاحباً اظهر كفاية ، ولا أقلَّ جناية ، ولا أعدم غيبة » .

(٢) عبارة « ولا ازهد في جدال » ساقط من رسالة الجاحظ .

(٣) النص في رسالة الجاحظ : « ولا أكفَّ عن قتال وشغب ومراء من كتاب » .

(٤) النص ساقط من رسالة الجاحظ .

(٥) في رسالة الجاحظ : ادراكا .

(٦) في رسالة الجاحظ : وحضور ذهنه ، وإمكان وجوده .

(٧) عند الجاحظ : سقطت (من) .

العقول الصحيحة ، ومحمود الآداب (٨) اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القويمة ، والتجارب الحكيمة ، (٩) ، ومن الإخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والامم البائدة ما يجمع كتاب (١٠) .

واعلم أن لولا الكتب المدونة ، والاخبار المجلدة ، والحكم المخطوطة ، التي تحصر الحساب وغير الحساب لَبَطُلَ اكثر العلم (١١) وتَغَلَّبَ سلطانُ النسيان على سلطان الذكر . ولولا مارَسَمَتْ لنا الاوائل في كُتُبها ، وخلّدت من جميع حكمتها ، ودَوَّنت من أنواع سِيَرها ،حتى شاهَدْنا بها ما غاب عنّا ، وفتحنا به كل مُستغلَق علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدركنا مالم ندركه الاّ بهم ، لقد خسَّ حَظُّنا (١٢) من الحكمة ، وضعُفت تجربتنا لما تدركه

---

(٨) عند الجاحظ : الاذهان .

(٩) عبارة (ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القويمة والتجارب الحكيمة ساقطة عند الجاحظ .

(١٠) الجاحظ : الكتاب .

(١١) النص في المحاسن والمساوئ ص ١٠ كالآتي : ولولا الكتب ..... التي تجمع الحساب ..... وسقطت منه عبارة (وتغلب سلطان النسيان على سلطان الذكر) .
والنص في المحاسن والاضداد ص ٥ وروايته : ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة ، لبطل اكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر.

(١٢) النص في المحاسن والاضداد ص ٥ وروايته : من عجيب حكمتها . . . وسقطت كلمة (علينا) بعد لفظة (مستغلق) ..... لقد بخس حظنا منه .
والنص ايضا في المحاسن والمساوئ ص ٨-٩ وروايته : من عجيب حكمتها ..... من غاب .... كل منغلق .... في قليلنا ... لقد بخس حظّنا منه .

حواسنا ، وتشاهده نفوسنا لقلة المعرفة ، وقَصُرت الهمة ، وانقضت المنة ، وعاد الرأي عقيما ، و (*)فاسدا وتبلّد العقل (١٣) .

واكثر من كتبهم نفعاً ، وأشرف منها خطراً ، وأحسن موقعا ، كتبُ الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كلّ عبرة ، وتعريف كلّ سيئة وحسَنة .

وما زالت كتب الله — تعالى — في الألواح ، والصحف ، والمهارق والمصاحف (١٤) . وممّا يدلّ على نفع الكتاب أنّ لولا الكتاب لم يجز أنْ يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة ، (٢٨٨ آ) وحدث بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة قبل المساء ، وذلك مشهور في الحمام الهدى إذا جعلت بردا (١٥) .

قال الله تعالى — عز وجلّ — وذكر سليمان ومُلْكَه الذي لم يؤت أحَداً مثلَه ، فقال : (وَتَفَقَّدَ الطَيْرَ فقال : مالي لا أرى الهُدْهُدَ) (١٦) ،

(*) في الموضع كلمة غير مقروءة .

(١٣) النص من كلمة (الحكمة) وحتى كلمة (العقل) ساقط من رسالة الجاحظ ولا وجود له في المحاسن والمساوئ ولا في المحاسن والاضداد .

(١٤) النص في المحاسن والمساوئ ص ٩ وروايته : ... وأشرف منها خطراً ،... عز وجل ... جلّ وعلا ... والمصاحف . (وسقطت كلمة المهارق ..) .

(١٥) النص في المحاسن والمساوئ ص ١٠ وروايته : ... ولولا الكتاب لم يكن يعلم ... بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة .... في الحمام اذا أرْسِلَتْ .

(١٦) الآية ٢٠ سورة النمل — مكية رقم السورة ٢٧ .

الى قوله (أو لأَذبحنَّهُ أو ليأتينّي بسلطانٍ مبين) (١٧) فلم يلبث أن قال الهدهد : (وجئتُكَ من سبأٍ بنبأٍ يقين) (١٨) . (انّي وجدتُ امرأةً تملكُهُمْ وأوتيتْ من كلِّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيمٌ) (١٩) فقال سليمان عليه السلام (اذهَبْ بكتابي هذا فألْقِهِ اليهم) (٢٠) وقد كان عنده من يُبَلِّغ الرسالة على تمامها من عفريت ، ومن بعض من عنده علمٌ من الكُتّاب ، فرأى انّ الكتاب أبهى ، وأنبل ، وأكرم ، وأفخم من الرسالة عن ظهر لسان (٢١) ، وإنْ أحاط بجميع ما في الكتاب ، وقالت ملكة سبأ (يا ايها الملأُ إنّي أُلقي اليّ كتابٌ كريم) (٢٢) فهذا مما يدلّ على قدر اختيار الكتب .

وقد يُريدُ بعضُ الجلّةِ الكبار ، وبعض الادباء والحكماء ، أن يدعو بعضَ من يجري مجراه في سلطان ، أو أدب ، الى مأدبةٍ أو نَدام ، أو خروج الى مُتَنَزَّه ، أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاءأن يُبَلِّغَهُ الرسولُ إرادتَه ومعناه ، لأصابَ من يحسن الأداء ، ويصدق في الابلاغ ، فيرى انّ الكتاب في ذلك أسْرى وأنْبَه .

---

(١٧) الآية رقم ٢١ سورة النمل رقم ٢٧ .

(١٨) الآية رقم ٢٢ سورة النمل رقم ٢٧ .

(١٩) الآية رقم ٢٣ سورة النمل رقم ٢٧ .

(٢٠) الآية رقم ٢٨ سورة النمل رقم ٢٧ .

(٢١) النص في المحاسن والمساوئ ص ٩ وروايته : وفي قول سليمان .... من عفريت وإنسيٍّ وغيرهما ..... فرأى الكتاب أبهى وأحسن واكرم وافخم وانبل من الرسالة . وسقطت في المحاسن والمساوئ عبارة (ومن بعض من عنده علمٌ من الكُتّاب) .

(٢٢) الآية رقم ٢٩ سورة النمل رقم ٢٧ .

ولو شاء النبيُّ ، صلى الله عليه وسلمَ ، أن لا يكتب الكُتُبَ لكسرى وقيصر والنّجاشيّ والمقوقس والى بني الجُلَنْدى والى العباهلة من حمْيَر والى هَوْذة بن علي والى الملوك العظماء ، والسادة النجباء (٢٨٨ ب) لَفَعَل ، ولَوَجَد المُبَلِّغ المعصومَ من الخطأ والتبديل ، ولكنه – عليه الصلاةُ والسلام – علم انّ الكتابَ أشبه بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب (٢٣) .

ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة بالمرسَلين ولم يُودعها الكتبَ [لفعلَ] (٢٤) ولكنه تعالى علم ان ذلك أتمّ ، واكمل ، وأجمع ، وأنبل (٢٥) . وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة الى بعض من يشاكله أو يجري مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يحزمه ويختمه ، وربما لم يَرْضَ بذلك حتى يُعَنْوِنَهُ ويعظمونه . قال الله عز وجلّ (أم لَمْ يُنَبَّأْ بما في صُحُفِ موسى وابراهيم الذي وفىّ) (٢٦) وقال تعالى (ألم . ذلك

(٢٣) النص في المحاسن والمساوئ ص ٩ وروايته : ... أن لايكتب الى قيصر وكسرى ... والى هوذه والملوك ... من الخطأ والزّلل ، والتبدّل ، لكنه عليه السلام ... بتلك الحالة .

(٢٤) لفظة (لَفَعَل) ساقطة في الاصل المخطوط . فاستضفناها من المحاسن والمساوئ .

(٢٥) في المحاسن والمساوئ ص ١٠ وروايته : ولكنه تبارك وتعالى علم انّ ذلك أتمّ وابلغ وأكمل واجمع .

(٢٦) الآية رقم ٣٦ مكية سورة النجم رقم ٥٣

الكتابُ) (٢٧) . وقال تعالى (ما فرّطنا في الكتاب من شيء) (٢٨) وقال تعالى لنبيّه محمد عليه السلام (اقرأ وربُّك الاكرمُ ، الّذي علّم بالقلم) (٢٩) فوصفَ نفسَهُ بأن علّم بالقلم .

الجاحظ ، كان يقول : الكتابُ هو الجليسُ الذي لا يُطريك ، والصديق الذي لايغويك (٣٠) ، والرفيق الذي لايَملّك ، والمستمنح(٣١) الذي لايستزيدك ، والجار الذي لا يستبطئك ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملَق ، ولا يعاملك بالمكر (٣٢) ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يحتال لك بالكذب (٣٣) . وقال : الكتابُ (٣٤) إنْ نظرتَ فيه أطالَ إمتاعك ، وشحذَ طباعك ، وبسطَ لسانكَ ، وجوّد بيانك ، وفخّمَ الفاظك ، وبجح نفسك ، وعمرّ صدرك ، ومنحك تعظيم العوام ، وصداقة الملوك ، وعرفت به في شهر ، ما لم تعرفه (٣٥) من أفواه الرجال في دهر . مع السلامة [من] الغرم (٣٦) ، وكدِّ التعب . (٣٧)

---

(٢٧) الآيتان ١ ، ٢ من سورة البقرة — مدنية رقم السورة ٢ .

(٢٨) الآية رقم ٣٨ سورة الانعام مكية رقم ٦ .

(٢٩) الآيتان ٣ — ٤ سورة العلَق مكية رقم ٩٦ .

(٣٠) في رسالة الجاحظ : يغريك .

(٣١) في رسالة الجاحظ : والمستميح .

(٣٢) في رسالة الجاحظ : بالمكر والخديعة

(٣٣) في رسالة الجاحظ : ولا يخدعك بالنفاق والكذب .

(٣٤) في رسالة الجاحظ : الكتابُ هو الذي إن .

(٣٥) في رسالة الجاحظ : ما لا .

(٣٦) الاصل المخطوط : سلامة الغرم : والتصويب عن رسالة الجاحظ .

(٣٧) في رسالة الجاحظ : الطلب .

المهلب لولده في وصيته : (٣٨) : يابنيّ لاتقف (٣٩) في الاسواق الا على زرّاد (٢٨٩ آ) أو ورّاق (٤٠) .

الحسن اللؤلؤي (٤١) ، قال : عشت (٤٢) أربعين عاماً ما قِلْتُ ، ولا بِتُّ ، ولا اتكأتُ ، الا والكتاب موضوع على صدري (٤٣) .

المأمون : لله درّ الكتاب (٤٤) كيف يَحُوكُ وَشْيَ المملكة .

عبدالله بن المعتز : القلم يخدم الارداة ، ولا يَمَلُّ الاستزادة (٤٥) ، كانه يفتح باب البستان أو يُقَبِّل بساطَ سلطان .

---

(٣٨) في رسالة الجاحظ : قال المهلب لبنيه في وصيته .

(٣٩) في رسالة الجاحظ : لاتقوموا .

(٤٠) في رسالة الجاحظ : ورّاق أو زرّاد .

(٤١) في رسالة الجاحظ : وقال غيره . وهـو في اللطائف والظرائف ص ٢٦ منسوب للحسن اللؤلؤي .

(٤٢) في رسالة الجاحظ : غَبَرْتُ . وفي اللطائف ص ٢٦ : عبرت .

(٤٣) في رسالة الجاحظ : على صدري أو في حجري .

(٤٤) النص في المحاسن والمساوئ ص ١٤ وروايته ... دَرّ القلم .
وفي الاصل المخطوط : يحرك وشي . والصواب : يحوك وَشْيَ .
وورد كلام المأمون في كتاب « رسالة في علم الكتابة لابي حيان التوحيدي ص ٥٤ بالنص التالي » .
« ونظر المأمــون الى مؤامرة بخط حسن فقال : « لله دَرُّ القلم كيف يحوك وَشْيَ المملكة ، ويطرز اطراف الدولة ، ويُقيم اعلامَ الخلافة» .

(٤٥) العبارة دون عزو في المحاسن والمساوئ ص ١٢ . وهي لابن المعتز في حكمة الاشراق ص ٧١ بالصيغة التالية : القلم يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، يسكت قائما ، وينطق سائرا ، في ارض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء .

مؤلف الكتاب ، قال (٤٦) : قرأتُ على شيخ كتاباً فيه مآثر غَطَفان :
فقال : ذهبت المكارم الا من الدفاتر .

أبا نصر سهل بن المرزبان ، كان يقول : انفق الفضة على كتب الآداب ، تنفق (٤٧) عليك ذَهَبَ الألباب :

ابو الحسن بن طباطبا العلوي كان يقول : الكتب حصون العقلاء اليها يلجئون وبساتينهم بها يتنزهون (٤٨) . وقال شعراً :

اجعل جليسكَ دفتراً في نشره
لِلْمَيْتِ من حكم العلوم نشورُ
وكتابُ علم للأديب مؤانس
ومُؤَدِّبٌ ومُبَشِّرٌ ونذيرُ
ومفيدُ آدابٍ ومؤنسُ وحشةٍ
واذا انفردتَ فَصاحبٌ وسميرُ (٤٩)

المأمون: ينبغي لمن كتب كتابا أن لايكتبه الا على ان الناس كلهم له اعداء، وكلهم عالم بالامور ، وكلهم متفرغ ، ثم لايَرْضى بذلك حتى يدع كتابه يُغَبَّ (٥٠) ويُختم ، ولايثق بالرأي الفطير ، فأن لابتداء الكتاب فتنةً وعجبا فأذا سَكَنَتْ الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس

(٤٦) النص منسوب للمؤلف في كتاب « اللطائف والظرائف » ص ٢٦ وروايته : حدثني صديق لي قال قرأت ....

(٤٧) في اللطائف والظرائف ص ٢٦ : انفاق انفاق على كتب الآداب يخلف ....

(٤٨) له في « اللطائف والظرائف » ص ٢٦

(٤٩) الابيات لابن طباطبا العلوي في مجموع شعره صنعة جابر الخاقاني ص ٤٩

(٥٠) يُغَبَّ : يصير الى أواخره .

وافزة ، أعاد النظر فيه ، وتوقف عند فصواله ، توقف من يكون وزن طمعه (•) في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، وتَفَهَّم معنى قول الشاعر :

إنَّ الحديثَ تغرّ القومَ جِلْوَتُه
حتى يكون لهم عيٌّ وإكثارُ (٢٨٩ ب)

العتبي : كتب كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طوله وكثرة ورقه لنسختُه . فقال له ابن الجهم (٥١) : لكنني ما رَغَّبني فيه الا الشيء [الذي] (٥٢) زَهَّدكَ فيه ، وما قرأتُ كتاباً قطّ كبيرا فأخْلاني [من فائدة] (٥٣) وما أُحصي كم قرأتُ من صغار الكتب ، فخرجتُ منها كما دخلتُ .

ابراهيم بن السندي : وددتُ ان الزنادقة لم يكونوا حُرُصاً على المغالاة بالورق النقيّ الابيض ، ولا على تَخَيُّر الحبر الأسود ، ولا على استجادة الخط ، والإرغاب لمن يَخُط ، فانيّ لم أرَ كورق كتبهم وَرَقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطّاً . وانّي غرمت مالاً عظيما مع حُبّي للمال وبغضي للغرم ، لانّ سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليلٌ على تمام العقل ، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس ، وعلى السلامة من سكر الآفات (٥٥) .

(•) في الاصل المخطوط : طعمه ، تحريف فصوبناها .

(٥١) ابن الجهم : هو علي بن الجهم انظر المحاسن والمساوىء ص ١٤ .

(٥٢) زيادة اضفناها ليستقيم بها الكلام .

(٥٣) مابين عضادتين استضفناه من المحاسن والمساوىء ص ١٤ .

(٥٤) النص مع اختلاف في المحاسن والمساوىء ص ١٤ .

(٥٥) النص في رسالة الجاحظ ص ٣٤١ مع اختلاف . ورواية الجاحظ : [وتخير الحبر الاسود والخط الجيد ، فأنني لم أر كورق كتبهم ورقا ، ولا كخطوطهم خطا ..... لان سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليل على شرف النفس وعلى سلامتها من سكر الآفات] . فالنص عندنا أكمل وأصوب .

ديمقراط : ينبغي أن تعرف انه لابُدّ أن يكون لكلّ كتابِ علمٍ وَضَعَهُ أحدٌ من الحكماء ثمانية أوجه : منها الهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصنف والتأليف ، والاسناد والتدبير . فأوّلها أن تكون لصاحبه همّة ، وان يكون فيما وضع له منفعة ، وأن تكون لـه نسبة ينسب اليها ، وأن يكون صحيحا ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا ، وأن يكون مؤتلفا من اجزاء جميلة ، وان يكون مسنداً الى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .

ابن المعتز : كنت عند بعض العلماء ، فكنت اكتب عنده بعضاً وأدَعُ بعضا ، فقال لي : اكتب كلّ ما تَسْمعَ فانّ أخسّ ما تسمع خيرٌ من مكانه ابيض(٥٦) .

الخليل بن أحمد : تَكَثَّروا من العلمِ ليُعرَف ، وتَقَلَّلوا منه ليُحْفَظ .

موسى بن يحيى (٢٩٠ آ) قال : ما كان في خزانة كتب يحيى(٥٧) وفي بيت مدارسه كتابٌ الاّ واه فيه ثلاث نسخ .

ابو عمرو بن العلاء : ما دخلتُ على رجلٍ قطّ ، ولا مررتُ ببابه ، فرأيتُهُ ينظر في دفترٍ ، وجليسُه فارغ اليد ، الاّ اعتقدتُ انّه أعقل منه وأفضل (٥٨) .

الاخفش : قيل له أنت أعلم الناس بالنحو ، فلمَ لا تجعل كتبك كلهـا مفهومة ؟ وما لنا لا نفهم أكثرها ؟ وما لك تقدم بعضَ العَويص وتُؤخّر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله ، وليس هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع المفهوم فلن تدعوهم حلاوة ما فهموا الى التماس فَهْمِ ما لم يفهموا .

---

(٥٦) النص دون عزو في المحاسن والمساوئ ص ١٥ وروايته : وكنت اكتب عنه

(٥٧) هو يحيى ابن المنجم .

(٥٨) النص في رسالة الجاحظ ص ٣٤١ وروايته : ... وجليسه فارغ إلاّ اعتقدت انه افضل منه وأعقل .

الجاحظ : كانت الفلاسفة اليونانية تُوَرِّث البنات العين ، والبنين الدين والكتبَ ، وتقول: لا تورثوا الابنَ من المال الا ما يكون عَوْناً له على طَلَب ، وآخذوه بحلاوة العلم ، واطبعوه على تعظيم الحكمة ، ليصير جمعُ العلمِ اغلبَ عليه من جَمْعِ المال ، وليرى انه العدة والعتاد ، وانه أكرم مستفاد .

عبدالله بن عبدالعزيز : كان لا يجالس الناس ، وينزلُ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يُرى الا وفي يده كتاب يقرؤه ، فسئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة ؟ فقال : لم أرَ أوعظَ من قبر ، ولا امتعَ من كتاب ، ولا انفع من الوحدة . فقيل له : فقد جاء في الوحدة ما جاء . فقال : ما أفسدها للجاهل وأنبلها للعاقل(٥٩) .

الجاحظ : يذهبُ الحكيمُ وتَبْقى كُتُبه ، ويَفْنَى العقلُ وَيَبْقى أثَرُه (٦٠) .

ابو عمرو بن العلاء : قيل له ان في دار فلان أُناساً قد اشتملوا على سوأةٍ ، وهم جلوس على خمرٍ لهم ، وعندهم طنبور قال : فمررنا عليهم في جماعة من الحي (٢٩٠ب) ، فاذا فتى جالسٌ في وسط الدار وإذا اصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللِّحى ، وإذا هو يقرأُ كتابَ شعر . فقلت : والله لا كُشف فتى أصحابُه شيوخٌ ، وفي يده دفترُ علمٍ ، ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا .

عبدالله بن المعتز ، كان يقول: خيرُ ميراثِكَ ما أكْسَبَكَ الأركان الأربعة ، وأحاطَ بأُصول المَنْفَعة ، وحَصَّل لكَ حلاوةَ المَحبَّةِ ، وبقّى لك الأُحدوثة الحَسَنَة ، وأعطاكَ عاجلَ الخير وآجلَه وظاهرَه وباطنَه ، وليس يجمعُ لكَ ذلك كلّه إلاّ كرامُ الكُتُب النَفيسة ، المشتملةُ على ينابيعِ العلم ، والجامعةُ

---

(٥٩) النصّ مع اختصار شديد في المحاسن والاضداد ص٦ والمحاسن والمساوئ ص١٤ وهو مع اختلاف في صفة الصفوة ٢ / ١٨١ .

(٦٠) النص ليس في رسالة الجاحظ .

لكنوزِ الأدبِ ، ومعرفة الصناعات ، وفوائد الارفاق ، وحُجج الدين الذى بصحته ، وعندَ وُضوحُ بِرْهانهِ ، تسكنُ النُّفوس ، وتَنْثلج الصدور ، ويعودُ القلبُ معموراً ، والعزّ راسخاً ، والأمل فسيحا . وهذه الكتب التي تزيد في العقل تَشْحَذُهُ وتُداويه ، وتُصلحه ، وتُهذِّبه ، وتَنْفي الخبث عنه ، وتفيدك العلم ، وتصادق بينك وبين الحجة ، وتعوّدُكَ الأَخْذَ بالثقة ، وتجلب الحال ، وتكسب المال .

ابن داحة : قيل له وأخراج كتابَ أبي الشَمَقْمَق وهو في جلود كوفية ودفتين طابقتين وبخطّ عجيب ، فقيل له : قد ضَيّع دِرْهَمَهُ من يجودُ لِشعرِ أبي الشمقمق . قال : لا جَرَم والله ! إنّ القلمَ ليعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت أنْ اودِعَهُ سُويداءَ قلبي ، واجعلَهُ مخطوطاً على ناظريّ لَفَعَلْتُ (٦١) .

الجاحظ : دخلتُ على اسحاق بن سليمان في إمارته ، فرأيتُ بين يديه كتاباً والرجالُ مُثولاً كأن على رؤسهم الطيرُ ، ورأيتُ فَرْشَتَه وبزّته . ثم دخلتُ عليه (٢٩١ آ) وهو معزولٌ ، فأذا هو في كتبه ، وحواليه الاسفاط ، والرفوف ، والقماطر ، والدفاتر ، والمساطر ، والمحابر ، فما رأيتهُ قطّ أنبل ، ولا أفخم ، ولا أهيب ، ولا أجزل منه في ذلك اليوم ، إلاّ انه جمع مع المهابة المحبة (٥) ، ومع الفخامة الطلاوة ، ومع السؤدد الحكمة (٦٢) .

الشعبي : نعم المُحَدِّثُ الدفترُ .

[تمّ النص]

---

(٦١) النص في المحاسن والمساوئ ص ١٤ .

(٥) في الاصل المخطوط : جمع المهابة والمجبة

(٦٢) النص خلت منه رسالة الجاحظ .

[تراجم اعلام النص]

الجاحظ :

ابو عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ . معتزلي ، شيخ الأدباء في عصره ، ولد سنة ١٦٣ هـ في البصرة ومات فيها سنة ٢٥٥ هـ باسفار ضخمة من الكتب سقطت عليه . ضاع الكثير من آثاره ، ووصلنا منها غير قليل . وقد نهد المرحوم عبد السلام محمد هارون الى نشر مجموعة ضخمة من آثاره محققة مدققة من بينها : الحيوان ، وكتاب البيان والتبين ، ورسائل الجاحظ في أربعة اجزاء ، والبرصان والعرجان والعميان والحولان . كما نشر صديقنا المرحوم طه الحاجري كتاب البخلاء ، ومجموعة من رسائله ونشر صديقنا المرحوم حسن حسني عبد الوهاب كتاب التبصر بالتجارة . ونشر يوشع فنكل ثلاثا من رسائله هي : في الرد على النصارى — في ذم اخلاق الكتاب [كُتاّب الدواوين] — في القيان . ونشر المرحوم حسن السندوبي عدداً من رسائله . وقد استطاع جليل ابراهيم في مقدمة نشرته لكتاب «الحنين الى الاوطان» أن ينفي بالدليل القاطع نسبته الى الجاحظ ويرده الى مؤلفه محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي . وكان المرحوم عبد السلام هارون قد نشره ضمن رسائل الجاحظ كما نشر «رسالة العثمانية» وكذلك كتابه «التاج» وكان المستشرقان «فان فلوتن» و«شارل بلات» قد نشرا في وقت مبكر عدداً من رسائله . واسهم المرحوم داود الجلبي الموصلي في نشر بعض رسائله سنة ١٩٣٠—١٩٣١ في مجلة «لغة العرب» . ومما نسب اليه ولم ينشر حتى الآن نشرة علمية كتاب عنوانه «المحاسن والاضداد» طبع طبعة تجارية وذكر المرحوم خير الدين الزركلي في كتابه الاعلام ٥ / ٢٣٩ مخطوطه له عنوانها «تنبيه الملوك» قال انها في ٤٤٠ ورقة ولم يذكر مظنة وجودها ، فلعلها كتاب التاج المسمى

« اخلاق الملوك ايضا . كما نشر صديقنا ابراهيم السامرائي رسالتهفي مدح الكتب والحث على جمعها » . ولم ينقطع الامل في الظفر بكتب اخرى . وصنَّف عنه من القدامى ابو حيان التوحيدي كتاب « تقريظ الجاحظ » وهو مفقود . ولعدد كبير من معاصرينا مصنفات عن الجاحظ ذكـــر بعضهم الزركلي في اعلامه . واضيف كتابين آخرين عنه احدهما لطه الحاجري والآخـــر لمحمد عبد المنعم حفاجي ، وجمع شعر الجاحظ ونشره د. محمد جبار المعيبد .

المُهَلَب بن أبي صُفْرَة الازدي العتكي :

ابو سعيد ، أمير ، جواد ، شجاع . قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيّد أهل العراق . ولد في « دبا » ونشأ بالبصرة ، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر . وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير . وفقئت عينه بسمرقند . وانتـــدب لقتال الازارقة — وهم فرقة من الخوارج — وكانوا قد غلبوا على البلاد ، فاقام يحاربهم تسعة عشر عاما ، فقتل كثيرين ، وشرّد بقيتهم في البلاد . ولاّه عبدالملك بن مروان ولاية خراسان ، فقدمها سنة ٧٩ هـ ومات فيها سنة ٨٣ هـ . وكان مولده سنة ٧ هجرية .

انظر الاعلام ٨ / ٢٦٠ — ٢٦١ وفيه مصادر ترجمته .

الحسن اللؤلؤي :

هو الحسن بن زيـــاد اللؤلؤي الكوفي ، أبـــو علي ، قاض ، فقيه ، من اصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأي . ولي قضاء الكوفة سنة ١٩٤ هـ ثم استعفى . من كتبه : « أدب القاضي » و « معاني الايمان » و « النفقات » و « الخراج و « الفرائض » و «الوصايا » و « الامالي » . توفي سنة ٢٠٤هـ .

انظر ترجمته في الاعلام ٢ / ٢٠٥ وفيه مصادر ترجمته .

سهل بن المرزبان :

ابو نصر ، أديب جمع نفائس الكتب . من مصنفاته : « اخبار ابي العيناء » و « اخبار ابن الرومي » و « اخبار حجظة البرمكي » و« الآداب في الطعام والشراب » . ولد في قاين » قرب نيسابور ، وكرر الرحلة الى بغداد واستوطن نيسابور . وكان معاصراً للثعالبي وصديقا له وبينهما مكاتبات ، له نظم حسن توفي في حدود عام ٤٢٠هـ .

انظر ترجمته في الاعلام ٣ / ٢١٠ وفيه مظنة ترجمته .

محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي :

ابو الحسن ولد ترجيحاً قبل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري في اصفهان ، ولم يغادرها الى غيرها ، وتوفى سنة ٣٢٢ هـ من مصنفاته كتاب « عيار الشعر » وقد طبع . ومن كتبه: « المدخل في معرفة المعمى من الشعر وتقريظ الدفاتر » و سنام المعالي « والشعر والشعراء » وكتاب في العروض وكلها مفقودة . وله ديوان شعر ذكره النديم في الفهرست وقد فُقد . وجمع معاصرنا المرحوم جابر عبدالحميد الخاقاني ماتبقى من شعره في مجموع حسن طبع في بغداد سنة ١٩٧٥ وانظر كتابنا المستدرك على صناع الدواوين .

ترجمته واخباره في : مقدمة ديوانه وفي الفهرست ص ١٥١ ، ١٦٨ ومعجم الشعراء ٤٢٧ والمحمدون ١ / ٢٦ وارشاد الاريب ٦ / ٢٨٤ والوافي ٢ /٧٩– ٨٠ ومعاهد التنصيص ٢ /١٢٩ وبروكلمان ٢ / ١٠٠ والكنى والالقاب للقمي٢ /٤٠٦ واعلام الزركلي ٦ /١٩٩ .

العتبي :

محمد بن عبيد الله بن عمرو الاموي ، ابو عبد الرحمن . من بني عتبة بن ابي سفيان . اديب ، كثير الاخبار ، حسن الشعر . من اهل البصرة ووفاته

فيها . من مصنفاته : « أشعار النساء اللاتي احببن ثم ابغضن » و « الاخلاق » و « اشعار الاعاريب » والخيل » و « الذبيح » و « الجواهر » قال النديم في الفهرست : كان العتبي وابوه سيدين اديبين فصيحين . وقال ابن قتيبة : الاغلب عليه الأخبار . مصنفاته التي ذكرناها مفقودة ولم يبق منها سوى مختصر من كتابه « الجواهر » .

جمع معاصرنا الدكتور يونس احمد السامرائي ما تبقى من شعره ونشره في العدد السادس والثلاثين من مجلة كلية الآداب الصادرة في بغداد سنة ١٩٨٩ .

انظر ترجمته في مقدمة شعره وفي الاعلام ٧ / ١٣٩ وانظر مصادره فيهما .

علي بن الجهم :

من بني سامة ، بطن من قريش. رحل بعض اجداده من مكة واستقرّ في البحرين ثم انتقلو الى خراسان بعد أن فتحها المسلمون . وعاد والد الشاعر من خراسان الى بغداد. تولى ابوه بريد اليمن زمن المأمون كما ولاّه الثغر وهي البلاد الواقعة على حدود الروم ، وولاه الواثق الشرطة في بغداد . واخوه الاكبر محمد بن الجهم عالم اديب ولاه المأمون عدة ولايات في فارس ، وولاه المعتصم دمشق سنة ٢٢٥ هـ. وعمه ادريس بن بدر وابنه عثمان ممن امتدحهم ابو تمام الطائي ، فهو من اسرة جمعت بين العلم والادب والوجاهة والثراء : نشأ وتأدب ببغداد ووهب نفسه للشعر ، وجمعته أواصر صداقة بأبي تمام، وكان كثير السفر تنقل بين خراسان والثغر والجبال ومصر والشام . وتولى مظالم حلوان في خلافة المعتصم ، وهنأه بفتح عموريه . وله مدائح قليلة في الواثق . ثمّ لمّا ولي المتوكل الخلافة غدا نديماً له وموطن سرّه . ثمّ كاد بعضهم له عند المتوكل فتغير عليه ثم حبسه وصادر امواله ونفاه الى خراسان وحُبس بها . ثم أمر المتوكلُ الطاهر عبد الله باطلاقه فلما خرج من سجنه زهد في الحياة ، وبعد اقامة طويلة في خراسان عاد الى بغداد . وقاده سوء رأيه في الناس الى مصاحبة أهل الفتوة في بغداد، والاختلاف

الى بيوت القيان حتى قتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ فرثاه من اعماقه . وفي عام ٢٤٩ هـ قتل الروم قائدين من اعظم قواد الثغور الجزرية همـــا عمر بن عبد الله وعلي بن يحيى مع عدد كبير من جنودهم ، فهبّ الناس يتطوعون للجهاد ، وتلاحقوا نحو الثغر لغزو الروم ، وخرج علي بن الجهم متطوعا يريد المشاركة في غزو الروم فقتله أعراب من بني كلب في الطريق ودفن على مقربة من حلب . طبع ديوانه خليل مردم بك وصدرت الطبعة الثانية منه في بيرت وفيها زيادات بخط المحقق وانظر كتابنا المستدرك على صُناع الدواوين .

ترجمته في : مقدمـــة ديوانـــه وتاريخ بغـــداد ١١ /٣٦٧ ووفيات الاعيان ٣ /٣٥٥ – ٣٥٨ وشـــرح رسالة ابن زيـــدون لابن نباته ٢٢٥ وطبقات الحنابلة ١٦٤ وتهذيب ابن عساكـــر ٤ / ١٩ والمختار من شعـــر بشار ١٧ وطبقات ابن ابن المعتز ١٥١ والاغاني (ط . الدار) ١٠ /٢٠٣ – ٢٣٤ والطبري ١١ /٨٦ وسمط اللالى ٥٢٦ والاعلام ٥ /٧٧

ابراهيم بن السندي :

من ذرية السندي بن شاهك . فقد ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ان للسندي ولدان احدهما نصر والثاني ابراهيم . وكان ابراهيم هذا من رجالات الدولـــة العباسية و دعوتها . ومن الرواة المعروفين بروايته وعلمه وفقهه . وكان صديقـــاً للجاحظ . وهو فارسي الاصل ، ولاه المأمون لمابعد ابيه السندي وظيفة « صاحب مدينة السلام » وكان صاحب شرطته . وكان كشاجم الشاعر من هذه الاسرة .

انظر كتاب « بغداد في تاريخ الخلافة العباسية » ص ٣٦ – ٣٧ .

ديموقراط = ديمقراطس

من فلاسفة العلم الطبيعي . وهو من ابديرا من اعمال تراقيا . ولد حوالي سنة ٤٦٠ ق . م . وتوفي سنة ٤٠٤ ق . م . زار مصر وبابل في طلب المعرفة

ترك كتبا كثيرة صنّفها« فراثيلوس » الى رباعيات بحسب الموضوعات وهي: الاخلاق – العلم الطبيعي – الرياضيات – الموسيقى – الفن والعلل.

لكنّ ديموقراطس لم يكتب فيما يرجح غير كتاب واحد هو « نظام العلم الصغير » بأسلوب جميل وواضح.

انظر الفلسفة اليونانية في عصورها الاولى » كريم متي ص ٧٥ – بغداد مطبعة الارشاد ١٩٦٦.

الخليل بن أحمد :

الفراهيدي الازدي، من ائمة اللغة والادب ، وواضع علم العروض. وهو شيخ سيبويه ، ولد سنة ١٠٠ ﻫ وتوفي فيها سنة ١٧٠ ﻫ. عاش فقيراً صابرا. من مصنفاته كتاب « العين » وقد طبع في بغداد في ثمانية اجزاء بتحقيق الدكتورين مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي.

وللمخزومي كتاب عنه. وانظر ترجمته في الاعلام ٢ /٣٦٣ ومصادره ثمّـــة.

يحيى = يحيى بن علي المنجم (٢٤١ ﻫ – ٣٠٠ ﻫ)

قال المرزباني عن ابيه علي : « هو وأهله وولــده واولادهم في البيت الخطير من الدين والادب والشعر والفضل، لا اعلم بيتا اتصل فيه من هــذه الأنواع الشريفة ما اتصل لهم وفيهم ».

وقد ذكر ياقوت انه كانت بكركر من نواحــي القُفْص ضيعــة نفيسة لابيه علي بن يحيى وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها « خزانــة الحكمة » يقصدها الناس من كلّ بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم والكتب مبذولة في ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال صاحبها.

هذه الخزانة هي التي أشار اليها النديم في اثناء حديثه عن صلة علي بن يحيى بالفتح بن خاقان ، والخزانة التي صنعها له ، وما أضافه اليها من كتبه .

انظر معجم الشعراء ١٤٢ ومعجم الادباء ١٥ /١٥٧ والفهرست ١٦٠ .

ابو عمرو بن العلاء :

زبّان بن عمّار التميمي المازني البصري (٧٠ هـ — ١٥٤ هـ) .

من ائمة اللغة والأدب ، وأحد القُرّاء السبعة . ولد بمكة،ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة . له اخبار وكلمات مأثورة . وصنّف ابو بكر الصولي كتاباًفي اخباره ، وهو مفقود . ولمعاصرنا الدكتور زهير وزاهد كتاب عنه طبع .

انظر ترجمته في الاعلام ٣ / ٧٢ ومصادره ثمّة .

الاخفـــش :

الاخافش ثلاثة : الاكبر عبدالحميد بن عبد المجيد (ت ١٧٧ هـ) وكان مفسِّراً للشعر (١) . والاوسط واسمه سعيد بنمسعدة المتوفى سنة ٢١٥ هـ فقد كان نحوياً عالماً باللغة والادب من تلامذة سيبويه ، من مصنفاته « تفسير معاني القرآن » و « شرح ابيات المعاني » و « الاشتقاق » و « معاني الشعر و « كتاب الملوك » وزاد في العروض بحر الخبب (٢) .

واماّ الاخفش الاصغر واسمه علي بن سليمان (ت ٣١٥ هـ) فقد كان نحوياً من اهل بغداد وتوفي فيها وهو ابن ثمانين سنة . من مصنفاته « شـرح سيبويه. و « الانواء » و« المهذب (٣) » . وربما يكون النصّ للاوسط أوالاصغر

(١) الاعلام ٤ / ٥٩ (٢) الاعلام ٣ /١٥٥ (٣) الاعلام ٥ /١٠٣ .

عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب :

جاء في صفة الصفوة ما نصه: « تعبّد عبدالله العمري وسكن المقابـــر . ، وكان لا يُرى إلاّ وفي يده كتاب يقرؤه ، وترك مُجالسة الناس فَسُئل عن فعله

فقال : لم أرَ أوعظ من قبرٍ ، ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة . فقيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء . قال : لا تُفسد إلا جاهلا » .

كان جرئيا في قول الحق ، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر . وعظ الرشيد مرة فأبكاه . أسند الحديثَ ، وأدرك من التابعين أبا طوالة ، وروى عن أبيه وعن ابراهيم بن سعد وتوفي بالمدينة المنورة سنة اربع وثمانين ومائة وهو ابن ست وستين سنة .

انظر صفة الصفوة ٢ / ١٨١ — ١٨٤

ابو الشَمَقْمَق :

مروان بن محمد (ت نحو ٢٠٠ هـ)

شاعر هجاء بصري خراساني الاصل من موالي بني امية .

كان عظيم الانف ، أهرت الشدقين ضمنكر المنظر . توفي في حدود سنة ٢٠٠ هـ . جمع شعره المستشرق غوستاف فون غرونباوم ونشره ضمن كتابه « شعراء عباسيون » الذي صدرت طبعته الثانية بعناية د. محمد يوسف نجم في بيروت .

انظر ترجمته في الاعلام ٩٧/٨ ومصادره ثمّة .

الشعبي (١٩ — ١٠٣ هـ) :

عامر بن شراحيل الحميري ، فقيه ، شاعر ، راوية ، من التابعين يضرب المثل بحفظه . اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله الى ملك الروم . ولد ونشأ ومات بالكوفة .

انظر ترجمته في الاعلام ٩ / ١٨ — ١٩ ومصادره ثمّة .

• • •

تقرير عن :
ـ ندوة منهجية تحقيق النصوص ـ

الدكتور جميل الملائكة
(عضو المجمع)

عقد المجمع (ندوة منهجية تحقيق النصوص) يوم الثلاثاء ٦/شوال/١٤١٥هـ الموافق ٧/آذار/١٩٩٥م في قاعة محمد بهجة الأثري في المجمع .

وبدأت الندوة بترحيب رئيس الجلسة الاستاذ الدكتور جميل الملائكة عضو المجمع بالسادة والسيدات الحضور ، مشيرا الى أنّ تحقيق النصوص العربية من الموضوعات التي مازالت بحاجة الى الكثير من العناية والاهتمام ، والى ان المحقق من المخطوطات العربية ، التي تُعَدّ بالملايين في مكتبات العالم لايتجاوز الواحد في العشرين منها ، وأن المستشرقين سبقونا فحققوا الكثير من مخطوطاتنا منذ زمن بعيد ، وان كان لتحقيقاتهم جوانب ايجابية وأخرى سلبية .

وعبّر عن الأسف لأن هذه الأمة لم تشهد في العصر الحديث بعض الاهتمام الحقيقيّ بالتحقيق الاّ في زمن متأخر ، ولاسيما في العلوم الصرف والتطبيقية ، وأنّ الدرب مازال طويلاً ، ومن هنا تأتي أهمية هذه الندوة التي ستتناول بعض أسباب كل ذلك . ومستلزمات التحقيق ،وطرائقه ،ومشكلاته ووسائل تذليلها .

كلمة الافتتاح :

وافتتح الندوة الاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي رئيس المجمع بكلمة بيّن فيها أهمية موضوع الندوة لما سيبحث فيها من تيسير عمل المحققين ، وتقديم أساس مكين لإنماء الثقافة ، مما يعين على تبوّئنا المكانة اللائقة في ركب الفكر . وأشار الى الوفرة العظيمة لتراثنا الفكري المدوّن مما يفوق ما لدى سوانا من الأمم ، وأن عناوين فهارس المخطوطات فقط تبلغ مئات الصفحات ، وأن المخطوطات تعدّ بالملايين ، مبيّناً أنّ بعض العناوين أصابه الاضطراب فاحتاج نشر المخطوطات الى تخليصها من أوهام النسّاخ ، وأن بعضاً قد لا يكون بخطّ المؤلف فلم يحظ نسخها بالأمانة التي يريدها المؤلف .

وأشار الى عناية القدامى بالتحقيق ، ولا سيّما ما يتعلق منه بالقرآن والحديث ، وإلى ما التّفوه في قواعد التحقيق من كتب عالية المستوى ، والى تكاثر طبع كتب التراث منذ ظهور الطباعة ، على تباينها في الجودة . ونوّه بظهور كتب إرشادية في التحقيق تباينت أيضاً في مستوياتها وطرائقها ، مما قد يثير بعض الإرباك ، مشيراً الى أن كلّ ذلك مما حدا المجمع الى عقد هذه الندوة لتوضيح معالم التحقيق يقوم به الخبراء المتمرسون فيه .

خلاصات الأبحاث :

ثم قدّم الدكتور الطبيب كمال السامرائي الأستاذ المتمرس في جامعة بغداد بحثا في (منهجية تحقيق كتب التراث الطبي) تحدّث فيه عن وجوب تمكّن المحقق من موضوع كتاب التراث الطبي الذي يحققه ، ووجوب اعتماده على نسخ كتبها نسّاخ هم أيضاً من ذوي الإلمام في الموضوع ، وأن يتحرى المحقق تماسك سياق النصّ وارتباط العبارات ، ويبحث عن اكبر عدد من النسخ ، ويعتمد على أقربها من نسخة المؤلف ان لم يجد هذه .

وتلاه الدكتور الطبيب محمود الحاج قاسم فقدم بحثاً في (مناهج تحقيق النصّ العلمي ومشكلاته) ، تناول فيه أهمية تحقيق النصوص العلمية ، وما

يتوخّى فيها من فوائد ، والمؤهلات اللازمة للمحقّق العلمي ، وصفات النصّ العلمي الذي يستحق التحقيق والنشر ، ومستلزمات التحقيق العلمي •

وقدّم بعده الاستاذ هلال ناجي بحثاً في (بعض قواعد تحقيق النصوص) تحدّث فيه بإسهاب عن وجـوب توثيق نسبة المخطوط الى مؤلفه ، بعد تحقيق عنوان المخطوط ، وعن خطورة الاعتمـاد على النسخة الواحدة في التحقيق ، وأكدّ عدم جواز نشر المختصر مع وجود الأصل المخطوط •

وبيّن رئيس الجلسة اعتـذار الشيخ محمـد حسن آل ياسين من عدم الحضور بسبب المرض ، وان بحثه المعنون (ملاحظـات في المعجمات المطبوعة المحققة) سينشر في كتاب وقائع الندوة مع بقية الأبحاث .•

وبعد استراحة قصيرة استؤنفت الجلسة فألقت الاستاذة نبيلة عبدالمنعم داود رئيسة مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد بحثاً عنوانه (مناهج العرب القدامى في التحقيق) تناولت فيه نشوء فنّ التحقيق ، وأوائل المعنيّين به ، وما وضعوه له من قواعد كانت حصيلتها منهجاً واضحاً لهذا الفنّ وأصوله ومستلزماته ومنها : المقابلة بين النسخ ؛ وإصلاح الخطأ وتقويم اللحن ؛ وعلاج السقط والزيادات ؛ والضبط والشكل ؛ وصنع الحواشي ؛ واستعمال الألوان في كتابة الأبواب والفصول ؛ وإجادة الخطّ ؛ واستعمال الرموز •

ثم ألقى الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف عضـو المجمع بحثه المعنون (منهجية تحقيق النصوص التأريخية) الذي تناول فيه ماطرأ على اسس التحقيق ومناهجه من تطوّر ، ووجوب وصف النسخ الموجودة ، واعتماد آخـر تنفيح يضعه المؤلف أو المحقـق ، وتثبيت اختلافـات النسخ وأسبابهـا ، ووجوب اختصاص المحقق في موضـوع الكتاب الذي يحققه ، وتمكنـه من العربية ، ومقابلة النسخ ، وتحديـد السقط ، وضبط النصّ ، والاقتصـاد في التعليق والاقتصار على ما يخدم النصّ من ذلك • وأشار الى اختـلاف سبل التحقيق باختلاف موضوعاته مؤكّداً أنّ لكل موضوع في تحقيقه خصوصيات تختلف في بعض جوانبها عما في سواها •

وبعده قدّم الاستاذ الدكتور سامي مكي العاني عميد كلية الآداب في جامعة المستنصرية بحثا بعنوان (المستشرقون وتحقيق الشعر العربي) بدأه بمقدمة تأريخية عن اهتمام المستشرقين بتحقيق الشعر العربي • ثم أسهب في الكلام على العوامل التي ساعدت على توجه المستشرقين الى تحقيق الشعر العربي ، ومنها :

- وفرة المخطوطات العربية النفيسة في المكتبات الاوربية
- ونشوء الجمعيات الشرقية والآسيوية في اوربا
- وإصدار المجلات المتخصصة بالنصوص العربية
- وعمل فهارس المخطوطات العربية وطبعها
- وانتشار المطابع العربية
- وإنشاء كراسي اللغات الشرقية
- وعمل المستشرقين في الجامعات العربية
- وإقامة المؤتمرات التي تتناول تحقيق التراث العربي •

وقد أسهب في الكلام أيضاً على أساليب المستشرقين ومناهجهم في تحقيق الشعر العربي مبيناً ايجابياتها وسلبياتها •

ثم أعقب تقديم الأبحاث جلسة مفتوحة للتعليقات والمناقشات شارك فيها كل من الاساتذة الدكتور محمود الجليلي ، ورشيد الصالحي ، وفوزي الخالصي ، والدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ، وهلال ناجي ، والدكتور مسارع الراوي ، والدكتور يوسف حبي ، والدكتور كمال السامرائي ، والدكتور بشار عواد معروف ، والدكتور جميل الملائكة ، واختتمت الندوة نحو الساعة الثانية بعد الظهر •



بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي

دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

((قواعد وضوابط النشر))

(١) قواعد النشر

(٢) ضوابط عامية

(٣) المكافآت

(١) قواعد النشر :

١ ـ ينشر المجمع البحوث (كتبا ، اعمال ندوات ، مقالات) التي تحقق اهدافه وفق قواعد خاصة .

٢ ـ تعطى الاسبقية في النشر لاعضاء المجمع العاملين ، ثم لخبراء المجمع، ثم لغيرهم .

٣ ـ تقديم الطلبات الى رئاسة المجمع التي تحيلها الى الدائرة العلمية المختصة او الى الهيئتين الكردية و السريانية ، ثم تحال الى دائرة المصطلحات والترجمة والنشر مع بيان الرأي ، لاتخاذ ما يلزم .

٤ ـ اذا اختلفت دائرة المصطلحات والترجمة والنشر مع الدائرة التي يخصها البحث او الكتاب المحال اليها للنشر ، تجتمع الدائرتان لفض الخلاف ، والا يحال الامر الى هيئة رئاسة المجمع للبت فيه نهائيا .

٥ ــ تخضع عملية النشر للخطة السنوية التي تقرها الهيئة العامة للمجمع ، بعد تقديم طلبات الدوائر والاشخاص ودراستها من قبل الدائرة المختصة التي تنسق العمل والمواعيد .

٦ ــ تخضع البحوث المؤلفة والمترجمة لغير اعضاء المجمع الى تقويم علمي يقوم به خبير مختص . وتخضع بحوث الاعضاء الى تنسيق على وفق الخطة المقررة .

٧ ــ يقدم الطلب باستبانة خاصة .

٨ ــ تنظم صيغة عقد بين المجمع والمؤلف او المترجم توضح فيه حقوق الطرفين وواجباتهم .

٩ ــ تنظيم عملية التقويم باستبانة خاصة .

(٢) ضوابط علمية :

أ ــ لاتزيد صفحات المقالة الواحدة للنشر في مجلات المجمع على ٤٠ صفحة . ولا ينشر للباحث اكثر من مقالة في العدد الواحد

ب ــ لاتزيد صفحات الكتاب المطبوع في المجمع على ٢٠ ملزمة .

ج ــ لايطبع ، نظرا للظروف الراهنة ، اكثر من ٣٠٠ نسخة ، الا بقرار من هيئة الرئاسة .

د ــ تنظم الدائرة استباتتي تقديم الطلب وتقديم البحث وعقد التكليف والنشر .

(٣) المكافآت :

١ ــ تقدر مكافأة البحث الذي يلقى في ندوة مجمعية او في جلسات المجمع المفتوحة او في مجلات المجمع بمبلغ ٦ آلاف دينار . وتقدر مكافأة البحث الذي ينشر في مجلات المجمع بمبلغ ٢٥٠ دينارا للصفحة الواحدة ، على ان لايقل المبلغ الكلي عن ٣ آلاف دينار ولا يزيد على ٨ آلاف دينار .

٢ ــ يكافأ مؤلف الكتاب مبلغ ٥ آلاف دينار على الملزمة الواحدة .

٣ ــ يكافأ خبير البحوث مبلغ ٦٠٠ دينار ، اي ١٠ بالمائة من مكافأة الباحث

٤ ــ يكافأ المشرف على الطبع مبلغ ١٠ بالمائة من مكافأة المؤلف .

٥ ــ يمنح العاملون في الطباعة مكافآت لاتزيد على ١٠ بالمائة من مكافأة المؤلف .

٦ ــ يمنح العاملون في مخازن وبيع المطبوعات بما لايزيد على ١٠ بالمائة من المبيعات المحققة .

٧ ــ يمنح كُتّاب المقالات في المجلات عشرين فرزة من بحوثهم . ويمنح مؤلفو او محققو الكتب ٢٠ نسخة ، وتخفيضا مقداره ٥٠ بالمائة من سعر البيع عن النسخ التي يشتريها .

ملاحظة : اعدت الدائرة المختصة هذه القواعد والضوابط الخاصة بالنشر في اجتماعاتها (٦/١٣ ، ١٠/٣ ، ١٠/١٠ ، ١١/٤ ثم في ضوء التعديلات في ٢/١٢/١٩٩٥ و ٣/١/١٩٩٦) ، واجرت هيئة رئاسة المجمع في ثلاث جلسات (١١/٢٠ ، ١١/٢٥ ، ١٢/٩/١٩٩٥) تعديلات واضافات ، وناقشتها الهيئة العامة في جلسة ١٦/١/١٩٩٦ وأقرتها بشكلها الحالي .

✿

بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي

دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

استبانة تقديم طلب بشـأن :

١ ــ القيام بدراسة او بحث .

٢ ــ ترجمة كتاب .

٣ ــ تأليف كتاب .

٤ ــ تحقيق كتاب .

٥ ــ طبع عمل جاهز غير منشور ينسجم مع اهداف المجمع .

١ ــ الاسم الرباعي :

٢ ــ عنوان / ١ : الدراسة او البحث

٢ : المترجـم

٣ : المؤلـف

٤ : المحقـق

٣ ــ اهمية ومبررات المشروع (بحدود ١٥٠ كلمة) .

٤ ــ المدة المقررة لانجاز العمل .

٥ ــ الجهة المستفيدة من العمل .

٦ ـ الانشطة السابقة لصاحب الطلب .

١ ـ البحوث والدراسات

٢ ـ الترجمـة

٣ ـ التأليـف

توقيع صاحب الطلب :

التاريخ :

العنوان :

٧ ـ رأى دائرة المصطلحات والنشر

١) توصي بدعم الطلب ٢) لاتوصي بدعم الطلب

ملاحظـة : لاتلزم استباتة التقديم هذه المجمع حاليا .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي

دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

((استبانـــة تقويـــم))

١ ــ اسم الباحث / المترجم / المؤلف / المحقق :

٢ ــ عنوان / البحث / المترجم / المؤلف / المحقق :

٣ ــ هــل سبق ان نشر البحث او الدراســة او الكتاب او قــدم لجهة غــير المجمع العلمي ؟ اذا كان الجواب نعم تهمل الاجابة على بقية الفقرات .

٤ ــ هل يحقق العمل المقدم اهداف المجمع العامي ؟

٥ ــ هل ان العمل يحقق مستلزمات البحث من حيث الفكرة والاسلوب وطرق التحليل والمعالجة ومستوى المعلومات وسلامة اللغة .

٦ ــ هل اعتمد المصادر وأشار اليها في المتن .

٧ ــ هل ان العمل المقدم :

١ ــ يصلح للنشر ضمن منشورات المجمع العلمي .

٢ ــ يصلح للنشر بعد اجراء التعديلات .

٣ ــ لا يصلح للنشر .

٨ ــ ما هي التعديلات المطلوبة قبل النشر ؟

يمكن استخدام ورقة اضافية لتوضيح ذلك



بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي

دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

((عقد التكليف والنشر))

أ) المادة الاولى : الطرفان

١ ــ الطرف الاول : المجمع العلمي ويمثله الرئيس او الامين العام .

٢ ــ الطرف الثاني : المكلف بالعمل .

٣ ــ العمل : دراسة او بحث او تأليف كتاب او ترجمة كتاب أو تحقيق كتاب.

ب) المادة الثانية :

يقوم الطرف الثاني باحد الاعمال التالية :

١ ــ اعداد دراسة عنوانها :

٢ ــ اعداد بحث عنوانه :

٣ ــ تأليف كتاب عنوانه :

٤ ــ ترجمة كتاب عنوانه :

٥ ــ تحقيق كتاب عنوانه :

ج) المادة الثالثة :

١ ــ يقدم الطرف الثاني مسودة العمل خلال مدة اقصاها (..........) من تاريخ توقيع العقد .

٢ ــ يدفع الطرف الاول لطرف الثاني ٥٠٪ من الكلفة المقدرة للعمل عند تقديم الطرف الثاني مسودة العمل كاملة .

٣ ــ عند التوصية بطبع العمل في ضوء التقويم يدفع الطرف الاول للطرف الثاني ٣٠٪ اضافية ليصبح المدفوع للطرف الثاني ٨٠٪ من الكلفة المقدرة ، ويدفع له الباقي والبالغ ٢٠٪ عند انتهاء الطبع ، على ان لاتتجاوز مدة الطبع سنتين كاملتين من تاريخ انتهاء التقويم المثبت من قبل دائرة المصطلحات والترجمة والنشر •

د) المادة الرابعة :

١ ــ لايجوز لطرف الثاني التصرف بالعمل المتفق عليه مع الطرف الاول الا بعد مرور ثلاث سنوات على نشره •

٢ ــ ينشر العمل كأحد منشورات المجمع وللطرف الاول حق التصرف به ضمن المدة المحددة لذلك •

٣ ــ يعطى الباحث او المترجم ٥٪ من المطبوع ان زاد على الالف نسخة و١٠٪ ان قل على الالف •

هـ) المادة الخامسة :

١ ــ عند اخلال اي طرف بالعقد تؤلف لجنة تحكيم من ثلاثة خبراء يختار احدهم الطرف الاول ويختار الثاني الطرف الثاني ويتفق المحكمان على المحكم الثالث ، ويكون حكمها قطعيا •

* * *

الكتب الواردة والمهداة
الى مكتبة المجمع العلمي العراقي
للدورات المجمعية ١٩٩٠ ـ ١٩٩٣
القسم الثاني

اعداد : صباح ياسين الاعظمي
مدير المكتبات

التاريخ والتراجم والجغرافيا

★ ابن بطوطة ورحلته
تأليف ، الدكتور شاكر خصباك ، النجف ١٩٧١ ، ٢٩٧ ص .

★ ابن كثير كمؤرخ دراسة تحليلية لكتاب البداية والنهاية تأليف ، مسعود الرحمن خان الندوي ، الباكستان ١٩٨٠ .

★ ابو البركات ابن الانباري ودراساته النحوية
تأليف ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، بغداد ١٩٧٥ .

★ الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية .
تأليف الدكتور صالح احمد العلي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٣٦٥+١٠٠ص

★ كتاب الاتحاد (ذكريات ايام زمان)
تأليف ، عبدالقادر البراك ، بغداد ١٩٨٨ ، ١٥٠ص .

★ انتفاضة رشيد عالي الكيلاني .
تأليف ، الدكتور وليد محمد سعيد الاعظمي ، بغداد ١٩٨٧ .

★ الاثار الشرقية .
تأليف ، أرنست نابليون ، ترجمة مارون عيسى الخوري لبنان ١٩٨٧ ، ٢٧١ص .

★ احمد بن حنبل والمحنة .
تأليف ، ولتر .م. باتون ، ترجمة عبدالعزيز عبدالحق ، القاهرة ، ٢٩٦ص.

★ احمد فارس الشدياق .
تأليف ، محمد الهادي المطوي ، بيروت ١٩٨٩ ، ٥٧٦ص .

★ ادارة العراق (الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء) .
تأليف ، الدكتور عماد عبدالسلام ، بغداد ، ١٩٩٢ .

★ الادريسـي .
تأليف ، صوفي روس ، ترجمة ، ادريس خشب القاهرة : ٢١٠ ص .

★ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث .
تأليف ، س . هـ . لونكريك ، ترجمة : جعفر خياط بغداد ، بدون سنة طبع ، ٤٦٠ ص .

★ الازمنـة
تأليف ، ابن علي بن المستنير قطرب ، تحقيق ، حنا جميل حداد ، الاردن ١٩٨٥ ، ١٧٦ ص .

★ اسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريخية في القرن الرابع الهجري.
تأليف ، عبدالجبار ناجي . بغداد ١٩٩٠ ، ٢٨٤ ص .

★ الاصابة في تمييز الصحابة .
تأليف ، ابن عبد البر الاندلسي (ج١ ــ ج٨ × ج٨) .
طبعة منقحة مع الفهارس . بيروت ، بدون سنة طبع .

★ اصول الجغرافية البشرية .
تأليف ، ليدال دي لابلابس ، ترجمة ، الدكتور شاكر خصباك ، الموصل ١٩٨٤ ، ٣٤٣ ص .

★ الاعلام باوهام الاعلام
تأليف ، حميد الخالصي ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٦ص .

★ الاعلام الجغرافية والتاريخية الاندلسيين .
تأليف ، الدكتور محمد عبدالله عنان ، اسبانيا ١٩٧٦ .

★ اعمدة الحكمة السبعة
تأليف ، ت . أ . لورنس ، بيروت ١٩٨٠ ، ط٤ ، ص٤٠١ .

★ الاقطاع والعصور الوسطى
تأليف ، جر . كوبلان ، ترجمة ، محمد مصطفى زيادة ــ القاهرة ١٩٥٨ ، ١٤٠ص .

★ الانتصار ممن عدل عن الاستبصار
تأليف ، ابن السيد البطليوسي ، تحقيق ، حامد عبدالمجيد ــ القاهرة ١٩٥٥ ، ١٠٠ص .

★ ام القرى
تأليف ، عبدالرحمن الكواكبي ، بيروت ١٩٨٢ ، ط٢ ، ٢٥٥ص .

★ الامبراطورية البيزنطيه
تأليف ، نورمان بيتر ، تعريب ، حسين مؤنس ، القاهرة ، ٤٢٥ص .

★ كتاب الاموال
تأليف ، ابي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق ، محمد خليل هراس بيروت ١٩٨٦ ، ٦٢٢ص .

★ الانبياء الكذبة
تأليف ، حسن التل ، عماد ١٩٨٣ ، ط٢ ، ٦٣ص .

★ الاوائل
تأليف ، ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني ، تحقيق وتخريج ، محمد شكور بن محمود الحاجي ، بيروت ١٩٨٧ .

★ اوراق أيامي ١٩٠٠ ــ ١٩٥٨ .
تأليف ، حازم طالب مشتاق ، بغداد ١٩٨٩ ، ج١ ، ط٢ ، ٦٩٠ص .

★ اوربا والوطن العربي (القرابة والجوار)

تأليف الدكتور بشارة خضر ، بيروت ١٩٩٣ ، ٢٧٨ص •

★ أهمية الدور الخليجي للعراق

تأليف ، الدكتور محمود علي الداود ، بغداد ١٩٨٠ •

★ أيـام بغـداد

تأليف ، جميل الجبوري ، بغداد ١٩٨٣ ، ٣٥٥ص •

★ ايران في عهد الساسانيين

تأليف ، كريستين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ٥٧٦ص •

★ بحث في نشأة علم التاريخ عندالعرب •

تأليف ، عبدالعزيز الدوري ، بيروت ١٩٨٣ ، ٤٣٧ص •

★ بحوث مهرجان المؤرخ توينبي

تأليف ، عالية احمد سوسة • بغداد ١٩٧٩ •

★ البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر (محمد بن قابستاي)

تأليف ، ابن الشحنه ، وهـو منسوب له • تحقيق ، عبدالسلام تدمري ، بيروت ١٩٨٣ ، ١٨٤ص •

★ البصرة العظمى

تأليف ، سليمان فيضي ، بغداد ١٩٦٥ ، ٨٠ص •

★ بغداد كما عرفتها

تأليف ، امين المميز ، بغداد ١٩٨٥ ، ٥٣٢ص •

★ بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهديهما

تأليف ، الدكتور محمد عبد العال احمد ـ القاهرة ١٩٨٩ •

البيان المغرب في اخبار المغرب •

تأليف ، ابن عذاري المراكشي ، بيروت ١٩٥٠ ، ٤٥٢ص •

★ تاريـخ اربـل
تأليف ، شـرف الدين ابي البركـات الاعمى الاربلي تحقيق ، سامي بن خماس الصفار ، بغداد ١٩٨٠ ، ط٢ ، ٩٨٨ص •

★ تاريـخ الاسـلام
تأليف ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٥٨ ، ج٣ ص ٤٩٩ص

★ التاريـخ الاسلامـي
تأليف ، الدكتور احمد شلبي ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٢٩٩ص •

☆ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام (١٠١ — ٣٨٠هـ)
تأليف ، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تحقيـق ، عمر عبدالسـلام تدمـري ، بيـروت ١٩٨٩ ، ٨٦٤ص • في اربعة مجلدات •

★ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
تأليف احمد شلبي ، القاهرة ١٩٧٠ ، ٤٠٨ص •

★ التاريخ الاندلسي عند ابن الاثير وابن خلكان (دراسة ونصوص)
تأليف ، تقي الدين عارف الدوري ، بغداد ١٩٩٠ ، ٤٨٠ص •

★ تاريـخ البشريـة
تأليف ، اللجنة الدولية ، باشراف اليونسكو ، مصر ١٩٧٢ ، ٢٠٤ص •

★ تاريخ الترك في اسيا الوسطى
تأليف ، و • بارتولـد ، ترجمـة ، الدكتـور احمـد السعدي سليمان ، مراجعة ، ابراهيم صبري ، القاهرة ، ٢٦٤ص •

★ تاريـخ الدولـة العربيـة
تأليـف ، يوليوس فلهـوزن ، ترجمـة ، محمد عبدالهادي ابوريـدة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ٥٩٦ص

★ التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب
تأليف ، اكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٩٢ .
★ تاريخ حلب (فصل من كتاب نزهة النواظر)
تأليف ، ابي الفضل محمد بن الشحنة ، تحقيق ، كيكوارتا ، الياباني ، ١٩٩٠ ، ٣٧٥ + ١٨ص .
★ تاريخ الحديثة
تأليف ، فرحان الدليمي ، بغداد ١٩٨٩ ، ٣٤٤ص .
★ تاريخ جوادث بغداد والبصرة من (١١٨٦ ـ ١١٩٢هـ)
تأليف ، عبدالرحمن بن عبدالله السويدي ، بغداد ١٩٨٧ ، ط٢ ، ١٦٧ص .
★ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس .
تأليف ، الدكتور حسين مؤنس ، اسبانيا ١٩٦٧ ، ٧٢٣ص .
★ تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر
تأليف ، الدكتور جعفر عباس حميدي ، طارق نافع الحمداني ، صادق ياسين الحلو ، بغداد ١٩٩١ ، ٢٧٢ص .
★ تاريخ الخلفاء
تأليف عبدالرحمن السيوطي ، ٥٣٥ص .
★ تاريخ دول آل سلجوق (اختصار الشيخ الفتح بن علي البغدادي الاصفهاني)
تأليف ، الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني ، تحقيق ، لجنة احياء التراث العربي في دار آفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠، ٢٩٧ص
★ تاريخ العراق الحديث .
تأليف ، الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٥٢٩ ص .
★ تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ ـ ١٧٥٠ م (دراسة في احواله السياسية)
تأليف ، علي شاكر علي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٢٣٢ ص .

★ تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية .
تأليف ، الدكتور فاروق عمر فوزي . بغداد ١٩٦٨ ، ٣٨٣ ص .

★ تاريخ العراق في العهد السلجوقي
تأليف ، الدكتور حسين امين ، بغداد ١٩٦٥ ، ٤٨٧ ص .

★ تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها
تأليف ، جوزيف نسيم يوسف ، بيروت ١٩٨٧ ، ٣٦٢ ص .

★ تاريخ العلماء والرواة بالاندلس
تأليف ، الحافظ ابي الوليد عبدالله بن محمد المعروف بابن الفرضي ، القاهرة ١٩٨٨ ، ط ـ حـ٢ × م٢ ٢٦٨ ص .

★ تاريخ عمرو بن العاص
تأليف ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٢٦ ، ١٩٢ ص .

★ التاريخ فكراً استراتيجياً
تأليف ، ليدل هارث، ترجمة، حازم طالب مشتاق بغداد ١٩٨٨ ، ١٩٨ص.

★ تاريخ الفكر العلمي في الاسلام
تأليف ، الدكتور احمد سليم سعيدان ، الكويت ١٩٨٨ .

★ تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية الى عصر اسماعيل
تأليف ، الدكتور لويس عوض، القاهرة ١٩٨٧ ،حـ١ ـ حـ٢×م١ ، ٤١٥ص

★ تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور
تأليف ، شريف ، بغداد ١٩٢٨ ، ٣٦١ص .

★ تاريخ المماليك الكولهمند في بغداد
تأليف ، سليمان فائق بك ، نقله الى العربية محمد نجيب ارمتازي ، بغداد ١٩٦١ ، ١٠٠ص .

★ تاريخ ميسان وعشائر العمارة (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية .
تأليف : عبد الجبار عبدالله الجويراوي ، بغداد ١٩٨٩ .

★ تاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر

تأليف،محي الدين عبدالقادر بن عبدالله العيدروسي،بيروت ١٩٨٥ ٤٥٣ص

★ تاريخ الوزارات العراقية

تأليف ، عبدالرزاق الحسني ، بغداد ١٩٨٢ ، ط٦ ، ج١ ـ ج١٠ × م١٠ •

★ التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني

تأليف ، الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ، بغداد ١٩٨٣ ، ٣٥٦ص •

★ التحفـة السنيـة

تأليف ، محمد محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٧٢ ، ١٩٩ص •

★ تحفـة القـادم

تأليف ، ابن الابار القطاعي الدلشي ، بيروت ١٩٨٦ ، ٢٩٤ص •

★ تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر

تأليف ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الكويت ١٩٨٤ ، ٢٢٥ص •

★ تحقيقات وتنبيهات في معجم انساب العرب

تأليف ، عبدالسلام هارون ، بيروت ١٩٨٧ ، ٥٣٩ص •

★ تراث العصور الوسطى

تأليف ، ج ، كومب ماكـوب ، ترجمـة ، محمد بدران القاهـرة ١٩٦٥ ،
ج١ ، ٤٠٦ص •

★ تـراث الاسـلام

تأليف ، حسين مؤنس ، مصر ، ٣٦٤ص •

★ تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي

تأليف ، بارتولد ، الكويت ١٩٨١ ، ١٠٤٠ص •

★ تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين

تأليف ، الدكتور نجمان ياسين ، بغداد ١٩٩١ ، ٣٦٧ص •

★ التكملة من مذكرات الملك عبدالله بن الحسين

نشر ، الحكومة الاردنية القدس ، ١٢٣ص •

★ تنزه العباد في مدينة بغداد

تأليف ، نابليون الماريني ، لبنان ، ١١٦ص •

★ جامع التواريخ •

تأليف ، رشيد الدين نفضل الله الهمداني • نقله الى العربية ، الدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد ، مراجعة الدكتور ، محي الخشاب • دار النهضة العربية للطباعة • ١٩٨٣ ، ٣٧٩ص •

★ الجغرافية في القرن العشرين

ترجمة ، محمد السيد غلاب • القاهرة ١١٧٤ ، ج١ ، ٤٧٩ص •

★ جمعية علماء باكستان الاسلام تاريخها واهدافها

اعداد دار العلاقات العامة باكستان ، ٨ص •

★ جندي بين العرب ، مذكرات الجنرال غلوب

تأليف ، غلوب باشا بيروت ١٩٥٨ ، ٣٤٣ص •

★ جمهورية افلاطون

نقلها الى العربية ، حنا خباز ، بيروت ، ٤٠٥ص •

★ الجمهورية العربية اليمنية

تأليف مجموعة من الباحثين • الموصل ١٩٥٨ ، ٢٠٠ص •

★ الجيش والقتال في صدر الاسلام

تأليف ، محمود احمد محمد سليمان كولا • الاردن ١٩٨٧ ، ٥٥٦ص •

★ الحجاز في صدر الاسلام دراسات في احواله العمرانية والادارية •

تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي • بيروت ١٩٩٠ ، ٦٩٦ص •

★ الحسن الثاني ملك المغرب انبعاث امة

مذكرات ، الملك الحسن الثاني المغرب ١٩٩٢ ، ج٣٧ ، ٤٧٤ص •

★ الحضارة الهاتسنية

تأليف ، و • و • تادن ترجمة ، عبدالعزيز توفيق جويد مراجعة ، زكي علي القاهرة ١٩٦٦ ، ٤٠٤ص •

★ الحروب الصليبية (عهد الانقسامات الداخلية) ، (عهد الجهاد المبكر).
تأليف ، سالم محمد الحميدة ، بغداد ١٩٩٠ ، ج١ ، ج٢ × ٢ج • ج٢ •

★ الحضارة الاسلامية بحوث ودراسات
تاليف ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة جمعية اعمال المطابع التعاونية ، عمان ١٩٨٦ ، ج١ – ج٤ × ج٤ •

★ حضـارة العـراق
تأليف ، نخبـة من الباحثـين العراقيـين ، بغـداد ، ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ ، ج١ ـ ج١٣ × م١٣ •

★ حضارة العرب في الاندلس •
تاليف ، ليفي بروفنسال ، ترجمة ، ذوقان قرقوط ، بيروت ، ١٧٥ص •

★ حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور
تاليف ، الدكتور احمد سوسه ، بغداد ١٩٧٩ ، ٣١٦ص •

★ الحلبه في اسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام
تاليف ، الصاحبي التاجي • تحقيـق : الدكتور حاتـم صالح الضامن ، موسوعة الرسالة ١٩٨٥ ، ١٢٠ص •

★ حملة العشرة الاف (الحملة على فارس).
تأليف ، زينفون ، بغداد ١٩٨٥ ، ٤٠٠ص •

★ حوادث بغداد في اثنى عشر قرناً
تاليف ، باقر امين الورد • بغداد ١٩٨٩ ، ٣٧٢ص •

★ حوض الخليج العربي
تاليف ، محمد متولي • القاهرة ١٩٧٠ ، ٣٢٠ص •

★ حوض الخليج العربي
تاليف ، محمد متولي ، القاهرة ١٩٧٤ ، ٦٨٤ص •

★ حياة توماس هاردي
تأليف فلورنس امباي ، ترجمة ، عثمان نوية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ج١ ، ٤٠٦ص .

★ خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية . (دراسة في العلوم عند العرب)
تأليف ، فاضل ابراهيم . بغداد ١٩٨٤ ، ٢٢٠ص .

★ الخراج في العراق
تأليف الدكتور صالح احمد العلي ، المجمع العلمي العراقي ١٩٩٠ ، ٣٦٠ص

★ الخلافـــة
تأليف ، السيرتوماس ارنولد ، ترجمة ، جميل معلي ، ١٤٣ص .

★ الخايج العربي ودراسة لتاريخ الامارات
تأليف ، الدكتور جمال زكريا قاسم ، الكويت ١٩٧٤ ، ٥٣٢ص .

★ الخليج العربي ودراسة لتاريخ الامارات
تأليف ، جمال زكريا قاسم ، القاهرة ١٩٧٢ ، ٥١٨ص .

★ خمسة نصوص اسلامية نادرة من معجزات الرسول وفضائله وفضل الصلاة والسلام عليه
تأليف شعبان بـــن محمد الاثاري (ت ٨٢٨هـ) ، تحقيق ، الاستاذ هلال ناجي بغداد ١٩٩٠ ، ٦٦ص .

★ الخوارج والشيعة
تأليف ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة عبدالرحمن بدوي القاهرة ، ٢٧٨ص .

★ داوود باشا والي بغداد
تأليف الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار ، القاهرة ١٩٦٨ ، ٣٦٩ص .

★ دراسات في العراق الاسلامي
تأليف ، منذر عبدالكريم البكر ، بغداد ، ٤٥٤ص .

★ دراسات في تاريخ الخليج العربي
تأليف ، الدكتور بدرالدين عباس الخصوصي ، ذات السلاسل ١٩٧٨ ، ٢٣٥ص ، ج١ •

★ دراسات في تاريخ المغرب
تأليف ، جرمان عاش ، المغرب ١٩٨٦ ، ٣٤٩ص •

★ دراسات في جغرافية الصراع الدولي
تأليف ، صباح محمود محمد ، بغداد ١٩٩٠ ، ٢١١ص •

★ دراسة في حياة وأعمال الاستاذ عبدالهادي التازي
تأليف ، عبدالفتاح الدين ، المغرب ١٩٩١ ، ١٤٣ص •

★ دراسات عن المؤرخين العرب
تأليف ، مرغو بعوث ، ترجمة ، الدكتور حنا نصار بيروت ١٧٥٥ص •

★ دراسات في النظم العربية الاسلامية
تأليف ، الدكتور توفيق سلطان ، الموصل ١٩٨٨ ، ٣٣٦ص •

★ دراسة في الحسبة والمحتسب عند العرب
تأليف ، الدكتور كمال السامرائي ، بيروت ١٩٨٨ ، ٢١٦ص •

★ دوحة الوزراء
تأليف ، الشيخ رسول الكركوكي ، ترجمة ، موسى كاظم نورس ، بيروت ، ٣١٢ص •

★ دول العرب وعظماء الاسلام
نظم ، احمد شوقي بك ، القاهرة ١٩٣٣ ، ١٠٩ص •

★ الدولة البيزنطية
تأليف ، السيد الباز العزبي ، بيروت ١٩٨٢ ، ٩١٦ص •

★ الدولة الحفصية ، صفحات عامرة من تاريخ مجيد
تأليف ، احمد بن عامر ، تونس ١٩٧٤ ، ١٧٢ص •

★ الدولة الرسولية في اليمن

تأليف ، صدرالدين احمد ، بغداد ١٩٩٠ ، ٨٠ص •

★ الدولة العباسية

تأليف ، الدكتور عصام الدين عبدالرؤوف الفقي القاهرة ١٩٨٧ ، ٣٠٨ص

★ ديك الجن الحمصي •

تأليف ، البدوي الملثم ، عمان ١٩٩١ ، ١٣٨ص •

★ ديــلان توماس

تأليف ، س . ب كوكس ، ترجمــة ، جبرا ابراهيم جبرا ، بغداد ١٩٨٥ ، ٢٧٩ص •

★ الذيل على العبر في خير من غبر

تأليف ، الحافظ العراقي ، تحقيق ، صالح مهــدي عباس ، وعبد المجيد القيس ، بيروت ١٩٨٩ ، ق٣ ، الفهارس (دورة)

★ الرازي من خلال تفسيره

تأليف ، عبدالعزيز المجذوب ، تونس ١٩٨٠ ، ٢٢٢ص •

★ رحلات الامام محمد رشيد رضا

جمع ، يوسف ايشين ، بيروت ١٩٧١ ، ٣٩٥ص •

★ رحلة ابن جبير

★ دراسة ، الدكتور شاكر خصباك ، بغداد ١٩٧١ ، مستل •

★ رحلة الى الشرق

تأليف ، جيرا ردي ترفال ، ترجمة ، كوثر عبدالسلام البحيري ، القاهرة ، ج٣ ، ٢٩٩ص •

★ رحلة ابي طالب خان

ترجمة ، الدكتور مصطفى جواد . بغداد ، ٤٣٢ص •

★ رحلة نيبور الى العراق

ترجمة ، محمود حسين أمين ، بغداد ١٩٦٥ ، ١٨٠ص •

★ رسوخ الاخبار في منسوخ الاخبار (مع فهرس الاخبار)
تأليف ، الجعبري ، بيروت ١٩٨٨ ، ٥٧٦ص .

★ رسوم الدولة ببغداد في العصر العباسي
تأليف ، ميخائيل عواد ، بغداد ١٩٩٣ ، ٤٨ص .

★ روضة النسرين في دولة بني مرين
تأليف ، اسماعيل بن الاحمر ، تحقيق ، عبدالوهاب بن منصور ، الرباط ، ١٩٩١ ، ط٢ ، ٩٨ص .

★ ريف بغداد ، دراسة تاريخية لتنظيماته الادارية واحواله الاقتصادية
تأليف ، الدكتورة ناجية عبدالله ابراهيم ، بغداد ١٩٨٨ ، ٤١ص .

★ الري عند العرب
تأليف واعداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي . بغداد ١٩٨٩ ، ٢٠٨ص

★ السير والمغازي
تأليف ، محمد بن اسحاق المطلبي ، بيروت ، ٣٨٣ص .

★ شذرات من كتب مفقودة في التاريخ
تأليف ، احسان عباس . بيروت ١٩٨٨ ، ٥٣٤ص .

★ شرف نامه
تأليف ، شرف خان البدليسي ، ترجمة / محمد علي عوني مراجعة / يحيى خشاب ، القاهرة ، ٥٣٩ص .

★ الشروط والوثائق .
تأليف ، محمد جاسم الحديثي . تحقيق ، ابو نصر السمرقندي . بغداد ١٩٨٨ ، ٢٢٦ص .

★ الشطار والعيارين في التراث العربي
تأليف ، الدكتور محمد رجب النجار ، الكويت ١٩٨٩ ، ط٢ ، ٤٦٤ص .

★ الشورى العسكرية النبوية

تأليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، بغداد ١٩٩٠ ، ١٧٤ص ، ٢ن •

★ صفة جزيرة العرب

تأليف ، لسان اليمن • يعقوب الهمداني ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع ، بغداد ١٩٨٩ ، ٥١٢ص •

★ صفة جزيرة العرب

تأليف ، الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ٥١٢ص ، ٢ن •

★ صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذه بن نزهة المشتاق

تأليف ، الشريف الادريسي ، امستردام ، ٣٤٢ص + ٥٩٢ص • ١٩٦٩ •

★ صلاح الدين الصباغ ، مذكرات في رواد العروبة

تأليف العقيد الركن صلاح الدين الصباغ ، بغداد ١٩٨٣ ، ط٢ ، ٣٨٠ص •

★ صلاح الدين الايوبي

تأليف ، آلايسي هاملتون ، آ • ر • جي • ترجمة ، يوسف العش ، بيروت ١٩٧٣ ، ٢٣٥ص •

★ صورة من حياة جلالة المغفور له الملك عبدالله بن الحسن

تأليف ، مؤسسة آل البيت الاردن ، ١٣١ص •

★ الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية (دراسة وتراجم ونصوص)

تأليف ، محمد العربي الخطابي • بيروت ١٩٨٨ ، ط٢٠ × م٢ • ٣٦٩ص + ٤٤٣ص •

★ طبيعة الجغرافية

تأليف ، هارتشون ، ترجمة ، جعفر خصباك • الموصل ١٩٨٤ ، ٤٠٨ص •

★ طبيعة الجغرافية

تأليف ، هارتشون • ترجمة الدكتور شاكر خصباك • الموصل ١٩٨٥ ع ٣٩٦ص ، ط٢ •

★ طبقات فقهاء اليمن

تاليف ، عمر بن علي سمرة الجعدي • تحقيق ، نؤاد سيد • مصر ١٩٥٧ ، ٣٢٧ص •

★ الطريق الى دمشق (فتح بلاد الشام)

تاليف ، احمد عادل كمال ، بيروت ٣٩٨٥ ، ٢٠٦ص •

★ الطريق الى المدائن

تأليف ، احمد عادل كمال • بيروت ١٩٨٦ ، ٥٢٤ص •

★ العامه في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين

تأليف ، فهمي عبدالرزاق سعد • بيروت ١٩٨٣ ، ٣٧٣ص •

★ عبدالجبار الجومرد نشاطه الثقافي ودورة السياسي

تأليف ، عدنان حسامي نذير • بغداد ١٩٩١ ، ٣٣٦ص •

★ عبدالعزيز الثعالبي

تأليف ، انور الجندي • بيروت ١٩٨٤ ، ٢٢٤ص •

★ عبدالله كنون

تأليف ، عدنان الخطيب • سوريا ١٩٩١ ، ٨٥ص •

★ عجائب الهند

تأليف ، تي اى خان دير ابريل ، ١٨٩٠ ، ١٣ص •

★ العراق الشمالي

تأليف ، الدكتور شاكر حضياك • بغداد ١٩٧٣ ، ٥٥١ص •

★ العرب في التاريخ

تأليف ، برناد لويس • ترجمة ، بنيامين فارس ، محمود يوسف زايد.• بيروت ١٩٥٤ ، ٢٨ص •

★ العسكرية الاسلامية في العصور الوسطى حطين وعين جالوت

تأليف ، قاسم محمد صالح • عمان ١٩٨٧ ، ١٣١ص •

★ عشائر العراق الكردية

تأليف ، عباس العزاوي • بغداد مصور ١٩٤٧ ، ج٢ •

★ عش مائة عام

تاليف ، د • جاباورد هاردن • القاهرة ١٩٥٤ ، ١٩٢ص •

★ عصر الخليفة المقتدر بالله (رسالة ماجستير)

تاليف ، حمدان عبدالمجيد الكبيسي • بغداد ١٩٧٣ ، ٥١٩ص •

★ العراق في العهد الجلائري دراسة في اوضاعه

تاليف ، نوري عبدالحميد العاني • بغداد ١٩٨٩ ، ٣٦٨ص •

★ العراق في العهد الجلائري

تاليف ، نوري عبدالحميد العاني • بغداد ١٩٨٦ ، ٣٩٨ص •

★ على طريق الهند

تاليف ، عبد الفتاح ابراهيم • بغداد ١٩٣٥ ، ٣٥٤ص •

★ العلامة محمد بهجة الاثري

تاليف ، حميد المطبعي • بغداد ١٩٨٨ ، ٢٩٤ص •

★ علـم التاريـخ

تأليف ، الاستاذ هرتشو • ترجمة وتعليـق ، عبدالحميد العيامي ، القاهرة ١٩٣٧ ، ١٨٤ص •

★ العمارات العربية الاسلامية في العراق

تأليف ، عيسى سلمان واخرون • بغداد ١٩٨٢ ، ط ، ٣١٢ص •

★ على هامش السيره

تاليف ، طه حسين • القاهرة ١٩٣٧ ، ٢٣٣ص •

★ العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية

تأليف ، مصطفى عباس الموسوي • بغداد ١٩٨٢ ، ٣٩٢ص •

★ الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)

تأليف ، ماهر زهير جرار • بيروت ١٩٨٢ ، ٣٠٧ص •

★ الفتح العثماني للاقطار العربية ١٠١٦ ـ ١٠٧٤
تأليف ، نيقولاي ايفانوف • ترجمة ، يوسف عطاالله • المغرب ١٩٨٨ ، ٣١٥ص •

★ الفرات الاوسط
تأليف ، الواموسيل • ترجمة ، صدقي حمدي • بغداد ١٩٩٠ ، ٦٤٦ص •

★ الفرات الاوسط رحلة وصفية ودراسات تاريخية
تأليف ، الواموسيل • ترجمة ، صدقي حمدي ، عبدالمطلب عبدالرحمن داود ومراجعة الدكتور صالح احمد العلي ، الدكتور علي احمد المياح بغداد ١٩٩٠ ، ٦٤٦ص ، ٢ن •

★ الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار زبيد
تأليف ، ابي الربيع الشيباني الزبيدي • تحقيق ، الدكتور محمد عيسى صالحية • الكويت ١٩٨٣ ، ٣٧٧ص •

★ الفكر السياسي والدافع التاريخي
تأليف ، حازم طالب مشتاق • بغداد ١٩٧١ ، ٢٦ص •

★ الفكر العربي ومكانته في التاريخ
تأليف ، دبلاس اوليري • ترجمة ، تمام حسان ، مراجعة ، محمد مصطفى حلمي • القاهرة ، ٣٠٠ص •

★ فكـرة التاريـخ
تأليف ، د • ج • كولنجورد • ترجمـة / محمد بكير خليل / م / محمد عبدالواحد خلاف مصر ١٩٦٨ ، ٥٧٤ص •

★ فنون القاهرة في العهد العثماني ١٥١٧ ـ ١٨٠٥م
تأليف الدكتور ربيع حامد خليفه • القاهرة ١٩٨٤ ، ١٩٨ص •

★ في الاستشراق الاسباني
تأليف ، خوان كوفيتر • بيروت ١٩٨٧ ، ٢٥٦ص •

★ في تراثنا العربي الاسلامي

تأليف ، توفيق الطويل • الكويت ١٩٨٥ ، ٢٥٦ص ٢٥ن •

★ في غمره النضال مذكرات سليمان فيضي

تأليف ، سليمان فيضي • بغداد ١٩٥٢ ، ٣١٨ص •

★ قاضي القضاة عبدالجبار بن احمد الهمداني

تأليف ، الدكتور عبدالكريم عثمان • بيروت ١٩٦٧ ، ٢٥٤ص •

★ قانون السياسة ودستور الرئاسة / لمؤلف مجهول

تحقيق ، محمد قاسم الحديثي • بغداد ١٩٨٧ ، ٢٦١ص •

★ قبائل بني قيس القديمة والحديثة في الوطن العربي

تأليف ، محمد موسى صالح الفسفوس • عمان ١٩٩٠ ، ١٩٩٢ ، ج١ — ج٢ × مج٢ •

★ القبائل العراقية

تأليف ، يونس السامرائي • بغداد ١٩٨٩ ، ج١+٢ ، ٣٦٨ + ٧٠٤ص •

★ قبيلة المسارة الطائية في العراق وعشائر سنبس الاخرى

تأليف ، غزال مهدي مضعن المساري • بغداد ١٩٨٩ ج١ ، ٨٨ص •

★ قبيلة العيثاويين دراسة عن نسبها ومساكنها

تأليف ، احمد حسين العيثاوي • بغداد ١٩٩٠ ، ٤٧ص •

★ القصاص والمذكورين

تأليف ، الامام ابو الفرج ابن الجوزي • تحقيق ، الدكتور قاسم السامرائي الرياض ١٤٠٣هـ ، ٣٧٨ص •

★ قطعة نادرة من كتاب الاوراق (صفحة مجهولة من تاريخ العراق

تأليف ، ابو بكر الصولي • تحقيق ، الاستاذ هلال ناجي ، بغداد ١٩٩٠ ، ٦٩ص •

★ قيام دولة المرابطين (صفحة مستورة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى

تأليف ، حسن احمد محمود • مصر ١٩٥٧ ، ٤٩١ص •

★ كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي

تأليف ، شاكر خصباك • بغداد ١٩٧٨ • ٣٠٣ص •

★ كلمة تعليل التاريخ

تأليف ، عمر فروخ • بيروت ١٩٨٤ ، ٥٢ص •

★ كتب طبية في اليمن

تأليف ، كلودي فايان ، ترجمة ، محسن احمد العيني • بيروت ١٩٦٢ ، ط٢ ، ٢٥٣ص •

★ لواء ديالى

تأليف ، خضير العزاوي • بغداد ١٩٧٠ ١٩٤٠ص •

★ محاضرات في تاريخ العرب

تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي • بغداد ١٩٦٠ ، ٤٢٠ص ج١ •

★ محمد بن عبدالملك الزيات

تأليف ، فايز علم الدين القيسي • بيروت ١٩٨٣ ، ٢٦١ص •

★ محمد عبدالملك الزيات الوزير الكاتب الشاعر

تأليف ، الدكتور جميل سعيد • بغداد ١٩٩٠ ، ١٩٧ص ، ٢ن •

★ محمد عبدالملك الزيات

تأليف ، فايز علم الدين القيسي • بيروت ١٩٨٣ ، ٢٦١ص •

★ المحلة التقليدية ، النشوء والتطور ومعايير الحي المعاصر

تأليف ، عقيل نوري الملاحويش • بغداد ١٩٨٩ ، ٢٠٧ص •

★ مختصر تاريخ بغداد

تأليف ، علي ظريف الاعظمي • بغداد ١٩٦ ، ٢٦١ص •

★ مدخل الى تاريخ الحضارة

تأليف ، الدكتور شحادة الناطور وآخرون • الاردن ١٩٨٩ ، ١٧١ص •

★ المدن في الاسلام حتى العصر العثماني

تاليف ، شاكر مصطفى • الكويت ١٩٨٨ • ط٢ × مج٢ •

★ المدينـة العربيـة
تاليف خالص الاشعب . الكويت ١٩٨٢ ، ١٥٧ص ، ٢نْ .

★ مذكرات الامير زيد ، الحرب في الاردن ١٩١٧ — ١٩١٨
تاليف ، سليمان موسى . عمان ١٩٩٠ ، ٢٥٥ص .

★ مذكـرات انتونـي ايـدن
ترجمة، خيري حماد ، بيروت، ١٩٦٠ ، ق١ — ق٢ × م٢ ، ٣٧٥ + ٤٩٨ص

★ مذكرات جعفر العسكري ،
تحقيق وتقديم ، نجدة فتحي صفوة . لندن ١٩٨٨ ، ٢٤٧ص .

★ مذكرات رستم حيدر .
تحقيق ، نجدة فتحي صفوة — ط٢ . بيروت ١٩٨٩ ، ٨٥١ص .

★ مذكرات روؤف البحراني لمحات عن وضع العراق في اواخر العهد العثماني
تحقيق ، جواد هبةالدين الحسيني . بغداد ١٩٩٣ ، ج١ ، ٢٩٥ص .

★ مذكرات سندرسن باشا ، طبيب العائلة الملكية في العراق ١٩١٨ — ١٩٤٦
تأليف ، سندر باشا . ترجمة ، سليم طه التكريتي ، ط٢ بغداد
١٩٨٢ ، ٤٤٠ص .

★ مذكرات الطبقجلي وذكريات جاسم مخلص المحامي
تاليف ، جاسم مخلص المحامي : ط٢ . بغداد ١٩٨٥ ، ٥٨١ص .

★ مذكرات الفريق طاوزند
تقديم وتعليق ، حامد احمد الورد . بيروت ٩٨٦ — ، ٦٤٧ص ، ط٢ .

★ مذكرات علي محمود الشيخ علي
تحقيق وتعليق ، محمد حسن الربيعي . بغداد ١٩٨٥ ، ٤٣٢ص .

★ المرجع في الحضارة العربية الاسلامية
تأليف ، الدكتـور ابراهيم سلمان الكـردي وعبد التـواب شرف‌الدين
الكويت ١٩٨٧ ، ٥١٢ص .

★ مزاحم الباجهجي سيرة سياسية

تأليف ، الدكتور عدنان الباجهجي • لندن ، ٥٥٩ص •

★ المشرق العربي المعاصر

تأليف ، الدكتور صلاح العقاد • مصر ١٩٧٠ ، ٧٢٧ص •

★ مصطلــح التاريــخ

تأليف ، اسد رستم • بيروت ط٣ ، ١٣٨ص •

★ مصطفى جواد وجهوده اللغوية

تأليف ، محمد عبد المطلب البكاء بغداد ١٩٨٧ ، ط٢ ، ٢٩٨ص •

★ المصبــاح المضـــيء

تأليف الامام ابي عبدالله الانصاري • بيروت ١٩٨٦ ، ٤٣٩ص •

★ مطالع السعود (تاريخ العراق من سنة ١١٨٨ ولغاية سنة ٢٤٢(هـ)

تأليف ، عثمان بن سند الوائلي البصري • تحقيق ، عماد عبدالسلام رؤوف الموصل ١٩٩١ ، ٥٠٠ص •

★ معارك العرب الحاسمة

تأليف ، صبحي عبدالحميد • بيروت ١٩٨٦ ، ٢٣٢ص •

★ معالم تاريخ اوربا الحديث

تأليف ، محمد رفعت ، ومحمد احمد • القاهرة ، ٣٢٤ص •

★ معالم العراق العمرانية دراسة في المعالم الجغرافية والسكانية مستندة على المصادر الادبية •

تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي • بغداد ١٩٨٩ ، ٣٢٠ص •

★ معطيات الحضارة المغربية

تأليف ، عبدالعزيز بن عبدالله • الرباط ١٩٦٣ ، ١٤٣ص •

★ مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والامراء

تأليف ، ابو حامد الغزالي • تحقيق ، محمد حاتم الحديثي • بغداد ١٩٨٨ ، ٢٩٦ص •

★ مقدمة ابن خلدون

تأليف ، ابن خلدون • بيروت ٥٠٧ص •

★ مقدمة في تاريخ الفكر العلمي في الاسلام

تأليف ، احمد سايم سعيدان • الكويت ١٩٨٨ ، ٢١٧ص ، ٢ ن •

★ المنتظم في تاريخ الملوك والامم

تأليف ، ابـن الجوزي بغداد ١٩٩٠ ، ج٥ ــ ٦ و ج٧ ــ ٨ و ج٩ ــ ١٠ × مج ٣ مع فهارس •

★ الملك فيصل الاول

تأليف ، الدكتور عبدالمجيد كامل التكريتي • دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩١ ، ٣٧٤ص •

★ الملك فيصل الاول دراسات وثائقية في حياته السياسية

تأليف ، الدكتور محمد مظفر الادهمي • بغداد ١٩٩١ ، ٢٢٠ص •

★ مندلي عبر العصور

تأليف ، عمران موسى المندلاوي • بغداد ١٩٨٥ ، ٥٢٦ص •

★ من رواد العروبة في العراق (مذكرات صلاح الدين الصباغ)

تأليف ، صلاح الدين الصباغ ، ط٢ ، بغداد ١٩٨٣ ، ٣٨٠ص •

★ من اوراق نجيب الصائغ في العهدين الملكي والجمهوري

تأليف نجيب الصائغ ، شركة وطبعة الاديب البغدادية ١٩٩٠ ، ٣٢٥ص •

تأليف نجيب الصائغ ، شركة ومطبعة الاديب البغدادية ١٩٩٠ ، ٣٢٥ص •

تأليف ، نجيب الصائغ ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٢٥ص •

★ من محاضر الاثار القديمة العربية

تأليف ، ستيفن هــونكغ ، ترجمـة باسل محمد الحديثي ، بغداد ١٩٩٠ ،

★ موجـز تاريــخ الزمــن

تاليف ، ستيفن هونكــغ ، ترجمة باسل محمــد الحديثي ، بغداد ١٩٩٠ ، ٢٨٧ص •

★ نثر الدرر المكنون عن فضائل اليمن الميمون

تأليف ، السيد محمد بن علي الاهدلي الحسيني اليمني • الدار اليمنية ١٩٨٧ ، ٢٧٠ص.•

★ ندوة مارآبا الكبير

تأليف ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٩٢ ، ١٣٨ص ٢ن •

★ نـزوة العاشـق

تأليف ، ي • ف • جونه ، ترجمة الدكتور عزة شعلان ، مراجعة الدكتور احمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ ، ٢١٨ص •

★ نواعير الفرات او بين العرب والاكراد

تأليف ، هوليارد ، ترجمة . حسين عيه • بغداد ١٩٥٧ ، ٢٨٩ص •

★ النهوض العربي في العراق والاقاليم المجاورة في العصور العباسية الاخيرة

تأليف ، فاروق عمر فوزي • بغداد ١٩٨٩ ، ٣٢٠ص •

★ واسط في العصر العباسي

تأليف ، عبدالقادر سلمان المعاضيدي • بغداد ١٩٨٣ ، ٤٥٩ص •

★ وثائق عربية غرناطية

تأليف ، لويس سيكودي لوثينا اسبانيا ١٩٦١ ، ١٨٩ + ١٩٢ص •

★ وثائق اللجنة القومية العربية بنابلس

تأليف ، الدكتور بهجت حسن صبري • الاردن ١٩٩١ ، ط١ ، ٣٢١ص.•

★ وصـف افريقيـا

تأليف ، محمد الوزان الفاسي ، بيروت ١٩٨٣ ، ٣٣٩ص •

★ وصـف مصـر

تأليف ، علماء الحملة الفرنسية ، ترجمة ، زهـير الشـايب • مصر ، ج٥ و ج٦ × م٢ •

★ وصـــف مصـــر

تأليف ، علماء الحملة المصرية ، ترجمـــة زهير الشايب القاهرة ١٩٨٩ ج١ و ج٣ ـ ٤ و ج٧ ـ ٨ و ج٩ ط٢ .

★ وصـــف مصـــر

تأليف ، علماء الحملة الفرنسية . ترجمة ، زهير الشايب ، القاهرة ١٩٨٩ ؛ ط٢ ، ج١ ـ ٩ × ٩مج .

★ وصف مصر اللوحات (الدولة القديمة)

تأليف زهير الشايب القاهرة : المجلد الاول ، ٢٢٣ص .

★ وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى

تأليف ، نور الدين علي السمهودي . مصر ١٣٢٦هـ . ٤٦٠ص ، ج٢ .

★ وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب

تأليف ، الدكتور ابراهيم شحاته حسن ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ، ٣٤٣ص .

★ الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان

تأليف ، خالد يحيى العربي ، بغداد ١٩٨٦ : ٣٩٢ص .

★ الولايات المتحدة والمشرق العربي

تأليف ، احمد عبد الرحيم مصطفى . الكويت ١٩٧٨ ، ٢٧٩ص .

★ وفود القبائل على الرسول (ص) وانتشار الاسلام في جزيرة العرب

تأليف ، الدكتور حسن جبر ـ الكويت ١٩٨٧ ـ ٣٢٩ص .

❋ ❋ ❋

الفهرس

الموضوع | **الصفحة**

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٩٦

JOURNAL
of the
IRAQI ACADEMY



Volume 43
Part (1)

BAGHDAD
1414/1996